دور الوزراء في العصر العباسي الأول

(١٣٢ - ١٦٩هـ/ ٧٤٩ - ٧٨٥م)

دِراسة تَاريخية في الصلاحية والنفوذ

منى بنت سيف بن حمود اليعربية

مشروع بحثي مقدم لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في الآداب / تخصص التاريخ

قسم التاريخ
كلية الآداب والعلوم الاجتماعية
جامعة السلطان قابوس
سلطنة عمان

أكتوبر ٢٠١١م

(لجنة المشروع البحثي/الرسالة)

اسم الطالبة: منى بنت سيف بن حمود اليعربية الرقم الجامعي: ٤٢٧٣٦

عنوان الرسالة: دور الوزراء في العصر العباسي الأول (١٣٢-١٦٩هـ /٧٤٩-٧٨٥) دراسة في الصلاحية والنفوذ.

لجنة المشروع البحثي/الرسالة:

١. المشرف الرئيس: أ. د. فاروق عمر فوزي

الدرجة العلمية: أستاذ

القسم: التاريخ

الكلية: الآداب والعلوم الاجتماعية

التوقيع:.. التاريخ:...............................

٢. عضو لجنة الإشراف: د. بدر بن هلال العلوي

الدرجة العلمية: أستاذ مساعد

القسم: التاريخ

الكلية: الآداب والعلوم الاجتماعية

التوقيع:.. التاريخ:...............................

(لجنة مناقشة المشروع البحثي/الرسالة)

لجنة مناقشة المشروع البحثي/ الرسالة:

١. رئيس اللجنة: د. علي بن سعيد بن سالم البلوشي

الدرجة العلمية: أستاذ مساعد

القسم: الجغرافيا

الكلية/ المؤسسة: الآداب والعلوم الاجتماعية

التوقيع: .... التاريخ: ١٨/ ١٠/ ٢٠١١م

٢. المشرف الرئيس: أ. د. فاروق عمر فوزي

الدرجة العلمية: أستاذ

القسم: التاريخ

الكلية: الآداب والعلوم الاجتماعية

التوقيع: .... التاريخ: ١٨/ ١٠

٣. العضو (ممثل رئيس القسم): د. عبدالله بن ناصر الحارثي

الدرجة العلمية: أستاذ مساعد

القسم: التاريخ

الكلية/ المؤسسة: الآداب والعلوم الاجتماعية

التوقيع: .... التاريخ: ١٨/ ١٠/ ٢٠١١م

٤. الممتحن الخارجي: د. عبدالله بن سعود بن محمد أمبوسعيدي

الدرجة العلمية: أستاذ مساعد

القسم: المتطلبات العامة

الكلية/ المؤسسة: كلية العلوم التطبيقية بنزوى

التوقيع: .... التاريخ: ١٨/ ١٠/ ٢٠١١م

الإهداء

إلى عُمان ...

وطني وبيتي الكبير

إلى أمي ...

سراج قلبي المنير

إلى أبي وأخي ...

في أكرم جوار عندَ ربٍ رحيم

الشكر والتقدير

إن الحمد لله نحمده ونستعين به ونستغفره ونتوب إليه من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وكل من سار على نهجه وهديه .... وبعد :

يسعدني أن أتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساهم معي في هذا العمل سواء بالنصيحة أو تقديم العون والمساعدة وأخص بالشكر الجزيل وعظيم الامتنان أستاذي الجليل الأستاذ الدكتور (فاروق عمر فوزي) لتكلفه عناء الإشراف على هذه الرسالة، ولما منحني إياه من علمه وجهده ووقته، فجزاه الله عني خير الجزاء وأحسنه، وأبقاه ذخراً للعلم وأهله.

كما يطيب لي أن أرفع جزيل الشكر والامتنان إلى أساتذتي الأفاضل في قسم التاريخ بكلية الآداب والعلوم الاجتماعية وأخص بالذكر: (د. سعيد الهاشمي، د. بدر العلوي، د. عصام الرواس) على ما قدموه لي من نصح وإرشاد وعون ومساعدة.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لمديرة مدرستي (أ. ليلى محمد النيري) على ما قدمته لي من عون وحافز وتذليل للكثير من العقبات، فجزاها الله خير الجزاء.

وفي الختام أتقدم بصادق الشكر والامتنان لأفراد عائلتي لمساندتهم لي لمواصلة مشواري العلمي .

الملخص :

عنوان الدراسة : دور الوزراء في العصر العباسي الأول (١٣٢- ١٦٩هـ/٧٤٩-٧٨٥م)

دراسة تاريخية في الصلاحية والنفوذ .

إعداد : منى بنت سيف بن حمود اليعربي

إشراف الأستاذ الدكتور : فاروق عمر فوزي

تهدف الدراسة إلى إلقاء نظرة تحليلية لبدايات تاريخ الوزارة العباسية من خلال : تتبع لفظ الوزارة وأصولها عند العرب ، تتبع تاريخ ظهور الوزارة وصلاحياتها، أبرز الشخصيات الوزارية في العصر العباسي الأول، علاقة الخليفة العباسي بالوزير، النفوذ والصلاحيات الممنوحة للوزير العباسي.تنقسم الدراسة إلى تمهيد وثلاثة فصول يتناول التمهيد : مصطلح الوزارة في القرآن الكريم واللغة، تطور مفهوم الوزارة في الإدارة الإسلامية.،علاقة الكتابة الأموية بالوزارة العباسية. ويتناول الفصل الأول: الوزارة في عهد الخليفة أبي العباس، فمنصب الوزير استحدث مباشرة بعد انتصار الجيوش العباسية على الأموية، وقبل مبايعة الخليفة العباسي الأول، لكن لم تكن مكانة الوزير في هذه المرحلة المبكرة من تاريخ الوزارة في الدولة العباسية يختلف كثيراً عن مكانة الكاتب في العصر الأموي. ويتناول الفصل الثاني: وزراء الخليفة أبي جعفر المنصور، فبالرغم من أن الخليفة أبو جعفر المنصور منحهم صلاحيات واسعة، إلا أن هؤلاء الوزراء كانوا عرضة للعزل أو القتل لمجرد تصادم صلاحياتهم مع صلاحيات الخليفة. أما الفصل الثالث يتناول: وزراء الخليفة المهدي حيث ساعد الهدوء والاستقرار الذي ساد في عصره إضافة إلى كفاءة الذين وزروا له على اتساع سلطة الوزارة والوزراء. أما الخاتمة فقد أبرزت فيها الباحثة النتائج التي توصلت إليها خلال هذه الفترة التاريخية وأهمها : كشفت الدراسة أن لفظ الوزارة تعددت أوجه اشتقاقه عربياً، كما بينت الدراسة أن الوزارة وردت في القرآن الكريم بمعنى المشورة، أما في العصر الأموي حيث اتسعت حدود الدولة الإسلامية كان لابد للخلفاء الأمويين بالاستعانة بذوي الخبرة والمعرفة لمساعدتهم في إدارة الدولة الإسلامية سيما من فئة الكتّاب الذين مارسوا صلاحيات وزراء بالرغم من أن المنصب لم يعرف بعد، وقد ظل المفهوم الأموي للوزير بمعني المعاون والمشارك للخليفة سارياً خلال عهد الخليفة العباسي أبي العباس وأبي جعفر المنصور ، كما كشفت الدراسة أن أول مرسوم عباسي رسمي لتعيين وزير صدر سنة (١٦٣هـ /٧٧٩م) من قِبل الخليفة العباسي الثالث المهدي لوزيره يعقوب بن داود، وقد توسعت صلاحيات الوزراء في عهد الخليفة المهدي فأصبحت صلاحيات الوزراء تشمل الإشراف على دواوين الدولة، الشؤون المالية والاقتصادية، شؤون المراسلات، الشؤون الحربية، إضافة إلى النظر في قضايا الناس ومطالبهم.

Abstract :

The study subject : **The ministers' role in first Abbasid era (١٣٢-١٦٩ Hijri / ٧٤٩-٧٨٥)**

a historical study in privileges.

Prepared by : Muna Bint Saif Bin Hamoud Al-Ya' arubi.

Suprivew : Farouk Omar Fawzi.

The study aims to drop an analyzing look at the beginnings of the Abbasid ministry history through : Following the word " wizara " (ministry in Arabic), following the history of the ministry beginning and its privileges, the most important ministry characters in the first Abbasid era, the relationship of the Abbasid Khalifa (the ruler) with minister and the privileges and power given to the Abbasid minister.The study is divided into an introduction and three parts. The introduction covers: the term " ministry " in the Holy Qur'an and the language, the development of the term ministry in the Islamic management and the relationship between the Umawiya writing and the Abbasid ministry. The first part covers ministry in the ruling era of the Khalifa Abi Al-AlAbbas, because the minister position was innovated straight after the victory of the Abbasi army against the Umawi. But the minister position in this early stage of the ministry history in the Abbasid era wasn't much different than the position of the writer in the Umawi era. The second part covers the ministers of the Khalifa Abi Ja'afar Al-Mansour. Even though the Khalifa Abi Ja'afar Al-Mansor have given them wide privileges, but these ministers were endangered to be taken from their position or killed if their privileges clashed with khalifa's.The third part discusses the ministers of the Khalifa Al-Mahdi where the peace and stability that prevailed in his era and assigning qualified ministers helped to widen the authority of the ministry and ministers.And in the conclusion the researcher showed the results she got about this historical era, the most important of which were: The study revealed that the word " wizara " (ministry in Arabic) derivation from Arabic vary. The study also cleared that the word " wizara " is mentioned in the Holy Qur'an in the meaning of consulting and sharing, the Umawi Khalifas had to use the help of those who carry knowledge and in experience in the management of the Islamic state especially from the writers how practiced the privileges of ministers even though the position wasn't known yet. And the umawi concept of the minister remained in the meaning of the assistant and sharer for the khalifa through the era of the Abbasid Khalifa Abi Al-Abbas and Abi Ja'afar Al-Mansour.. It also revealed that the first Abbasid official decree to assign a minister was in (١٦٣ Hijri /٧٧٩) by the third Abbasid Khalifa Al-Mahdi for his minister Ya'agub Bin Dwoud, and the privileges of the ministers widened in the era of the Khalifa Al-Mahdi as a result of the political and management stability. The privileges of the ministers then included supervising the state's councils, the financial and economic matters, the mail matters, war matters and in addition looking into people's demands and problems.

قائمة المحتويات

المقدمة :

عندما سقطت الدولة الأموية (١٣٢هـ /٧٤٩م) وقامت دولة بني العباس في العراق أصبحت بغداد قبلة العالم الإسلامي ومحط أنظاره، فقد أصبحت المدينة الجديدة عاصمة الدولة الإسلامية فيها أنشئت الدواوين والقصور والمدارس والمساجد ومنها أخذ الخلفاء العباسيون يديرون شؤون الدولة، ويساعدهم في ذلك الأمراء، وكبار رجال الدولة، وعلى رأسهم الوزراء الذين أصبحت لهم في هذه الدولة مكانة مرموقة؛ وذلك لكفاءتهم في إدارة شؤون الدولة وإلى اتّساع ثقافتهم ومعرفتهم بالآداب والعلوم.

ويرى المؤرخون المحدثون أن منصب الوزارة استحدث في العصر العباسي الأول، ولكن الباحث في تاريخ الوزارة في الدولة الإسلامية يواجه صعوبات جمّة: منها ما يتعلق بأصل اصطلاح وزير، ومنها ما يعود إلى بداية نشأة منصب الوزير وتطوره، ومنها ما يلاحظ من عدم تحديد صلاحيات الوزير؛ مما أدى إلى نوع من التصادم بين سلطته وسلطة الخليفة.

من المعروف أن كلمة وزير ليست غريبة على لغتنا العربية، ولكن " منصب الوزارة " كمؤسسة لها صلاحيات معينة وجدت في دول أخرى قبل أن تستقر أسسها في الدولة العباسية، فالوزارة الإسلامية لم تتقرر قواعدها وتتضح أسسها إلا نتيجة التجارب التي مرت بها حتى تبلورت في نهاية القرن الثالث الهجري وبداية القرن الرابع الهجري؛ وعلى ذلك فإن الباحث في الوزارة يجب ألا يفترض منذ البداية بوجود " منصب " يسمى الوزارة يشبه " منصب الولاية ".

وقد ساعدت عوامل وتأثيرات متداخلة في نشأة الوزارة، منها ما يتعلق بالعادات العربية، ومنها ما يتعلق بتأثيرات الإسلام، وربما كان لادعاء العباسيين بأنهم أصحاب " الحق الشرعي " في حكم الجماعة الإسلامية أثر في اختيارهم هذا الاصطلاح القرآني ليدل على مشاور الخليفة وساعده الأيمن، يضاف إلى ذلك التقاليد الدينية التي تبنتها الخلافة العباسية قد أثرت في إبراز هذا المنصب، إضافة إلى ذلك الاعتبارات الإدارية والسياسية والثقافية، فقد كان هناك - في البداية - نوع من عدم الميل إلى اتخاذ الوزير بصورة دائمة وإنما كان الخليفة العباسي يتخذ كاتباً مرة ووزيراً مرة أخرى، فليس هناك إذن " منصب " إذا شغُر من وزير قديم فيجب أن يُملأ بوزير جديد، وإذا اعتبر الباحث أن الوزير ما هو إلا تطور للكاتب في العصر الأموي فعليه أن يتساءل لماذا ؟ وكيف استطاع الكاتب من بين كل أعوان الخليفة أن يبرز ويبسط نفوذه ؟

أهمية الدراسة وأهدافها :

تكمن أهمية الدراسة في محاولة الباحثة إلقاء نظرة تحليلية لتاريخ الوزارة العباسية وإنجازات الوزراء، وهي دراسة في التاريخ أكثر منها في النظم؛ لأنّها تهتم بشخصية الوزير العباسي، وإنجازاته، ومدى نفوذه، وسلطته في الإدارة، والسياسة والحرب، وطبيعة علاقته بالخليفة، وظروف ارتقائه، وأسباب عزله أكثر من اهتمامها بنظرية الوزارة كمنصب من المناصب الإدارية في الخلافة العباسية، وهي أمور عالجها كُتّاب السياسة الشرعية كالماوردي وابن يعلي الحنبلي :

ولهذا تهدف هذه الدراسة إلى :

١. تتبع تطوّر لفظ الوزارة وأصولها عند العرب، وعلاقتها باللغة الفارسية.
٢. صلاحيات منصب الوزير في العصر العباسي.
٣. تتبع تاريخ ظهور الوزارة وصلاحياتها ورسومها.
٤. إبراز دور الشخصيات الوزارية في العصر العباسي الأول.

الدراسات السابقة :

من خلال تتبع الدراسات السابقة التي تتحدث عن الوزارة العباسية وجدت الباحثة بعض الدراسات التي تناولت موضوع الوزارة العباسية والتي تعالج أيضا في مجموعها قضايا أخرى، وسيتم الاستعانة بهذه الدراسات وتحليل الآراء الواردة فيها وإخراج الموضوع بصورة جديدة ومختلفة عما سبق، ومن أهم هذه الدراسات :-

١. **الكروى ، إبراهيم سليمان ، نظام الوزارة في العصر العباسي الأول ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٩م.**
قسم الكاتب الموضوعات إلى سبعة فصول رئيسة، وقد تحدث عن الوزارة في مطلع العصر العباسي في الفصل الثاني والذي أفرده بعنوان الوزارة والوزراء العباسيون منذ قيام الدولة العباسية حتى خلافة هارون الرشيد، فتحدث عن الصفات البارزة في وزراء هذا العهد والنتائج التي ترتبت على ذلك، حيث كان الوزراء العباسيون يتميزون بصفتين رئيستين حسب قوله : الأولى أنهم من الفرس والصفة الثانية ميلهم إلى العلويين.

٢. **فوزي ، فاروق عمر ، الجذور التاريخية للوزارة العباسية " مطابع دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٦م.**
قسم الكاتب موضوعات الكتاب إلى أربعة مباحث، وقد عالج موضوع الوزارة العباسية في مطلع العصر العباسي، وأشار إلى أنها مؤسسة إسلامية جديدة بالنسبة إلى صلاحيات المؤسسات الأخرى في العصر العباسي الأول، وقد استفاد في تخريجاته من كتاب دومنيك سورديل " الوزارة العباسية " مقارنا بين آرائها وآراء بعض الباحثين المحدثين حول الوزارة.

٣. **مصطفى ، علي قادر ، الوزارة في النظام الإسلامي وفي النظم الدستورية المعاصرة ، مطبعة السعادة ، د.م ، ١٩٨١م.**

عالج الكاتب موضوع الوزارة مقارنا بين نظرية النظام الإسلامي لمنصب الوزارة والنظم الدستورية المعاصرة، فالوزارة لها أهمية خاصة في الدولة، فأهميتها للدولة تجعلها تفوق كل سلطة أخرى؛ فهي العضو الهام الذي يدير جسم الدولة حفظا لكيانها وضمانا لتقدمها، ففي الفصل الأول تحدث الكاتب عن نشأة الوزارة وتطورها، وأثرها في سياسة الدولة، وطريقة اختيار الوزراء، المسؤولية الوزارية منذ العصر النبوي وحتى العصر العباسي الثاني.

٤. **القاسمي ، ظافر ، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي (الحياة الدستورية) ، دار النفائس ، بيروت ، ١٩٧٧م.**

شمل الكتاب على مواضيع متعددة منها: حكومة الرسول - صلى الله عليه وسلم- وقواعد الحكم، ومؤسسة الخلافة، والولاية، والإمارة، وكذلك الوزارة والتي اعتبرها القاسمي المنصب الثاني في الدولة الإسلامية من حيث الترتيب الشكلي، وقد عالجها في الفصل السابع من خلال تتبع الوزارة أيام الأمويين والعباسيين وفي الأندلس والمشرق.

٥. **الدوري ، عبد العزيز . العصر العباسي الأول (دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي) . مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٦م.**

يحتوى الكتاب على معلومات هامة عن خلفاء العصر العباسي الأول، وأبرز سياساتهم السياسية والإدارية والمالية.

منهج الدراسة :

اعتمدت الباحثة خلال دراستها لموضوع الوزارة والوزراء العباسيين على المنهج التاريخي التحليلي، من خلال تتبع المصادر التاريخية التي تحدثت عن الوزارة والوزراء العباسيين وتحليلها.

عناصر الدراسة:

تنقسم الدراسة إلى تمهيد وثلاثة فصول، يتناول التمهيد: مصطلح الوزارة في اللغة والقرآن الكريم، وتطور مصطلح الوزير ومعناه في الإدارة الإسلامية في العصر النبوي والراشدي ثم في العصر الأموي حتى تبلور إلى حدوده المعروفة في العصر العباسي، وعلاقة الكتابة بالوزارة ؟ أما الفصل الأول، فيتناول: وزراء الخليفة أبي العباس السفاح، حيث لكن لم تكن مكانة الوزير في هذه المرحلة المبكرة من تاريخ الوزارة في الدولة العباسية يختلف كثيرا عن مكانة الكاتب في العصر الأموي، وأبرز وزراء الخليفة أبي العباس هم: أبو سلمة الخلال (وزير آل محمد)، خالد بن برمك، وأبا الجهم الباهلي. أما الفصل الثاني فيتناول: وزراء الخليفة أبي جعفر المنصور، الذين تم اختيارهم لمهاراتهم في التنظيمات الإدارية. ومن أبرز هؤلاء الوزراء: خالد بن برمك، أبو أيوب المورياني، والربيع بن يونس. أما الفصل الثالث فيتناول: وزراء الخليفة المهدي الذي ساد عهده الهدوء الداخلي والاستقرار النسبي فانعكس بشكل إيجابي على اتساع سلطة الوزارة والوزراء، ومن أبرز وزرائه: أبي عبيد الله معاوية بن يسار، يعقوب بن داود، والفيض بن أبي صالح.

أهم المصادر التي اعتمدت عليها الدراسة

اعتمدت هذه الدراسة على مجموعة من المصادر من أهمها :-

١. **الجهشياري** ، محمد بن عبدوس (ت ٣٣١هـ / ٩٤٢م) . **الوزراء والكتاب** . تح : مصطفى السقا وآخرون ، ط٢ ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة : ١٩٨٠م.

وهو أشهر مُؤلف في تاريخ الوزراء في الإسلام، وكتابه من أقدم المصادر التاريخية، شرح فيه تاريخ كتابة الإنشاء منذ تأسيس الدولة الإسلامية في عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - وتاريخ الوزارة والوزراء في الإسلام إلى نهاية القرن (٣هـ/٩م).

٢. **الطبري** ، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م) . **تاريخ الرسل والملوك** . تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة : د.ت.

يعطي الطبري توضيحاً للدور الذي لعبه الوزراء العباسيون من خلال الحوادث السياسية والبلاط العباسي، ويفصل في ذكر الوزراء البارزين، وتقاطع صلاحياتهم مع بعض المتنفذين من الرجالات في الإدارة العباسية.

٣. **ابن الأثير** ، علي بن محمد (ت٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) . **الكامل في التاريخ** . دار الكتاب العربي ، بيروت : ١٩٨٦م.

الكامل يشمل أخبار الخلفاء العباسيين الأوائل، وما وقع في عصرهم من الأحداث التاريخية المهمة، ودور الوزراء في معالجة تلك الأحداث، وهو مكمل لبعض الموضوعات المتصلة بتاريخ الوزراء التي عالجها الطبري، وفيه معلومات إضافية أغفلها الطبري.

٤. **ابن الطقطقا** ، محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩هـ / ١٣٠٨م) . **الفخري في الآداب السلطانية** . دار صادر ، بيروت : د.ت.

يعالج ابن الطقطقا الأمور السلطانية والسياسات الملكية، ثم يتحدث عن الخلفاء العباسيين ووزرائهم في العصر العباسي الأول - موضوع بحثنا - وله ملاحظاتٌ مهمّة في موضوع الوزارة.

٥. **ابن خلدون** ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) . **مقدمة ابن خلدون** . اعتنى به : مصطفى شيخ مصطفى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ٢٠٠٧م.

وفيه معلومات قيمة حول الوزارة والوزراء العباسيين، وهو يعتمد على التحليل والنقد أكثر من اعتماده على السرد والتفاصيل، وهذا هو الجانب الذي يفيدنا في موضوع البحث.

٦. **كتب الأدب العربي** مثل: رسائل الجاحظ ، وكتاب الأغاني للأصفهاني، وكتاب الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي للمعافي بن زكريا النهرواني، وكتاب الفرج بعد الشدة للتنوخي ، وكتاب زهر الآداب لأبي إسحاق القيراواني، وهي تتحدث عن صفات وفضائل بعض الوزراء، توقيعاتهم وما قيل فيهم من أشعار.

التمهيد : التطور التاريخي لمفهوم الوزارة في الدولة الإسلامية

مصطلح الوزارة في القرآن الكريم واللغة

مفهوم الوزارة في العصر النبوي والراشدي

مفهوم الوزارة في العصر الأموي

علاقة الكتابة بالوزارة

التطور التاريخي لمفهوم الوزارة في الدولة الإسلامية

يقول ابن خلدون: " أنّ الوزارة هي أم الخطط السلطانية والرتُب الملوكية، لأن اسمها يدل على مطلق الإعانة " [1] فالوزارة هي المنصب الثاني في الدولة الإسلامية من حيث الترتيب الشكلي والهرمي، وقد كان لها ولصاحبها دور مهم. وقد اهتم العلماء والكتّاب والأدباء والفقهاء بهذا المركز المرموق، فكتبوا عنه من نواح متعددة: فقهياً، لغوياً، أدبياً، تاريخياً وسياسياً. [2]

الوزارة في القرآن الكريم واللغة :

اختلف أرباب اللغة في اشتقاق اسم الوزارة على ثلاثة أوجه: *أولاً:* (الوَزَرُ) بفتح الواو والزاي وتعني الملجأ، وأصل الكلمة الوَزَر الجبل المنيع، وكل مَعْقِل وزر. [3] وكذلك وزير الخليفة معناه: الذي يعتمد على رأيه في أموره ويلتجئ إليه. [4] وفي قوله تعالى: " كَلَّا لَا وَزَرَ " * والوَزَرُ في كلام العرب الجبل الذي يلتجأ إليه، وكل ما التجأت إليه وتحصنت به فهو وَزَرٌ ومعنى الآية لا شيء يُعْتَصمُ فيه من أمر الله.[5]

ثانياً: (الوزْرُ) بكسر الواو وسكون الزاي وهي: الحِمْلُ الثقيل والوزْرُ: الذنب لثقله وجمعها أوزار. [6] وفي قوله تعالى: " قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَـٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَاراً مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ " * وفي قوله تعالى: " وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى " * أي لا يؤخذ أحد بذنب غيره ولا تحمل آثمة وزر نفس أخرى، ولكن كل مجزى

---

[1] ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) . مقدمة ابن خلدون . اعتنى به مصطفى شيخ مصطفى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت : ٢٠٠٧م ، ص٢٤٤ .

[2] القاسمي ، ظافر . نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي (الحياة الدستورية) . ط٢ ، دار النفائس ، بيروت : ١٩٧٧م ، ص٤٠٩ .

[3] ابن منظور . لسان العرب . تحقيق: عبد الله الكبير ومحمد أحمد وهاشم الشاذلي ، ج٦ ، دار المعارف ، القاهرة : ١٩٨١م ، ص٤٨٢٣ .

[4] البلوشي ، إبراهيم عطا الله . المؤسسات الإدارية في الدولة الإسلامية . مكتبة الفلاح ، الكويت : ٢٠٠٦م ، ص٨١ .

* سورة القيامة ، الآية ١١ .

[5] ابن منظور . لسان العرب . ج٦ ، ص٤٨٢٤ ؛ المعجم الوسيط ، ج١ ، ط٢ ، دار الأمواج ، بيروت : ١٩٨٧م ، ص١٠٢٨.

[6] ابن منظور . لسان العرب . ج٦ ، ص٤٨٢٤ .

* سورة طه ، الآية ٨٧ .

* سورة الأنعام ، الآية ١٦٤ . وسورة الإسراء ، الآية ١٥ .

بعمله، والآثام تسمى أوزاراً لأنها أحمال تثقله.[1] وفي قوله تعالى: " حَتّى تَضَعَ الحَرْبُ أوْزَارَهَا " * كناية عن الانقضاء، والمعنى على حذف مضاف والتقدير حتى يضع أهل الحرب أثقالهم، فأسند الفعل إلى الحرب مجازاً ويسمى السلاح (وزْراً) لثقله على لابسه واشتقاق وزير من ذلك لأنه يحمل عن الملك ثقل التدبير.[2]

ثالثاً: (الأزر) وهو الظهر، لأن الملك يقوى بوزيره كقوة البدن بالظهر.[3] ووازره على الأمر: أعانه وقواه، والأصل آزره، فالواو في وزيز بدل الهمزة.[4] فالأنبياء عليهم السلام لم يستغنوا عن الوزارة فكيف الملوك والأمراء، وقد نطق القرآن الكريم بوزارة هارون لموسى عليه السلام في قوله تعالى: " رَبّ أشْرَحْ لى صَدْرى، وَيَسّرْ لى أمْرى، وأحْلُلَ عُقْدَةً مِنّ لِسَانِي، يَفْقَهُوا قَوْلى، وَاجْعَلْ لي وَزيراً مّنْ أهْلى، هَارونَ أخِى، اشْدُدْ بِهِ أزْري وأشْرِكْهُ في أمْري " * ثم قال: " كَيْ نُسَبّحَكَ كَثِيراً وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً " دلت هذه الكلمة على أن بصحبة العلماء والصالحين وأهل الخبرة والمعرفة تنتظم أمور الدنيا والآخرة،[5] وفي نظام الآية وعلى نسق الكلام، " قال قَدْ أوتِيتَ سُؤْلَكَ يا مُوسى " فدل على أنه جعله وزيره وصاحب أمره وشريكه، وأفصح عن حسن موقع الوزارة وجلالتها ووقوع الحاجة إليها.[6]

ومن هذا المفهوم اللغوي لكلمة " وزير " نستطيع أن نلمح طبيعة عمل الوزير في النظام الإداري للدولة الإسلامية، وهو المساهمة في تحمل تصريف أمور الدولة، ومساعدة أولى الأمر في تسيير دفة الأمور.

---

[1] ابن منظور . لسان العرب . ج٦ ، ص٤٨٢٤ .
* سورة محمد ، الآية ٤ .
[2] إبراهيم ، رجب عبد الجواد . معجم المصطلحات الإسلامية في المصباح المنير . دار الآفاق العربية ، القاهرة : ٢٠٠٢م ، ص٣٠٠ .
[3] الماوردي ، علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٧م) . الأحكام السلطانية والولايات الدينية . دار الكتب العلمية ، بيروت : د.ت ، ص٢٨ .
[4] ابن منظور . لسان العرب . ج٦ ، ص٤٨٢٤ .
* سورة طه ، الآيات ٢٩-٣٨ .
[5] الطرطوشي ، محمد بن الوليد بن محمد (ت ٥٢٠هـ /١١٢٥م) . سراج الملوك . المطبعة الخيرية ، القاهرة : د.ت ، ص٧٠ .
[6] الثعالبي ، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م) . اللطائف والظرائف . دار المناهل ، بيروت : ١٩٩٢م ، ص٣٥ .

وفي دائرة المعارف الإسلامية: كلمة وزير كمفهومها من أصل فارسي، ومعناه القرار أو الحكم، وقد أخذ العرب هذا اللقب عن ملوك ساسان، * ثم عاد الفرس فاستعملوه في لهجتهم الحديثة، وهم يظنونه عربياً. [1]

ويقول المستشرق س. د. جواتياين : أن الأصل الفارسي للوزارة بعيد كل البعد عن الحقيقة الثابتة؛ لأن المسألة كلها قد عولجت بطريقة عامة للغاية، وزيادة على ذلك فهي ارتكزت على كتب الأدب، فحتى الآن لم يشر أي أحد إلى السبل التي اقتبس المسلمون عبرها وظيفة الوزير، التي صارت واقعا قائما في الدولة الإسلامية بعد زوال الإمبراطورية الساسانية بأكثر من مائة عام، وأن المصادر لم تقدم لنا ما يؤيد حقيقة افتراض اقتباس هذا النظام، ولذا فإن هذه النظرية هي تعميم مجرد بُني على حقيقة مفادها أن عدداً من الفرس وعلى رأسهم البرامكة المشهورين قد تولوا منصب الوزارة في الحكومة العباسية وأن الكتب والأقوال التي وضعت عن فن وإدارة شؤون الدولة الساسانية قد أثرت على وجه العموم في الكُتاب المسلمين، ولكن كان هناك عدد كبير من الوزراء من أصل غير فارسي، ولم تكن الوزارة في نظر الكُتّاب المسلمين ساسانية خالصة أو مقصورة عليهم، فقد عرف العرب الوزارة عند البيزنطيين *

* الدولة الساسانية (آل ساسان): دولة إيرانية قديمة تنسب إلى ساسان، وهو شخصية تاريخية عاشت في أواخر القرن الثالث الميلادي، وهو جد الملك أردشير بابك مؤسس الدولة الساسانية عام (٢٢٦م) ودام حكمها أكثر من أربعة قرون حكم خلالها ٣٢ ملكا وملكة، وطويت بمقتل آخر ملوكها يزدجر عام (٦٥١م) على يد العرب المسلمين، ويعتبر مؤرخو العرب الدولة الساسانية الطبقة الرابعة من ملوك الفرس، وهو تقسيم يستقيم مع التحقيقات التاريخية المعاصرة التي تبرز أربع مراحل من تاريخ الفرس القديم هي: الدولة الاكمينية (مرحلة الفتح المقدوني) والدولة السلوقية والدولة الاشكانية ثم الدولة الساسانية، ويرتبط تاريخ الساسانين بالتاريخ العربي والإسلامي ارتباطا وثيقا، ففي عصر ما قبل الإسلام فرض بعض ملوك الدولة الساسانية الحماية على عدد من الإمارات والمشيخات العربية كالحيرة، كما تم لبعضهم غزو اليمن، وتعمقت المؤثرات المتبادلة بين الفرس الساسانيين والعرب بعد دخول الفرس في العقيدة الإسلامية وتحول إيران إلى أمارة تابعة للخلافة الإسلامية، وبرز هذا الانصهار بعد نقل عاصمة الخلافة إلى بغداد على مشارف الدولة الساسانية القديمة، وكان أثر المسلمين واضحا في اللغة الفهلوية الساسانية بما أضافته من مصطلحات عقائدية وإسلامية، وكان أثر الفرس واضحا في المظاهر الحضارية لعاصمة الخلافة لا سيما بعد أن تولى المناصب الكبرى وزراء وقواد من أصول فارسية، فشمل هذا التأثير: نظام الدواوين وتقاليد البلاط كما شمل النهضة العلمية في الطب والفلك وكتابة التاريخ والسير، وكذلك الفنون كالعمارة والتصوير، ثم الفكر الفلسفي الذي أشاع النقيضين: التصوف والزندقة. انظر عطية الله ، أحمد . **القاموس الإسلامي** . ج٣ ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة : ١٩٧٠م ، ص١٨٧-١٨٩ .

[1] **موجز دائرة المعارف الإسلامية** ، ج٣٢ ، مركز الشارقة للإبداع الفكري ، الشارقة ، ١٩٨٨م ، ص١٠١٣٥.

* **بيزنطة:** دولة منسوبة إلى المكان الذي أقيمت فيه (بيزنطيون) أسسها قسطنطين الأول (٣٣٠م) على أنقاض الإمبراطورية الرومانية الشرقية، عاشت نحو أحد عشر قرنا ونصف القرن، امتدت رقعتها على شبه جزيرة البلقان وآسيا، كانت اللاتينية لغتها الرسمية، تعرضت لنزاع ديني داخلي ، وطويت صفحتها من سجل التاريخ بسقوط عاصمتها على يد السلطان العثماني محمد الفاتح سنة (٨٥٧هـ / ١٤٥٣م) انظر الخطيب ، مصطفى عبد الكريم . **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية** . مؤسسة الرسالة ، بيروت : ١٩٩٦م ، ص٩٤، ٩٥ .

وعند الإمبراطوريات الرومانية والهندية والصينية، وكذلك عرفوها في ممالك العرب قبل الإسلام.[1] فالعرب كانت تسمي وزير الملك من ملوك اليمن والشام والحيرة * : الراهن والزعيم والكافي والكامل، تريد بذلك أنه مرتهن بالتدبير، زعيم بصواب الرأي، كاف للملك مهمات الأمور وكامل الفضائل.[2]

ويرجح *احمد امين* أن أصل الكلمة عربي فيقول: " ونحن نرجح أن أصل الكلمة عربي وليس كما يقول بعض المستشرقين من أن أصل الكلمة فهلوي مأخوذ من فيشرى (vi-chira) ومعناه الأمر أو التقرير ".[3]

لذا نستنتج أن مصطلح " وزير " ذا جذور عربية وليست فارسية، في حين أن المنصب بالرغم من أنه وجد عند الفرس الساسانيين إلا أن العرب لم يقتبسوه كنظام محدد منهم كما لاحظنا سابقا، لكن ما من شك أنهم استفادوا من نظام الوزارة الساسانية - بحكم الجوار وامتزاج الثقافات - فيما يتعلق بصلاحيات الوزير.

---

[1] جواتياتن ، س . د . **دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية** . مركز الإسكندرية للكتاب ، الإسكندرية : ٢٠٠٧م ، ص٨١،٨٠ .

* **الحيرة**: اسم آرامي ومعناها لغة " المخيم " وهي قصبة الملوك اللخميين، تبعد ثلاثة أميال جنوبي الكوفة، والعرب يجعلون تاريخ تخطيط المدينة في عهد بختنصر، وقد بلغت الحيرة مرحلة من الحضارة بحيث تزاحم الشعراء على بلاط ملوكها، كما أن صناعة الكتابة راجت في الحيرة ومنها انتشرت في جزيرة العرب، وقد قضى الأكاسرة على اللخميين عام ٦٠٢م عندما مات الملك النعمان الثالث وحلوا محلهم عمالاً من الفرس يدين لهم أمراء العرب بالولاء، وظل الأمر حتى عام ٦٣٣م عندما استسلمت المدينة للجيوش الإسلامية الفاتحة. انظر **دائرة المعارف الإسلامية** ، ج٨ ، ص١٦٢،١٦١ .

[2] المسعودي ، علي بن الحسن بن علي (ت ٣٤٦هـ /٩٥٧م) . **التنبيه والإشراف** . دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩٨٢م ، ص٣١٠ ؛ رسلان ، صلاح الدين بسيوني . **الوزارة في الفكر السياسي** . دار قباء ، القاهرة ، ٢٠٠٠م ، ص٤٠ .

[3] أمين ، أحمد . **ضحى الإسلام** . ج١ ، ط١٠ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، د.ت ، ص١٦٥ .

مفهوم الوزارة في العصر النبوي والراشدي

يعطي ابن أبي الربيع أهمية كبيرة للوزير، فالوزير - برأيه - هو الشريك في الملك، المدبر فيه يحفظ أركانه، المدبر بالقول وبالفعل، وإنه لا بد لمن تقلد الخلافة والملك من وزير منظم للأمور، ومعين على حوادث الدهور، ويكشف له صواب التدبير.[1]

وردت لفظ الوزير والوزارة والوزراء في السنة النبوية وفي أقوال كبار الصحابة في مواضع متعددة وفي مناسبات مختلفة، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: " وزيراي من أهل السماء جبريل وميكائيل، ومن أهل الأرض أبو بكر وعمر "[2] وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " إذا أراد الله بالأمير خيراً "[3] وفي رواية : " من ولي منكم عملا "[4] فأراد الله به خيراً، جعل له وزير صدق، إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه، وإذا أراد الله به غير ذلك جعل له وزير سوء، إن نسي لم يذكره، وإن ذكر لم يعنه "،[5] ويقول ابن خلدون: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يشاور أصحابه ويفاوضهم في مهماته العامة والخاصة وكان يخص سيدنا أبا بكر الصديق ببعض الأمور، حتى أن العرب الذين اختلطوا مع الروم والفرس والحبشة قبل الإسلام كانوا يسمون أبا بكر وزير النبي. ولم يكن منصب الوزير يعرف بين المسلمين آنذاك؛ وذلك لبساطة الإسلام وبعده عن أبهة الملك.[6] لذا يتضح لنا أن سيدنا أبا بكر الصديق كانت تتوافر فيه مهام الوزير باعتبار أن هذه الوظيفة كانت معروفة عند هؤلاء الأقوام قبل الإسلام. وهكذا نجد أن الوزير

---

[1] أبي الربيع ، أحمد بن محمد (عاش في القرن ٧هـ) . **سلوك المالك في تدبير الممالك** . تحقيق: حامد عبد الله ربيع ، دار الشعب ، القاهرة : ١٩٨٣م ، ص٤٢٥ ؛ التكريتي ، ناجي . **الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع** . ط٣ ، د.ن : ١٩٨٧م ، ص٢٧ .

[2] الجوزي ، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن (ت ٧٥٢هـ / ١٣٥٠م) . **سيرة ومناقب عمر بن الخطاب** . تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، دار التقوى للتراث ، القاهرة : ٢٠٠٠م ، ص٣٦ ؛ القلعي ، أبو عبد الله . **تهذيب الرياسة وترتيب السياسة** . تحقيق: إبراهيم يوسف ومصطفى عجو ، مكتبة المنار ، الزرقاء : د.ت ، ص١٤ .

[3] السجستاني ، سليمان بن الأشعث (ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨م) . **سنن أبي داود** . ج٣ ، تحقيق: جمال أحمد حسن ومحمد برير ، المكتبة العصرية ، بيروت : ٢٠٠٩م ، ص٥٦٠ .

[4] النسائي ، أحمد بن شعيب بن علي بن سنان . **سنن النسائي** . اعتني به: عبدالغني مستو ، المكتبة العصرية ، بيروت : ٢٠٠٨م ، ص٦٦٨ .

[5] العسقلاني ، أحمد بن علي بن حجر (ت ٧٥٢هـ / ١٣٥٠م) . **الترغيب والترهيب** . تحقيق: حبيب الأعظمي وعبد الحميد النعماني ومحمد الماليكانوى ، دار إحياء المعارف ، د.م : ١٩٦٠م ، ص٢١٣ ؛ القلعي . **مصدر سابق** . ص١٤.

[6] ابن خلدون . مقدمة . ص٢٤٥ .

في هذه الفترة هو مستشار ليس له حل أو عقد كما هو الأمر بالنسبة للأمير وهو رئيس الدولة.

ويشهد بوزارة أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما الإمام زيد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب رضي الله عنهما؛ * حيث قال له شيعته: إن كنت تريد أن نتابعك ونبايعك فالعن أبا بكر وعمر، فقال: والله ما كنت لألعن وزيري جدّي، فتركوه ورفضوه، فسموا الروافض. [1]

وفي روايةٍ تاريخيةٍ أوردها الطبري عندما قدم وفد بني تميم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونادوه من وراء الحجرات، خرج إليهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - قالوا: يا محمد جئناك لنفاخرك، فاذن لشاعرنا وخطيبنا، قال: نعم، أذِنْتُ لخطيبكم فليقل؛ فقام إليه عطارد بن حاجب، فقال: الحمد لله الذي له علينا الفضل وهو أهله، الذي جعلنا ملوكا ووهب لنا أموالا، ...فقال رسول الله لثابت بن قيس: قم فأجب الرجل في خطبته، فقام ثابت فقال: الحمد لله الذي السموات والأرض خلقه... فنحن أنصار الله ووزراء رسوله، نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله... " [2]

وأورد المؤرخون ما يشير إلى أن لفظة وزير كانت معروفة عند المسلمين في حياة الخلفاء الراشدين، فبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بادر أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة الجراح إلى سقيفة بني ساعدة حتى لا يتيحوا للأنصار * فرصة

---

* الإمام زيد بن علي: هو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب، وامه امّ ولد ، ولد لزيد من الأبناء (يحيى بن زيد) المقتول بخراسان من قِبل والي الأمويين نصر بن سيّار، وأم يحيى هي ريطة بنت أبي هاشم عبدالله بن محمد بن علي بن أبي طالب، وله أيضا عيسي بن زيد وحسين بن زيد (المكفوف) ومحمد بن زيد وهم لأمّ ولد. سمع زيد بن علي من أبيه وروى عن زيد عبد الرحمن بن الحارث وبسام الصيرفي وعبد الرحمن بن أبي الزناد. وقتل زيد بن علي في خلافة هشام بن عبد الملك عندما خرج على عامل هشام بالكوفة يوسف بن عمر الثقفي، فوجه إليه من يقاتله فتفرق من كان مع زيد بن علي فقتل وصلب . انظر ابن سعد . محمد سعيد منيع (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤م) . الطبقات الكبرى . ج٥ ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت : ١٩٩٥م ، ص٣٢٥- ٣٢٦ .

[1] الثعالبي ، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م) . آداب الملوك . تحقيق: جليل العطية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت : ١٩٩٠م ، ص١٢٦ .

[2] الطبري ، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م) . تاريخ الرسل والملوك . تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، ج٢ ، ط٤ ، دار المعارف ، القاهرة : د.ت ، ص١١٦ .

* الأنصار: لقب أطلق في التاريخ الإسلامي على عرب المدينة الذين أسلموا وآمنوا بالإسلام وأسسوا مع النبي صلى الله عليه وسلم الدولة العربية الإسلامية الأولى، وهم من أبناء قبيلتي الأوس والخزرج اليمانيتين، وقد اكتسبوا هذا اللقب واشتهروا به لأنهم ناصروا الإسلام والرسول قبل أن يتيسر ذلك لمن أسلم من أهل مكة قبل الهجرة. انظر الخطيب . معجم . ص٤٩ .

البت في أمر الخلافة دون الأخذ برأيهم، فلما اجتمعوا مع الأنصار قام أبو بكر - رضي الله عنه - وألقى أول خطبة له في الأنصار وكان مما قاله فيها : نحن الأمراء وأنتم الوزراء. [1]

وفي روايةٍ لابن أبي الحديد أن أبا بكر قال في مرضه: وددت أني يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين: عمر أو أبو عبيدة، فكان أميراً وكنت وزيراً. [2]

ومن المعروف أن عمر بن الخطاب كان بمثابة الوزير لسيدنا أبي بكر، إذ كان يوزع الزكاة على مستحقيها كما كان يقضي بين الناس بأمر الخليفة. [3] وعندما تولى سيدنا عمر بن الخطاب الخلافة استشار كبار الصحابة، وكان له خاصة من كبار أولى الرأي من بينهم عثمان بن عفان وعلى بن أبي طالب وعبد الرحمن بن عوف والعباس بن عبد المطلب. [4]

ويروي الطبري عند الحديث عن أمر القادسية " أن عمر بن الخطاب نزل على ماء يدعى صراراً، فعسكر به ولا يدري الناس ما يريد، أيسير أم يقيم؟ وكانوا إذا أرادوا أن يسألوه عن شيء رموه بعثمان أو بعبد الرحمن ابن عوف. وكان عثمان يدعى في إمارة عمر: رديفاً. " [5]

وفي لسان العرب: أرداف الملوك هم الذين يخلفونهم في القيام بأمر المملكة بمنزلة الوزراء في الإسلام. [6]

---

[1] ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م) . **الإمامة والسياسة** . ج١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت : ١٩٩٧م ، ص٨-١١ ؛ الطبري . **مصدر سابق** . ج٢ ، ص٥٠٩ ؛ ابن هشام ، عبد الملك (ت ٨٢٨هـ / ١٤٢٣م) . **السيرة النبوية** . ج١ ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة : ١٩٧٨م ، ص٤٥،٤٤ .

[2] ابن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٥هـ / ١٢٥٦م) . **شرح نهج البلاغة** . ج٢ ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل ، بيروت : ١٩٩٦م ، ص٢٤،٢٣ ؛ القاسمي . **نظام الحكومة** . ص٤١٤ .

[3] الطبري . **مصدر سابق** . ج٢ ، ص٥٩٠ . حسن ، حسين الحاج . **النظم الإسلامية** . المؤسسة الجامعية ، بيروت : ١٩٨٧م ، ص١٦٥ ؛ الصالح ، صبيحي . **النظم الإسلامية نشأتها وتطورها** . ط٨ ، دار العلم للملايين ، بيروت : ١٩٩٠م ، ص٢٩٥ .

[4] الطبري . **مصدر سابق** . ج٢ ، ص٧٤٣-٧٥٠ ؛ الكروي ، إبراهيم سليمان . **نظام الوزارة في العصر العباسي الأول** . مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية : ١٩٨٩م ، ص٤٦ .

[5] الطبري . **مصدر سابق** . ج٢ ، ص٦١١ .

[6] ابن منظور . **لسان العرب** . ج٣ ، ص١٦٢٦ .

وفي رواية عن الخليفة عمر بن الخطاب أنه بعث إلى الكوفة بعمار بن ياسر وعبدالله بن مسعود وقال لأهل الكوفة : أني بعثت بعمار بن ياسر أميراً وعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً. [١]

وفي كلام لسيدنا على بن أبي طالب بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان، أن الصحابة الموجودين في المدينة المنورة عرضوا الإمامة على علي، فقال: (دعوني والتمسوا غيري، فأنا لكم وزيراً، خير مني لكم أميراً). [٢]

إن لفظة وزير التي ذكرت في الأحاديث الشريفة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وعن الصحابة لم يقصد بها أن هناك منصبا للوزير قد تحددت مهامه، بل كان معناه استعانة الأمير أو السلطان بمن يشد أزره أو يعاونه في الحكم. [٣]

من ذلك يتضح لنا بأن المقصود بالوزارة في صدر الإسلام عُرف متفق عليه يكفل لأولى الأمر من يساعدهم في شؤون الدولة والرعية، فعلى هذا الأساس نرى أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يستعين بكبار الصحابة في قضاء شؤون الرعية، وكان يتخذ له كتّاباً يدونون ما تقتضيه الحاجة إلى ذلك، ولم يسموا وزراء، ولكن كان لكل منهم اختصاص يقوم به، وعلى ذلك النهج سار الخلفاء الراشدون في إدارة الدولة الإسلامية.

---

[١] ابن سعد . الطبقات . ج٥ ، ص٣٧١ .
[٢] الطبري . مصدر سابق . ج٣ ، ص٨٢٥ . ابن أبي الحديد . مصدر سابق . ج١ ، ص١٦٩ .
[٣] ابن خلدون . مقدمة . ص٢٤٥ .

مفهوم الوزارة في العصر الأموي:

عندما آلت الخلافة إلى الأمويين ساروا على النهج نفسه الذي اختطه الرسول - صلى الله عليه وسلم - وسار عليه الخلفاء الراشدون في إدارة الدولة والرعية، فكان أكثر خلفاء بني أمية لا يقطعون في أمر من الأمور إلا بعد استشارة وجوه الرأي في ولاياتهم، وإلى جانب هؤلاء المستشارين كان هناك طائفة من أصحاب الدواوين* وكتابها، ومن المعروف أن نظام الدواوين تعقد في العصر الأموي، فبالإضافة إلى ديوان العطاء، وهو نفس الديوان الكبير الذي أسسه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لتحديد أعطيات الجند، وديوان الخراج الذي كان قائما في الأمصار منذ عهد الفتح والذي ظل في كل إقليم يكتب بلغته حتى عربت الدواوين في خلافة عبد الملك بن مروان وابنه الوليد. استجدت دواوين أخرى في العهد الأموي حسب حاجة الدولة.[1] فكان من الطبيعي بعد انتقال نظام الخلافة في العصر الأموي إلى حكم وراثي، وتعقد نظام الدواوين أن يحتاج الخلفاء الأمويون إلى مشورة أولى الرأي ويتخذوا لإدارة شؤون الدولة المترامية الأطراف كُتّابا تعددت اختصاصاتهم بتعدد المهام التي أسندت إليهم، وعلى هذا النحو ظهر عدد من الشخصيات البارزة في العصر الأموي اصطفاهم الخلفاء وقربوهم إليهم.[2] وبالرغم من أن الوزارة على حد تعبير ابن الطقطقا لم تكن مقننه القواعد ولا مقررة القوانين، لكن ذوي الآراء من مستشاري الملك يقومون مقام الوزراء، وكان الواحد منهم يسمى كاتباً أو مشيراً.[3] فعمرو بن

---

* الديوان: الدفتر أو السجل بالفارسية، وقد أطلق اسم الديوان على الموضع الذي يحفظ فيه ما يتعلق بالدولة من الأعمال والأموال، وقد أدخل الخليفة عمر بن الخطاب هذا النظام الفارسي وعدله بما يتناسب وحاجات الدولة الإسلامية، فأنشأ ديوان العطاء (الجند) للنظر فيما يخص الجنود من العطاء ومصاريف الحرب والدفاع، وديوان الخراج للنظر فيما يرد إلى بيت مال المسلمين من جباية وما يفض لكل مسلم من عطاء، ثم استجدت دواوين أخرى في العهد الأموي والعباسي حسب حاجة الدولة. انظر البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر (٢٧٩هـ / ٨٩٢م) . **البلدان وفتوحها وأحكامها** . تحقيق: نجيب الماجدي ، المكتبة العصرية ، بيروت :٢٠٠٨م ، ص٤٥٣ ؛ ابن خلدون . **المقدمة** . ص٢٤٤،٢٤٥ ؛ حسن . **النظم الإسلامية** . ص١٦٣ ؛ الخطيب . **معجم** . ص١٩١ .

[1] الطبري . **مصدر سابق** . ج٢ ، ص٦٦١ ؛ الكندي ، محمد بن يوسف . **الولاة وكتاب القضاة** . دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة : د.ت ، ص٥٨ ؛ الكروي . **مرجع سابق** . ص٥٠،٤٩ .

[2] العبادي ، أحمد مختار . **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس** . مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية : د.ت ، ص١٢٥ .

[3] ابن الطقطقا ، محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م) . **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية** . دار صادر ، بيروت : د.ت ، ص١٥٣ .

العاص * كان أنصح الناس لمعاوية بن أبي سفيان قبل أن يصفو الجو لمعاوية في بلاد الشام، وكانت الصلاحيات التي يتمتع بها تشبه صلاحيات " نائب الملك " أو الشريك في الملك، فهو قد اتفق مع معاوية إذا كتبت له الغلبة على أن تكون مصر له طعمه مدى الحياة بعد عطاء جندها، وللنفقة على مصلحتها، كذلك بالنسبة لزياد بن أبيه * كان نائبه في المشرق، ولكن لم يكن له غير راتبه المقرر، وكان يرفع ما يفيض من الجباية إلى الشام، فهو في الحقيقة أكثر من وزير. [1]

كذلك نجد أن كلمة وزير وردت في الأوساط الشيعية للإشارة إلى ممثل الإمام أو النائب الشرعي لإمام لا يباشر العمل بنفسه، [2] ففي رسالة للإمام محمد بن الحنفية * وردت بمعني المندوب المطلق الصلاحية الذي يمثل الإمام والذي يترتب على من بايع طاعته في كل أمر، فدور المندوب تعدى المنصب الاستشاري إلى منصب فعليّ، فجاء في هذه الرسالة التي وجهها ابن الحنفية مع المختار بن أبي عبيد الثقفي * إلى

---

* عمرو بن العاص: هو عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصص بن كعب بن لؤي بن غالب، أسلم سنة (٨هـ) وأمره الرسول صلى الله عليه وسلم على سرية - لخبرته بمكيدة الحرب - نحو الشام (ذات السلاسل) وأمده بمئتي فارس فيهم أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب وأبا عبيدة الجراح، كما استعمله الرسول على عُمان. اتصف عمرو بن العاص بالجلادة والحزم والفصاحة والدهاء، وقد استعمله الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان على مصر وظل بها حتى وفاته سنة (٤٣هـ) وصلى عليه ابنه علي. انظر الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٦م) . **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام** . ج٢ ، حققه: بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت : ٢٠٠٣م ، ص٤٢٥- ٤٣٠ .

* زياد بن أبيه: هو زياد بن عُبيد الثقفي ، وهو زياد ابن سمية مولاة الحارث بن كلدة الثقفي طبيب العرب، وكذلك يقال له زياد بن أبي سفيان، لأن معاوية استلحقه بنسبه وجعله أخوه، يكنى أبا المغيرة ولد عام الهجرة واسلم في زمن أبو بكر الصديق. انظر الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٦م) . **سير أعلام النبلاء** . ج٣ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت : ١٩٨٤م ، ص٤٩٤ .

[1] الطبري . مصدر سابق . ج٣ ، ص٨٧٧-٩٦٣ ؛ الكندي . مصدر سابق . ص٣١ ؛ والقاسمي . **نظام الحكومة** . ص٤١٦ .

[2] سورديل ، دومنيك وجانين . **الحضارة الإسلامية في عصرها الذهبي** . ترجمة: حسني زينة ، دار الحقيقة ، بيروت : ١٩٨٠م ، ص١٩١ .

* ابن الحنفية: محمد بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - والمعروف بابن الحنفية، أمه الحنفية خولة بنت جعفر بن قيس بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة ابن الدول بن حنيفة . قال علي بن محمد المدائني : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً إلى اليمن فأصاب خولة في بني زبيد، وقد ارتدوا مع عمرو بن معدي كرب، وصارت في سهمه وذلك في عهد رسول الله فقال له الرسول الكريم : أن ولدت منك غلاماً فسمه باسمي وكنه بكنيتي، فولدت له بعد موت فاطمة بنت الرسول غلاماً، فسماه محمداً وكناه أبا القاسم، توفي ابن الحنفية سنة ٨٢هـ وله ٦٥ سنة. انظر البلاذري ، أحمد بن يحي بن جابر (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢) . **أنساب الأشراف** . ج٢ ، تحقيق: سهيل زكار ورياض زركلي ، دار الفكر ، بيروت : ١٩٩٦م ، ص٤٢٢ ؛ وانظر ابن خلكان ، أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ) . **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** . ج٤ ، تحقيق: إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت : ١٩٩٤م ، ص١٦٩-١٧٠ .

* المختار بن أبي عبيد الثقفي: الملقب بالكذاب، والده الأمير أبو عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير من بني ثقيف. عُرف المختار بأنه من ذوي الرأي والفصاحة والشجاعة وقلة الدين، تردد على محمد بن الحنفية بعد مقتل الحسين بن علي، فكان وزيره للطلب بدماء أهل البيت. انظر الذهبي . سير . ج٣ ، ص٥٣٨ .

مالك بن الأشتر: " أما بعد، فاني قد بعثت إليكم بوزيريّ وأمينيّ ونجييّ الذي ارتضيته لنفسي، وقد أمرته بقتال عدوي والطلب بدماء أهل بيتي فأنهض معه بنفسك وعشيرتك ومن أطاعك ". [1] ويقصد ابن الحنفية بوزيره المختار بن عبيد الثقفي. وفي رواية أخرى نجد أن المختار بن أبي عبيد الثقفي جاء إلى الكوفة للطلب بدماء أهل البيت لا سيما الحسين بن على بن أبي طالب، وكان المختار قد جاء بأمر من محمد بن الحنفية، فارتاب القوم من صحة ما جاء به المختار، فذهبوا إلى محمد بن الحنفية فسألوه - فأجاب إجابة مبهمة- فقال: " وأما ما ذكرتم من دعاء من دعاكم إلى الطلب بدمائنا، فوالله لوددت أن الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه "، فلما عاد القوم المرتابون عاتبهم المختار الثقفي رسول محمد بن الحنفية وقال : " إن نفراً منكم أحبوا أن يعلموا مصداق ما جئت به، فرحلوا إلى إمام الهدى - محمد بن الحنفية - فسألوه عما قدمت به عليكم، فنبأهم أني وزيره وظهيره ". [2]

كما أن روح بن زنباع الخزاعي * كان بمثابة الوزير في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، فالطبري يقول عنه " أنه أجل الناس عند عبد الملك بن مروان " [3] والمسعودي قال عنه " أنه من أهل الرأي والمشورة عند عبد الملك بن مروان " [4] واتخذ الخليفة سليمان بن عبد الملك رجاء بن حيوه * وزيراً ومستشاراً وقيماً على عماله وأولاده، إذ كانت له من الخاصة والمنزلة ما ليس لأحد، يثق به ويسترح إليه.[5]

---

[1] الطبري . مصدر سابق . ج٣ ، ص١١٢٣ .

[2] المصدر نفسه ، ج٣ ، ص١١٢٢،١١٢١ .

* روح بن زنباع: أبو زرعة الجذامي الفلسطيني ويقال له، أبو زنباع، كان ذا اختصاص بعبد الملك بن مروان ولا يكاد يغيب عنه، وهو كالوزير له، وكان لروح دار بدمشق، أمره يزيد بن عبد الملك على جند فلسطين وشهد يوم راهط مع مروان بن محمد، روى عنه إنه كان إذا خرج من الحمام اعتق رقبة، مات سنة (٨٤هـ) . انظر الذهبي . تاريخ . ج٢ ، ص٩٣٣ .

[3] الطبري . مصدر سابق . ج٤ ، ص١٢٧٦ .

[4] المسعودي ، علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م) . مروج الذهب ومعادن الجوهر . ج٣ ، شرحه: مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٦م ، ص١٣١ .

* رجاء بن حيوه: أبو المقدام رجاء بن حيوه بن جرول الكندي، يكنى أبا نصر، وكان ثقة عالما فاضلاً كثير العلم، اتصلت سيرته بالخليفة سليمان بن عبد الملك، وهو الذي أشار عليه باستخلاف عمر بن عبد العزيز بعد وفاة ولى عهده وابنه أيوب، وكان يجالس الخليفة عمر بن عبد العزيز، ذكر إنه بات ليلة عنده فهم السراج أن يخمد فقام إليه ليصلحه، فاقسم عليه عمر بن عبد العزيز ليقعدن، وقام هو إليه فأصلحه، قال : فقلت له : تقوم أنت يا أمير المؤمنين ؟ فقال : قمت وأنا عمر بن عبد العزيز ورجعت وأنا عمر بن عبد العزيز. كانت وفاته سنة ١١٢هـ. انظر ابن سعد . الطبقات . ج٧ ، ص١٨٢،١٨١ ؛ ابن خلكان . وفيات . ج٢ ، ص٣٠١-٣٠٣ .

[5] الطبري . مصدر سابق . ج٣ ، ص١٣٢٩ ؛ ابن خلكان . وفيات . ج٢ ، ص٣٠٢ . والقاسمي . نظام الحكومة . ص٤١٨ .

كما أن عبد الحميد الكاتب قلد " الوزارة " لمروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية.[1]

ومما يدل على مرونة لفظ وزير واتساعه في الفترة الأموية بحيث أطلق على أعوان الولاة وأمراء الأقاليم[2] فقد كان موسى بن نصير وزيراً ومشيراً لعبد العزيز بن مروان أمير مصر.[3] ويروي الطبري في حوادث سنة (١٠٤هـ/٧٢٢م) في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك بن مروان أن مسلم بن سعيد * دخل على الحرشي أمير خراسان فقال له الحرشي: " أقدمت أميراً أو وزيراً أو زائراً ، فأرسل إليه: مثلي لا يقدم خراسان زائراً ولا وزيراً ".[4]

ويروي الطبري أيضا في حوادث سنة (١٢٦هـ / ٧٤٣م) في عهد الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك، أنه كان لعمال الخليفة وزراء، وإنه لا بد لعامله يوسف بن عمر من إصلاح أمر وزرائه.[5]

ويرى ابن خلدون أن الوزارة كانت موجودة في عصر الأمويين فيقول : " كانت الوزارة أرفع رتبهم، هذا في سائر دولة بني أمية، فكان النظر للوزير عاماً في أحوال التدبير والمفاوضات وسائر أمور الحمايات والمطالبات وما يتبعها من النظر في ديوان الجند وفرض العطاء بالأهلة "[6]

إلا أننا نخالف ابن خلدون في رأيه هذا، ونرى بأن الوزارة كمنصب رسمي أو مرتبة سياسية إدارية لم تكن مقررة القواعد بصورة رسمية، ولا ينبغي أن نفهم هذا اللقب الذي اتخذه هؤلاء بنفس المعني الذي عرف به وزراء العصر العباسي أي منصباً رسمياً، فقد كانوا مجرد كُتّاب ومستشارين كبار قربهم الخلفاء واعتمدوا عليهم

---

[1] الجهشياري ، محمد بن عبدوس (ت ٣٣١هـ / ٩٤٣م) . **الوزراء والكتّاب** . تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأنباري وعبد الحفيظ شلبي ، ط٢ ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٨٠م ، ص٨٣ .
[2] فوزي ، فاروق عمر . **الجذور التاريخية للوزارة العباسية** . مطابع دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٦م ، ص١٦ .
[3] الكندي . مصدر سابق . ص٤٧ .
* **مسلم بن سعيد:** مسلم بن سعيد بن أسلم بن زرعة بن عمرو بن خويلد، بعد مقتل والده سعيد بن أسلم قام الحجاج بضمه مع ولده قتادب ونبل، وقد عقد له عمر بن هبيرة ولاية خراسان سنة (١٠٤هـ) بعدما عزل سعيد بن عمرو الحرشي عنها . الطبري . مصدر سابق . ج٣ ، ص١٣٦١ .
[4] المصدر نفسه . ج٣ ، ص١٣٦١ .
[5] الطبري . مصدر سابق . ج٣ ، ص١٤٤٥ .
[6] ابن خلدون . مقدمة . ص٢٦٠ .

في المشورة والرأي في كثير من جلائل الأمور، وعلى هذا الأساس فإنه يجوز من باب التشبه بالوزراء أن يطلق عليهم لقب وزير، إلا أن وظيفة وزير بالمفهوم الذي تحدد في العصر العباسي والعصور التالية لم يكن من الوظائف المعروفة في الدولة الأموية، وظل الخليفة الأموي يعتمد في تصريف أمور الدولة على كتابه إلى جانب مستشارين اصطفاهم للاسترشاد بآرائهم، فانقضت دولتهم دون أن يتخذ الخلفاء وزراء ودون أن تظهر الوزارة كمنصب رسمي أو مرتبة سياسية إدارية مقررة بصورة رسمية في نظم الدولة، ولهذا نعتبر الوزارة كمؤسسة بدأت تمارس دورها، وتتحدد طبيعتها في مطلع العصر العباسي.

ومن الجدير بالذكر أن الوزارة في العصر العباسي قد ارتبط وضعها من حيث القوة أو الضعف على عوامل عدة، منها مدى قوة الخليفة أو ضعفه، وكذلك شخصية الوزير نفسه وإمكانياته ومؤهلاته، [1] وعلى ضوء ذلك برز نوعان من الوزارة في هذا العصر : وزارة التنفيذ، وهي أن الوزير في هذا النوع ينفذ أوامر الخليفة الذي يشرف بنفسه على جميع تصرفاته، ويكون بذلك عمل الوزير مقتصراً على الوساطة بين الخليفة والرعية. وزارة التفويض، وهي أن يستوزر الخليفة من يفوض إليه الأمور برأيه ووفق اجتهاده، وهذا يعني أن الوزير ينظر في كل ما ينظر إليه الخليفة، لكن لا يعني ذلك تخلي الخليفة عن كل شيء فهو الأصل وله مباشرة الأمور جميعا متى شاء. [2]

علاقة الكتابة بالوزارة

ظهرت الكتابة في الإسلام منذ عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - في المدينة المنورة عندما دعت الحاجة إلى كتابة القرآن الكريم، ومخاطبة الملوك والأمراء لاعتناق الدين الجديد، ولأهمية الكتابة كان لا بد من اختيار من لديه القدرة على التعبير وسعة الثقافة وقوة البلاغة، فاختار الرسول الكريم علي بن أبي طالب

[1] فوزي . الجذور . ص١٦ ؛ علم الدين ، مصطفى . الزمن العباسي . دار النهضة العربية ، بيروت : ١٩٩٣م ، ص٢٦٠ .

[2] الماوردي . الأحكام السلطانية . ص٢٨،٢٩ .

وعثمان بن عفان وزيد بن ثابت، وعندما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية في العصر الراشدي زادت الحاجة إلى الوظائف العديدة التي تعين خليفة المسلمين في إدارة الدولة الإسلامية، ومن هذه الوظائف وظيفة الكتابة التي كانت تعدّ من أبرز الوظائف التي تساعد الخليفة في إدارة شؤون الدولة الإسلامية، وعندما انتقلت الخلافة الإسلامية إلى الأمويين زاد عدد الكتاب، كما تنوعت أغراض الكتابة بسبب توسع الفتوحات الإسلامية وبسبب حركة التعريب التي شملت كافة المرافق الإدارية للدولة الإسلامية بما فيها الدواوين * الأمر الذي نجم عنه ظهور طبقة من الكتّاب تنوعت اختصاصاتهم. إن التطور السريع الذي صحب وظيفة الكتابة خلال العهد الأموي ساعد كثيراً على بلوغ الكتابة عصرها الذهبي إبّان العصر العباسي، حيث ازدهر فن الكتابة وتم ضبط أصولها، وقد ساعد ظهور منصب الوزارة بشكل رسمي في أيام العباسيين على حاجة الوزير لعدد من الكتّاب يساعدونه في أداء مهامه، وفي الحقيقة أن معظم هؤلاء الكتّاب قد تقلدوا منصب الوزارة فيما بعد، الأمر الذي يعكس مكانة الكاتب لدى الدولة العباسية.[1]

على ذلك يمكننا القول أن منصب الكتابة هو سلم الوصول إلى الوزارة، فالكتّاب يمثلون النواة الأولى لمؤسسة الوزارة كما سنرى من خلال دراستنا.

---

* الدواوين : كانت تنقسم بشكل عام إلى مجموعتين رئيسيتين : الأولى للتوجيه الإداري والمكاتبات الرسمية مثل البريد والمراسلات والتوقيع والخاتم، والثانية مختصة باستتباب الأمن في الدولة وتوفير الحماية لها مثل الشرطة والجند والحسبة. وقد اعتنى العباسيين بديوان الرسائل منذ بداية حركتهم في خراسان، إذ اتسع نطاقه في العصر العباسي لمواجهة حاجات الدولة من الرسائل والمكاتبات والتطور بالسياسة الخارجية التي اتسع افقها بعد نمو العلاقات مع دول العالم المعروفة آنذاك، وكذلك كثرة المكاتبات في الداخل مثل عقود التولية والخلع والأوامر. وفي عهد الخليفة المهدي كان بإمكان من يتولى هذا الديوان أن يستخلف عليه من يريد، كما فصلت المراسلات الخاصة بالخليفة عن مراسلات الدولة، لأن ديوان رسائل الدولة بدأ يخضع لإشراف الوزراء المباشر وخاصة وزراء التفويض، وكان لصاحب ديوان الرسائل مجموعة من الكتّاب يختص كل منهم بنوع من المكاتبات مثل مكاتبات موظفى الدولة وعمالها، ومكاتبات كبار رجال الدولة، وفريق آخر يختص بالمناشير وكتب التقليد والولاية وغيرها. انظر محمود ، حسن أحمد والشريف ، أحمد إبراهيم . العالم الإسلامي في العصر العباسي . ط٥ ، دار الفكر العربي ، القاهرة : د.ت ، ص١٤٩-١٥٢ .

[1] الطبري . مصدر سابق . ج٣ ، ص١١٨٦-١١٨٨ ؛ ابن خلدون . مقدمة . ص٢٤٣-٢٤٧ ؛ الحسيني ، فاضل محمد . آفاق الحضارة العربية الإسلامية . دار الشروق ، عمّان : ٢٠٠٦م ، ص١٥٢-١٥٤ .

الفصل الأول : وزراءُ الخليفة أبي العباس عبد الله بن محمد

(١٣٢- ١٣٦هـ/ ٧٤٩- ٧٥٣م)

الدعوة العباسية

الخليفة أبي العباس عبد الله بن محمد

الوزير أبي سلمة الخلال

الوزير خالد بن برمك

الوزير أبا الجهم بن عطية الباهلي

الدعوة العباسية:

لم يكن قيام دولة الخلافة العباسية مجرد بيعة خليفة دون آخر، أو انتقال الحكم من الأمويين إلى العباسيين في حكم المسلمين، بل كانت ثورة نتج عنها تغيير جذري في المجتمع الإسلامي ونقطة تحول هامة وفاصلة في هذا المجتمع.[1]

عباسية : نسبة إلى العباس بن عبد المطلب عم الرسول - صلى الله عليه وسلم - أسلم متأخرا ولم يكن له طموح بالخلافة، وهو العم الوحيد الذي بقى بعد وفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وعليه اعتبر العباسيون أن العم مقدم على الخال في تطبيق نظام الإرث، أي أنهم الأولى بالخلافة من الأمويين وأبناء فاطمة - رضي الله عنها - (الحسن والحسين) على اعتبار أن العباس هو الوريث الوحيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم.[2]

حتى أوائل سنة (١٢٤هـ /٧٤١م) لم تكن قد ظهرت الكلمتان (العباسيون والعلويون) في أفق التاريخ ظهوراً واضحاً، بل كان هناك تعبير واحد يشملهم وهو (بنو هاشم أو الهاشميون أو آل البيت) وكان هؤلاء يكافحون معاً ويناوئون بني أمية سراً وعلانية متساندين رجاء أن ينتزعوا لأنفسهم الخلافة التي اعتقدوا أنها حق لهم اغتصبه الأمويون، ولكن العنصريين اللذين يتكوّن منهما الهاشميون يختلفان اختلافا بيّناً، فالعلويون يعتقدون أن الخلافة حقهم وأن الناس جميعا يسعون ليردّوها إليهم، أما العباسيون امتازوا بالدهاء والسياسة والدقة والفطنة والطموح؛ لذا سعوا بجدية إلى قلب نظام الحكم، ونقل السلطان من الأسرة الأموية إلى الأسرة العباسية.[3]

---

[1] طقوش ، محمد سهيل . **تاريخ الدولة العباسية** . دار النفائس ، بيروت : ١٩٩٦م ، ص١٨ .

[2] الطبري . المصدر السابق . ج٤ ، ص١٥٢٥ ؛ فوزي ، فاروق عمر . **تاريخ النظم الإسلامية** . دار الشروق ، عمّان : ٢٠١٠م ، ص٤٥ .

[3] الطبري . المصدر السابق . ج٤ ، ص١٥٨٣ ؛ العبادي ، أحمد مختار . **في التاريخ العباسي والفاطمي** . دار البيارق ، عمّان : ١٩٩٨م ، ص٩ .

مبادئ الدعوة وشعارها:

المبدأ الديني : الاعتماد على القاعدة الدينية كأساس للحكم والدعوة إلى إمام من آل بيت رسول الله دون تحديد (الرضى من آل محمد).

المبدأ السياسي : الطعن في خلافة الأمويين باعتبارهم ولاة ظلم وجور، وقد أخذوا الخلافة من أصحابها العباسيين الورثة الوحيدين لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكذلك ما أصاب آل البيت من سوء في عهدهم.

المبدأ الاجتماعي الإصلاحي : الدعوة إلى الإصلاح والعمل بكتاب الله وسنة رسوله والدعوة للمساواة والعدل بين كل المسلمين (وهو شعار استقطب جميع الأجناس وفئات المجتمع الإسلامي). [1]

تنظيم الدعوة:

١. علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب (أظهر نشاطات سياسية في العهد الأموي إلا أنه لم يظهر طموحات عباسية واضحة في الخلافة). [2]

٢. محمد بن علي بن عبد الله (شخصية قوية أظهرت طموحاً نحو الخلافة، وسعى سعياً منظما وسرياً لنيلها)، لكن ما هو الحق الذي استند عليه محمد بن علي، والعباسيون من بعده كأساس للمطالبة بالخلافة، أي كيف انتقل الإدعاء بالخلافة من آل علي إلى آل العباس ؟ تتفق المصادر التاريخية أن أبا هاشم محمد بن الحنفية أوصى محمد بن علي بقيادة الحركة السرية الهاشمية المطالبة بالخلافة، فقد وجد أبو هاشم - لم يكن له خلف - أن محمد بن علي وهو أحد أبناء عمه على غاية من العلم والفهم والإدراك، فأوصى إليه بالأمر من بعده وأمر أتباعه باتخاذ محمد بن علي إماماً ليقودهم من بعده، وبهذا انتقلت الدعوة من الفرع العلوي إلى الفرع العباسي. [3]

---

[1] الطبري . المصدر السابق . ج٤ ، ص١٤٩٨ ؛ رباح ، إسحاق . التاريخ الإسلامي الموجز . دار كنوز المعرفية العلمية ، عمّان : ٢٠٠٩م ، ص١٣٠ .

[2] الطبري . المصدر السابق . ج٤ ، ص١٣٩٦ .

[3] مؤلف مجهول . أخبار الدولة العباسية . تحقيق: عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي ، ط٢ ، دار الطليعة ، بيروت : ١٩٩٧م ، ص١٨٦ ؛ ابن قتيبة . الإمامة . ج٢ ، ٣٨٣،٣٨٤ ؛ المسعودي . التنبيه . ص٣٠٨ ؛ وابن الطقطقا . المصدر السابق . ص٤٣ .

٣. إبراهيم الإمام بن محمد بن علي : أشرف على الدعوة من (١٢٦- ١٣٢هـ /٧٤٣-٧٤٩م) حتى قيام الخلافة العباسية بعد أن اكتشف الخليفة الأموي مروان بن محمد اسم الإمام الذي كان يدير دعوة الرضى من آل البيت، أمر باعتقاله من مقره بالحميمة وسجن في حران ولاقى حتفه فيه عام (١٣٢هـ/٧٤٩م) [١] وكان قد أوصى قبل اعتقاله بأن يكون أخوه أبو العباس إماماً للدعوة العباسية. [٢]

٤. أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي (أخ إبراهيم الإمام) عقدت له البيعة في مسجد الكوفة عام (١٣٢هـ /٧٤٩م)، وهو أول الخلفاء العباسيين. [٣]

مراحل قيام الدعوة وقيام الخلافة:

استمرت الدعوة سلمية سرية منذ عام (١٠٠- ١٢٩هـ /٧١٨-٧٤٦م) حتى أعلن إبراهيم الإمام من مقره بالحميمة بداية الظهور وبداية المرحلة العسكرية سنة (١٢٩- ١٣٢هـ /٧١٨- ٧٤٩م) ابتداءً من ميدان خراسان إلى ميدان العراق إلى ميدان الشام حتى كانت نهاية الخلافة الأموية بمقتل آخر الخلفاء الأمويين (مروان بن محمد). [٤]

أسباب نجاح الدعوة العباسية:

١. دعوتهم إلى اعتماد القاعدة الدينية في الحكم، لذا لقبوا أنفسهم أئمة كأساس للحكم.

٢. دقتها وحسن تنظيمها الديني والسياسي والمالي والعسكري، واعتمادهم لأسلوب السرية والكتمان.

٣. استغلوا مرحلة انتشار الإسلام خاصة في بلاد فارس وخراسان ووظفوا هذه الطاقات الجديدة لصالح الدعوة.

---

[١] المسعودي . مروج . ج٢ ، ص٣٠٥ .

[٢] اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت٢٨٤هـ / ٨٩٦م) . تاريخ اليعقوبي . ج٢ ، دار صادر ، بيروت : د.ت ، ص٣٩٨ ؛ الجهشياري . المصدر السابق . ص٨٥ ؛ الصلابي ، علي محمد . عصر الدولتين الأموية والعباسية . دار البيارق ، عمّان : ١٩٩٨م ، ص٧٩ .

[٣] الطبري . المصدر السابق . ج٤ ، ص١٥٢٣ ؛ فوزي ، فاروق عمر . الثورة العباسية . دار الشروق ، عمّان : ٢٠٠١م ، ص١١٢ .

[٤] الطبري . المصدر السابق . ج٤ ، ص١٤٩٦ ؛ ابن الطقطقا . المصدر السابق . ص١٤٧،١٤٦ ؛ وفوزي . الثورة العباسية . ص١١٢ ؛ الدوري . العصر العباسي . ص٤٧ .

٤. دعوتهم لخليفة من آل البيت دون تحديد، لذلك جمعت العلويين والموالي وكل المناوئين لصالح الدعوة ضد الخلافة الأموية، وفي الوقت المناسب أعلنوا الخلافة العباسية.

٥. اختيار النقباء * من العنصر العربي مع وجود عنصر آخر فارسي (بكير بن ماهان، أبو سلمة الخلال، أبو مسلم الخراساني) وسيرد ذكرهم لاحقاً.

٦. استخدام دعاة العباسية كل الأساليب بما فيها السرية والرمزية في فترة انشغال الخلافة الأموية في الصراع بين أفراد أسرة الحكم، ومستغلين تحاسد الولاة والصراع العصبي القبلي ومن ثم استقطابهم للعلويين والفرس والموالي والعرب الناقمة على الأمويين.

٧. حسن اختيارهم لمراكز الدعوة بين الشام والعراق وخراسان، باعتماد الشام رأس الدعوة ومركزها (الحميمة) مكان التدبير والتنظيم؛ وذلك لموقعها الجغرافي على خط القوافل التجارية وطريق الحج من جهة، كما أنها بعيدة عن المسرح السياسي في دمشق؛ لأنها قليلة الاتصال بالقرى والمدن، ثم الاتجاه نحو العراق (الكوفة) نقطة الاتصال يلتقي فيها الذين يحملون الأوامر والتوجيهات من الحميمة مع الدعاة الذين عادوا من خراسان لينقلوا إلى القادة نتائج كفاحهم، وليتلقوا التعليمات الجديدة، وما يميز الكوفة أنها مقر تجمع العناصر الموالية لآل البيت منذ اتخذها سيدنا علي بن أبي طالب عاصمة له، ثم المرحلة العلنية العسكرية (خراسان) الخزان الرئيسي للدعوة؛ لأنه يوجد بها أكثر المناوئين للدولة الأموية من العرب والفرس والعلويين والموالي. [1]

---

* النقيب: في اللغة، أمين القوم ومقدمهم الذي يتعرف أخبارهم وينقب عن أحوالهم، أي يفتش عنها. قال تعالى: " وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا " المائدة /١٢ . وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد جعل ليلة العقبة لكل جماعة - من الذين بايعوه – بها نقيب على قومه وجماعته، لذلك قيل: النقيب الرئيس الأكبر. انظر الخطيب . معجم . ص٤٢٥ .

[1] مؤلف المجهول . المصدر السابق . ص ٢١٤ ؛ الطبري . المصدر السابق . ج٤ ، ١٣٣٣ ؛ فوزي ، فاروق عمر . الهاشميون الأوائل (١هـ -٩٠٦هـ /٦٢٢-١٥٠٠م). دار مجدلاوي ، عمّان : ٢٠٠٩م ص١٦٥،١٦٤؛ شلبي ، أحمد . موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية . مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة : ١٩٨٥م ، ص٣٢ .

الخليفة أبو العباس عبد الله بن محمد

(١٣٢ - ١٣٦هـ/٧٤٩ - ٧٥٣م)

عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم [١] يكنى أبو العباس والمرتضى والقائم [٢] وأمه ريطة بنت عبيد الله بن عبد الله من بني الحارث، وُلد بالحميمة ونشأ بها. [٣] عُرف عنه أنه كان كريماً حليماً وقوراً عاقلاً، كبير الحياء وحسن الأخلاق، وفصيح اللسان وحسن الرأي وجيد البديهة. [٤] وبما أنه قضى شبابه في الحميمة بالشام؛ فلا شك أنه أشرف على تطورات الدعوة العباسية وأسهم في العمل مع أخيه إبراهيم الإمام في السنوات الأخيرة المهمة، وهي سنوات التحول في تاريخ العباسيين، ولما كان عربي الأم فإن إبراهيم الإمام أوصى له قبيل مقتله برئاسة الدعوة دون أخيهما الآخر أبي جعفر المنصور ابن سلامه البربرية مع أنه كان أسن منه. [٥]

الأحوال الداخلية في عصره:

القضاء على مروان بن محمد ويزيد بن عمرو بن هبيرة

كانت البيعة لأبي العباس بداية العمل الجاد لا نهايته، إذ كانت مهمته شاقة في إرساء قواعد الدولة الجديدة، فمروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية كان لا يزال بجيوشه بالشام، ويزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري (أمير العراق من قِبل الأمويين) مع جيشه القوي في واسط، ومركزه ضعيف في الكوفة، ووزيره أبو سلمة الخلال

---

[١] السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ / ١٥٠٤م) . **تاريخ الخلفاء** . تحقيق: احمد إبراهيم وسعد العيدروسي ، دار الكتاب العربي ، بيروت : ٢٠٠٦م ، ص١٨٥ ؛ القرماني ، أحمد يوسف (ت ١٠١٩هـ / ١٦٠٩م) . **اخبار الدول وآثار الأول في التاريخ** . ج٢ ، تحقيق: أحمد حطيط وفهمي سعد ، عالم الكتب ، بيروت : ١٩٩٢م ، ص٧١ .

[٢] البغدادي ، أحمد بن الخطيب (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) . **تاريخ بغداد** . ج١٠ ، دار الكتاب العربي ، بيروت : ١٩٧١م ، ص٤٦ .

[٣] اليعقوبي . **المصدر السابق** . ج٢ ، ص٣٤٩ .

[٤] الأندلسي ، أحمد بن محمد بن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ / ٩٣٩م) . **العقد الفريد** . ج٤ ، شرحه: أحمد أمين واحمد الزين وإبراهيم الابياري ، دار الأندلس ، بيروت : ١٩٨٨م ، ص ٩٠ ؛ ابن الطقطقا . **المصدر السابق** . ص١٥١ ؛ ابن كثير ، إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) . **البداية والنهاية** . ج١٠ ، راجعه: سهيل زكار ، دار صادر ، بيروت : ٢٠٠٥م ، ص٥٨ .

[٥] اليعقوبي . **المصدر السابق** . ج٢ ، ص٣٩٨ ؛ الجهشياري . **المصدر السابق** . ص٨٥ ؛ الهاشمي ، عبد المنعم . **الخلافة العباسية** . ط٢ ، دار ابن حزم ، بيروت : ٢٠٠٦م ، ص٤٠ .

أصبح لا يثق به، ولكن أبا العباس أظهر مقدرة فائقة، ووضع أسس الدولة العباسية بالتعاون مع إخوته وأعمامه وجميع آل بيته، فأرسل عمه عبد الله بن علي * ليقود الجيش الخراساني ضد مروان بن محمد الذي قرر أن يخوض معركته الأخيرة بنفسه، لكن الجيش الأموي لم يستطع الثبات في أرض المعركة، لأنه غير منسجم فقد مزقته العصبية القبلية، كما أنهكته الحروب الكثيرة التي خاضها، لذا لم يكن بوسع مروان بن محمد إلا الهرب من أرض المعركة باتجاه مصر، حيث قتل في الصعيد بمنطقة بوصير سنة (١٣٢هـ/ ٧٤٩م). [1] كما أرسل جيشاً آخر بقيادة أخيه أبي جعفر المنصور لملاحقة آخر الجيوش الأموية المتحصنة في واسط بقيادة يزيد بن عمر بن هبيرة، فحاصره أبو جعفر المنصور لعدة أشهر، ثم أمنه الخليفة أبو العباس، ولكن يزيد بن هبيرة نكث بالوعد بعد أن قام بالدعوة للعلويين في الخفاء، فأشار أبو مسلم الخراساني على الخليفة بقتله وبالفعل أمر الخليفة أخاه أبا جعفر المنصور فقتله. [2]

إخماد الفتن والثورات الداخلية

قضى على الثورات والفتن التي قامت ضد الحكم العباسي من قِبل أنصار الأمويين في المناطق العربية - فلسطين والشام والجزيرة الفراتية - التي كانت مركزاً للنفوذ العربي، ثم شعرت أن هذا النفوذ لن يلبث أن زال منها وتحول إلى خراسان،

---

* **عبد الله بن علي:** هو عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي، عم الخليفة أبي العباس السفاح وأبي جعفر المنصور، وهو أحد الزجال الدهاة والشجعان، انتدبه الخليفة السفاح لملاقاة مروان بن محمد فهزمه، ولما مات السفاح دعا لنفسه بالخلافة، فبايعه أهل الشام بالخلافة، لذا جهز الخليفة أبي جعفر المنصور جيشاً بقيادة أبي مسلم الخراساني لملاقاته وبالفعل تمكن منه وهزمه، فهرب عبد الله بن علي باتجاه البصرة عند أخوه سليمان بن علي وقد أخفاه مدة، ثم تمكن منه أبي جعفر المنصور وحبسه ثم عمل على قتله سراً. انظر الكوفي ، احمد بن أعثم (٣١٤هـ / ٩٢٥م) . **الفتوح** . ج٤ ، دار الكتب العلمية ، بيروت : ١٩٨٦م ، ص٣٨٢ ,٣٨٣ ؛ وانظر الذهبي . **تاريخ** . ج٣ ، ص٩٠٨ .

[1] الطبري . المصدر السابق . ج٤ ، ص١٥٢٨-١٥٣٠ ؛ ابن الطقطقا . **المصدر السابق** . ص١٤٦،١٤٧ ؛ وأبو الفداء ، الملك المؤيد إسماعيل . **المختصر في أخبار البشر** . تحقيق: محمد رضوان ديوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت : ١٩٩٧م ، ص٢٠٥،٢٠٦ ؛ أكبر ، فائزة إسماعيل . **التاريخ السياسي للخلافة العباسية** . مطبعة الثغر ، جدة : ٢٠٠٣م ، ص٥٤ .

[2] ابن قتيبة . **الإمامة** . ج٢ ، ص٣٠٠،٣٠١ ؛ اليعقوبي . المصدر السابق . ج٢ ، ص٣٥٣ ؛ الطبري . **المصدر السابق** . ج٤ ، ص١٥٣٦- ١٥٣٨ ؛ الذهبي . سير . ج٦ ، ص٢٠٧،٢٠٨ .

وكانت ترفع الأعلام البيضاء، وتسمي نفسها المبيضة كدليل على عصيان العباسيين المعروفين بالمسودة *. [1]

التنظيمات الإدارية :

اتخاذ عاصمة جديدة لدولته : عندما بُويع أبو العباس بالخلافة كان مقيماً بمدينة الكوفة، لكنه لم يكن مطمئناً لأهلها، فنزل في مكان قريب منها عرف بهاشمية الكوفة، واتخذها مقراً له ولحاشيته سنة (١٣٢هـ/٧٤٩م) غير أنه لم يمكث فيها طويلا وانتقل في سنة (١٣٤هـ/٧٥١م) إلى مدينة الأنبار شمالي الكوفة على نهر الفرات، ويبدو أن هذه المدينة أعجبته إذ بنى بجوارها مدينة لنفسه عرفت بهاشمية الأنبار، أقام بها حتى وفاته سنة (١٣٦هـ/٧٥٣م). [2]

اتخاذ أبي سلمة الخلال وزيراً : لكن علينا أن نتذكر أن العباسيين لم يعرفوا بعد نظام الوزارة وسلطات الوزير ومناطق نفوذه بصورة واضحة، لذلك يجب أن لا نتصور أنه منذ اتخاذ أبي سلمة الخلال وزيراً تحددت سلطة الوزير وتعين مركزه وأعماله، وإنما وضع حجر الأساس لهذه المؤسسة عند استيزار أبي سلمة الخلال. [3]

---

* المسودة: السواد كان شعار بني العباس، وكان أشياعهم يرتدونه؛ لذلك سمّاهم التاريخ (بالمسودة)، أما بني أمية فكان شعارهم البياض فسموا (المبيضة)، وكان أول ما لبس العباسيون السواد حين قتل مروان بن محمد إبراهيم الإمام بن محمد، فلبسوه حزناً عليه، فصار شعاراً لهم وأول رجل لبس السواد عبد الله بن علي بن عبد الله عمّ الخليفة أبي العباس السفاح. انظر الصابئ ، هلال بن المحسن (ت ٤٤٨هـ / ١٠٥٥م) . رسوم دار الخلافة . تحقيق: ميخائيل عواد ، دار الآفاق العربية ، القاهرة : ٢٠٠٣م ، ص٧٤ .

[1] الطبري . المصدر السابق . ج٤ ، ص١٥٣٤ ؛ ابن كثير . المصدر السابق . ج١٠ ، ص٢٦٦٣ ؛ العبادي . في التاريخ العباسي . ص٤٤ .

[2] الطبري . المصدر السابق . ج٤ ، ص١٥٢٨- ١٥٤٤ .

[3] ابن الطقطقا . المصدر السابق . ص١٥٣ ؛ الدوري ، عبد العزيز . العصر العباسي الأول . ط٢ ، دار الطليعة ، بيروت : ١٩٩٨م ، ص٥١ .

أصله ونسبه:

هو حفص بن سليمان [1] أو حفص بن غياث بن سليمان [2] الشهير بوزير آل محمد، الداعية العباسي الذي كان له دور فاعل في إسقاط الخلافة الأموية، ولا تتوافر معلومات كثيرة عن تفاصيل حياة أبي سلمة قبل بدء الدعوة العباسية، فقد عدّه البعض من موالي بني سبيع رهط من بني همدان [3] في حين يرى الجهشياري والفخري أنه من موالي بني الحارث بن كعب، [4] بينما المؤلف المجهول عدّه من بني مُسْليه رهط من بني الحارث بن كعب [5] ويورد المصدر نفسه من أن ماهان والد بُكَير كان يعدّ من موالي بني مُسْليه ومن بعده دأب بنو مسليه على اعتبار بكير - الذي كان قبل أبي سلمة متوليا لأمور الدعاة – من مواليهم [6] وكان أبو سلمة الخلال صهر بكير بن ماهان (زوج ابنته) [7]

أما نسبة الخلال التي لُقب بها أبو سلمة فكانت موضعاً للتشكيك والتساؤل، فقد قال البعض إنه كان صرافا وكانت له دكاكين يباع فيها الخل ويشترى [8] أما الجهشياري فيرجعه إلى خلل السيوف وهي الجفون (الأغماد) إذ العرب تسمي من يعملها بالخلال واستشهد بقول الشاعر: أَخْلَقَ الدَّهْرُ بِجَوّ طللاً مِثْلَ ما أَخْلَقَ سيَفُ خِللا [9] ويرى ابن خلكان وابن الطقطقا أنه كان له منزل بالكوفة في حارة الخلالين فحسب ولم يكن هو يمارس هذه المهنة [10] ويؤكد ابن كثير أن الخلال لقب بهذا اللقب لسكنه بدرب الخلالين بالكوفة. [11] ومهما يكن فإن أبا سلمة كان من مياسير أهل

---

[1] الجهشياري . المصدر السابق . ص٨٤ .
[2] الصابي . المصدر السابق . ص١٢٩ .
[3] المسعودي . التنبيه . ص٣٠٩ ؛ ابن الأثير ، علي بن أبي الكرم محمد (ت ٦٣٠هـ) . الكامل في التاريخ . ج٤ ، دار الكتاب العربي ، بيروت : ١٩٨٦م ، ص٣٢٢ ؛ ابن خلكان . وفيات . ج٢ ، ص١٩٧ .
[4] الجهشياري . المصدر السابق . ص٨٣ ؛ ابن الطقطقا . المصدر السابق . ص١٥٣ .
[5] مؤلف مجهول . المصدر السابق . ص١٩١ .
[6] المصدر نفسه ، ص١٩١ .
[7] الجهشياري . المصدر السابق . ص٨٣ .
[8] مؤلف مجهول . المصدر السابق . ص ٢٥٨ ؛ الذهبي . سير . ج٦ ، ص٨ .
[9] الجهشياري . المصدر السابق . ص ٨٤ .
[10] ابن خلكان . المصدر السابق . ج٢ ، ص١٩٦ ؛ ابن الطقطقا . المصدر السابق . ص١٥٣ .
[11] ابن كثير . المصدر السابق . ج١٠ ، ص٢٦٦٥ .

الكوفة، ولم يتوانَ عن بذل المال لدعم الدعوة العباسية - فكان مثل عثمان بن عفان وصحابة آخرين في بذلهم المال لدعم الدعوة الإسلامية - كما أنه كان سمحاً كريماً فصيحاً بالأخبار والأشعار والسير وتفسير القرآن وكان حاضر الحجة كثير الجد، [1] وكان يتأنق في السلاح والدواب، ولكنه لا يتأنق في ثوبه. [2]

تلقيبه بالوزير:

يتفق غالبية المؤرخين الرواة بأن أبا سلمة الخلال لقب بلقب "وزير" قبل إعلان الخلافة العباسية فالطبري أطلق عليه في روايةٍ تاريخيةٍ "وزير الإمام" [3] أي وزير إبراهيم الإمام، كما خاطبه أبو مسلم الخراساني * بلقب الإمارة والوزارة عندما كان يكاتبه : للأمير حفص بن سليمان، وزير آل محمد من عبد الرحمن بن مسلم، أمير آل محمد، كذلك عندما هُزم يزيد بن عمرو بن هبيرة وقصد واسط دخل الحسن وحميد ابنا قحطبة بن شبيب الطائي إلى الكوفة سنة (١٣٢هـ/٧٤٩م) وأظهروا أبا سلمة وسلموا إليه الرّياسة وسموه وزير آل محمد. [4]

الدور السياسي لأبي سلمة الخلال

أولا: علاقته بالدعوة العباسية

تبدأ علاقة أبي سلمة الخلال بالدعوة العباسية على عهد محمد بن علي بن عبد الله بن عباس عندما كان أوائل الدعاة، وأتباع الدعوة العباسية يعرفون وتكتب أسماؤهم في الديوان، وكان أبو سلمة من بينهم حيث كان مرافقا لبكير بن ماهان الذي أوكل إليه محمد بن علي مهمة إدارة شؤون الدعاة، وطلب إليه التوجه إلى خراسان وأخذ البيعة

---

[1] ابن الطقطقا . المصدر السابق . ص١٥٥،١٥٤ ؛ فوزي . الجذور التاريخية . ص٢٣ .
[2] الجهشياري . المصدر السابق . ص٨٦ .
[3] الطبري . المصدر السابق . ج٣ ، ص٧١ .
* أبو مسلم الخراساني: عبد الرحمن بن مسلم وقيل عبد الرحمن بن عثمان بن يسار، كان قصيراً، أسمراً جميلاً، نقي البشرة، أعور العين، عريض الجبهة، حسن اللحية، طويل الشعر، خافض الصوت، فصيحاً بالعربي والفارسي، حلو المنطق وعالما بالأمور، لم يُر ضاحكا ولا مازحا إلا في وقته، ولد سنة (١٠٠هـ)، كان أمير خراسان من قِبل الخليفة أبي العباس السفاح،وقتل على يد الخليفة أبي جعفر المنصور سنة (١٣٧هـ). انظر الذهبي . سير . ج٣ ، ص٧٦٥،٧٦٦ .
[4] اليعقوبي . المصدر السابق . ج٢ ، ص ٢٥٣ ؛ الجهشياري . المصدر السابق . ص٨٤ ؛ ابن الطقطقا . المصدر السابق . ص١٥٣ .

من الأنصار، فيروي المؤلف المجهول أن محمد بن علي بن عبد الله تناول قرطاساً " فجعل يكتب بخطه ويُملي عليه ابن جبير، فكان أول من ذكر له سالم بن بجير الذي يقال له سالم الأعمى، وأبو هاشم بكير بن ماهان، فأما بكير فإن أباه كان مولى لرجل من بني مسليه سكن الشام بالأردن، وكان بكير ابنه ينزله بنو مسليه من صليبتهم، وكان من أهل الديوان... وحفص بن سليمان وهو أبو سلمة الخلال، وحفص الذي يدعى الأسير... "[1] ولما أشرف محمد بن علي على الموت أوصى ابنه إبراهيم الإمام بالتضامن والتعاون مع بكير بن ماهان، لذا بعد وفاة محمد بن علي (١٢٥هـ/ ٧٤٣م) قام إبراهيم الإمام الذي كان قد أخذ على عاتقه قيادة الدعوة بوصيه من أبيه، بإرسال بكير بن ماهان إلى خراسان ليبلغ النقباء والدعاة نبأ وفاة محمد بن علي وتوليه هو قيادة الدعوة وليرسلوا أحداً من جانبهم للقاء إبراهيم الإمام، فقدموا إلى الكوفة ثم ذهبوا مع أبي سلمة الخلال إلى مكة للقاء إبراهيم الإمام ومن هناك اتجه أبو سلمة مع إبراهيم الإمام إلى جبل الشراة *.[2] ويروى الجهشياري أنه لما حضرت الوفاة أبا هاشم بكير بن ماهان (١٢٧هـ /٧٤٤م)، كتب إلى إبراهيم الإمام يخبره بأن يستخلف صهره أبا سلمة حفص بن سليمان " أنه كتب في أول يوم من أيام الآخرة، وآخر يوم من أيام الدنيا، وأنه قد استخلف حفص بن سليمان "[3] وبالفعل بعد وفاة بكير بن ماهان كتب إبراهيم الإمام إلى أبي سلمة يأمره بأمر أصحابه كما كتب إلى أهل خراسان ليخبرهم أن أمرهم أسند لأبي سلمة[4] ومضى أبو سلمة إلى خراسان وبرفقته أبي مسلم الخراساني، وهناك التقوا بالشيعة العباسيين، وطلب إليهم أبو سلمة أن يعدوا أنفسهم للثورة، وعيّن سليمان بن كثير الخزاعي زعيما لشيعة خراسان، ثم عاد مع أبي مسلم إلى الكوفة، وخلال لقائهما بإبراهيم الإمام قاما بتسليمه الأموال التي جمعاها من الخراسانيين، وفي أعقاب ذلك أوكل إبراهيم الإمام مهمة الإشراف على الدعوة في

---

[1] مؤلف المجهول . المصدر السابق . ص١٩١ .

* جبل الشراة: جبل شامخ مرتفع بالشام، ما بين الشام ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن نواحيها القرية المعروفة بالحميمة التي يسكنها ولد علي بن عبد الله بن العباس في أيام بني مروان. الحموي ، ياقوت بن عبدالله . معجم البلدان . ج٣ ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت : د.ت ، ص٣٣١ .

[2] مؤلف المجهول . المصدر السابق . ص١٩١ ؛ الطبري . المصدر السابق . ج٤ ، ص١٤٧١ ؛ فوزي . الثورة العباسية . ص١١٨ .

[3] الجهشياري . المصدر السابق . ص٨٤ .

[4] المصدر نفسه ، ص٨٤ ؛ ابن الطقطقا . المصدر السابق . ص١٥٤ .

الولايات المركزية الشرقية - خراسان، سجستان، كرمان، جرجان، الري، همدان، وأصفهان – إلى أبي مسلم، وأما ولايات العراق والجزيرة الفراتية وبلاد الشام إلى أبي سلمة [1] أثناء ذلك اكتشف الخليفة الأموي مروان بن محمد اسم الإمام المنظم للدعوة وهو إبراهيم بن محمد بن علي فأمر بإلقاء القبض عليه فأدرك إبراهيم الإمام أن نهايته قد قربت فأوصى سنة (١٣١هـ/٧٤٨م) إلى أخيه أبي العباس وأمر أهل بيته أن يسمعوا له ويطيعوا وطلب إليه أن يذهب بأهله خفية إلى الكوفة، فسار أبو العباس مع زمرة من أهله وأقاربه وجماعة من مواليهم إلى الكوفة واخبروا أبا سلمة الخلال بقدومهم عندما شارفوا على أبواب المدينة، فأنكر أبو سلمة الخلال ذلك وقال: خاطروا بأنفسهم وعجّلوا، وأراد أن يبقيهم خارج الكوفة لكنهم ذكروه بخطر ذلك لأنهم ليسوا في مأمن من جيوش الشام، فسمح لهم بدخول الكوفة على كره منه في المحرم سنة (١٣٢هـ/٧٤٩م) وأنزلهم في دار الوليد بن سعد الجمال مولى بني هاشم، وكتم أمرهم نحو شهرين عن جميع القواد والشيعة. [2] في ذلك الوقت كانت السيادة في الكوفة للشيعة العباسية، فبعد هزيمة يزيد بن عمرو بن هبيرة دخل الحسن ابن القائد قحطبة بن شبيب الطائي مدينة الكوفة سنة (١٣٢هـ/٧٤٩م)، وسلم الأمر لأبي سلمة الخلال الذي عسكر في منطقة (حمام أعين) التي تبعد ثلاث فراسخ عن الكوفة (تسعة أميال) وفرق عماله على السهل والجبل، وصارت الدواوين بحضرته والكتب ترد منه وتنفذ عليه.[3]

والغريب أن الكوفة التي أنشئت لتكون نقطة اتصال بين خراسان والحميمة أصبحت نقطة الالتقاء بين الجيوش الزاحفة من خراسان والهاتفة لآل البيت وبين آل البيت النازحين من الحميمة، وأصبح أبو سلمة الخلال نفسه نقطة الاتصال؛ فهكذا أصبح الأمر كله في يد أبي سلمة الخلال لهذا حاول أبو سلمة أن يلعب دوراً سياسياً بارزاً وخطيراً على مسرح الأحداث، فكما كان له دوره الذي لا يستهان به في قلب الحكم

---

[1] مؤلف المجهول . المصدر السابق . ١٣٠ ؛ الطبري . المصدر السابق . ج٤ ، ص١٤٩٦ ؛ الجهشياري . المصدر السابق . ص٨٤ ؛ فوزي ، الثورة العباسية ، ص١٦٦ .

[2] اليعقوبي . المصدر السابق . ج٢ ، ص٣٩٨ ؛ الطبري . المصدر السابق . ج٤ ، ص١٥٢٧ ؛ الجهشياري . المصدر السابق . ص٨٥ ؛ المسعودي . مروج . ج٣ ، ص٣٠٥ .

[3] ابن قتيبة . الإمامة . ج٢ ، ص٣٠١،٣٠٠ ؛ اليعقوبي . المصدر السابق . ج٢ ، ص٣٥٣ ؛ الطبري . المصدر السابق . ج٤ ، ص١٥٣٦؛ الجهشياري . المصدر السابق . ص٨٦،٨٥ ؛ فوزي . الثورة العباسية . ص١٥٢.

الأموي، أراد كذلك قلب الحكم العباسي إلى علوي في أشد أوقات تاريخ الدعوة العباسية حرجاً. [1]

فتتفق المصادر التاريخية في أن الخلال أراد نقل الخلافة إلى العلويين عندما بلغته وفاة إبراهيم الإمام، فيقول ابن قتيبة " كان أبو سلمة يريد صرف الخلافة إلى ولد علي " [2] ، ويذهب اليعقوبي إلى أنه أخفى أبا العباس وأهل بيته لأنه " دبر أن يصير الأمر إلى بني علي " [3] بينما يقول الطبري " وأراد تحويل الأمر إلى آل أبي طالب " [4] ويقول الجهشياري " وكان لما صح عنده موت إبراهيم لقى رجالاً من شيعة علي رضوان الله عليه، فناظرهم على نقل الأمر إلى ولد علي " [5] ويؤكد المسعودي ذلك بقوله " كان أبو سلمة حفص بن سليمان – حين بلغه مقتل إبراهيم الإمام – أضمر الرجوع عما كان من الدعوة العباسية إلى آل أبي طالب " [6] إذاً أراد الخلال أن يبايع العلويين، وكان مدفوعا بميوله في ذلك فالكوفة كانت علوية، ولما كانت غاية الموالي الأولى التخلص من الأمويين انضم الخلال إلى الدعوة العباسية المنظمة لهذا الغرض،ولكن انتصار الجيوش العباسية ومقتل إبراهيم الإمام أفسح المجال له ليحقق ما كان يميل إليه حقيقة وخاصة، وأن المدعو له - أبي العباس - لم يكن معروفا عند الجمهور. فكتب الخلال إلى ثلاثة من العلويين ليعقد الأمر لأحدهم وهم: أبو عبد الله جعفر بن محمد بن علي الحسيني (الصادق)، عبد الله بن حسن المحض بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وعمر الأشرف بن علي زين العابدين بن الحسن، وأرسل الكتب مع رجل من مواليهم، وهو محمد بن عبد الرحمن بن أسلم - وكان أسلم مولى لرسول الله - وقال له: اقصد أولاً جعفر بن محمد الحسيني فإن أجاب فأبطل الكتابين الآخرين وان لم يجب فاقصد عبد الله المحض فإن أجاب فأبطل كتاب عمر وان لم يجب فاقصد عمر. فذهب الرسول إلى جعفر بن محمد الصادق ودفع إليه كتاب أبي سلمة فقال

---

[1] أكبر ، فايزة إسماعيل . وزراء العصر العباسي الأول . مجلة المؤرخ العربي . العدد ٨ ، مج ١ ، اتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة : ٢٠٠٠م ، ص٧ .
[2] ابن قتيبة . الإمامة . ج٢ ، ص٢٩٢ .
[3] اليعقوبي . المصدر السابق . ج٢ ، ص٣٤٩ .
[4] الطبري . المصدر السابق . ج٤ ، ص١٥٣٧ .
[5] الجهشياري . المصدر السابق . ص٨٦ .
[6] المسعودي . مروج الذهب . ج٣ ، ص٣٠٧ .

جعفر الصادق: مالي ولأبي سلمة وهو شيعة لغيري. فقال له الرسول: أقرأ الكتاب. فقال الصادق لخادمه: قرب السراج مني، فقربه فوضع الكتاب على النار حتى احترق. فقال الرسول: ألا تجيبه؟ فرد الصادق: قد رأيت الجواب. ثم مضى الرسول إلى عبد الله المحض ودفع إليه الكتاب فقرأه وقبله، وأخبر جعفر الصادق بذلك وقال: هذا كتاب أبي سلمة يدعوني فيه إلى الخلافة، وقد وصل على يد بعض شيعتنا من خراسان. فقال له الصادق: ومتى صار أهل خراسان شيعتك؟ هل أنت وجهت إليهم أبا مسلم وهل تعرف أحد منهم باسمه أو صورته؟ فكيف يكونون شيعتك وأنت لا تعرفهم وهم لا يعرفونك، لكن عبد الله المحض رفض كلام الصادق فقال له: والله لا يمنعك من ذلك إلا الحسد، فقال له الصادق: والله ما هذا إلا نصح مني لك، ولقد كتب إلي أبي سلمة بمثل ما كتب به إليك فلم يجد رسوله عندي ما وجد عندك ولقد أحرقت كتابه من قبل أن أقرأه، فانصرف عبد الله المحض من عنده غير راض. وأما عمر بن زين العابدين فإنه رد الكتاب وقال: أنا لا أعرف صاحبه فأجيبه. [1] ويقول اليعقوبي أن عبد الله بن حسن المحض رجل كبير في السن، فقال إلى رسول أبي سلمة الخلال إنّ ابني محمداً (النفس الزكية) أولى بهذا الأمر، فأرسل عبد الله بن حسن المحض إلى جماعة بني أبيه لكي يبايعوا ابنه محمداً. [2] وربما كان لتأخر جواب عبد الله بن حسن المحض، وسرعة اكتشاف قواد الثورة للأمر قد أفشل أمر نقل الخلافة إلى البيت العلوي.

فالخراسانيون فرضوا مرشحهم العباسي- عبد الله بن محمد- عندما ارتابوا من تصرفات أبي سلمة وتكلموا، وقالوا له: يا أبا سلمة، مالك خَرَجّنا من قعر خراسان ولا إليك دَعونا وما أنت لنا بإمام، [3] ثم اكتشف محمد بن إبراهيم الحميري- ويُكنى أبو حُميد السمرقندي- مكان العباسيين عندما التقى سابقا الخوارزمي- وهو غلام أهدوه

---

[1] المسعودي . مروج الذهب . ج٣ ، ص٣٠٨،٣٠٧ ؛ التنوخي ، المحسن بن أبي القاسم (ت ٣٨٤هـ/ ٩٩٣م) . الفرج بعد الشدة . ج١ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة : ١٩٩٤م ، ص٣٤٨ ؛ ابن الطقطقا . المصدر السابق . ص١٥٥،١٥٤ ؛ والدوري . العصر العباسي . ص٤٤ .

[2] اليعقوبي . المصدر السابق . ص٣٤٩ .

[3] الجهشياري . المصدر السابق . ص٨٦ .

الخراسانيون لإبراهيم الإمام- في سوق الكناسة بالكوفة، [1] فسأله عن إبراهيم الإمام فقال قتله محمد بن مروان في الحبس، فقال أبو حميد: فإلى من الوصية؟ قال: إلى أخيه أبي العباس، فسأله عن مكانه، فقال سابقا: انه هنا بالكوفة مع أخيه وجماعة من أعمامه، وأهل بيته منذ شهرين، [2] فأخبر أبو حميد بعض القواد الخراسانيين وعلى رأسهم أبو الجهم بن عطية الباهلي، فمضوا إلى أبي العباس ومعهم رفاقهم في السلاح فسلموا على أبي العباس وبايعوه بالخلافة، [3] ويقول الجهشياري: " أنه لما بلغ الخبر أبا سلمة ركب في أصحابه فأغلق الباب دونه، فاستفتح أصحاب أبي سلمة الباب، وقالوا: وزير آل محمد؛ فأسمعوه بعض ما يَكره. فقال أبو حميد: افتحوا له حتى يُريه الله ما يُرْغِم أنفه، فدخل الخلال فاستقبل القِبلة فسجد ثم سلم، وقبّل يد أبي العباس وقدميه وبدأ بالاعتذار. فقال له أبو العباس: عذرناك يا أبا سلمة، غير مُفنّد وحقك لدينا معظم، وسابقتك في دولتنا مشكورة، وزلتك مغفورة، انصرف إلى معسكرك لا يدخله خلل، فانصرف إلى معسكره بحمام أعين " [4] وفي اليوم التالي خرج أبو العباس إلى المسجد تصحبه ثلة من الجند من ألفي فارس إذ لم يكن واثقا من تأييد الكوفيين وهنالك كانت البيعة العامة. [5]

لكن ما هي مبررات أبي سلمة الخلال في تحويل الخلافة إلى بيت علي بن أبي طالب؟ هل كان مخلصا، أم اختلط عليه الأمر فتعثر؟ أم هو بالفعل خان الأمانة التي وضعها بنو العباس في يده، وهل كان مخدوعا مع المخدوعين فظن أن الأمر حقا للرضى من آلِ محمد فحاول أن يختار هو الرضا من آل محمد؟ أم كان أنانيا فأراد أن يبقي الأمر في يده ويعين خليفة من العلويين يحس دائما أنه مدين بمنصبه لأبي سلمة؟

في الحقيقة يختلف المؤرخون في الدوافع التي دفعت الخلال للقيام بهذه المناورة، فمنهم يقول: بأنه أراد أن يجعل الأمر شورى بين بني هاشم من عباسيين وعلويين ولكنه عدل عن ذلك وقال: أخاف ألا يتفقوا، فالمسعودي يقول " أنه خاف انتقاض

---

[1] الأزدي ، يزيد بن محمد بن إياس (ت ٣٣٤هـ / ٩٤٥م) . تاريخ الموصل . تحقيق: علي حبيبة ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة : ١٩٦٧م ، ص١٢١ .
[2] المسعودي . مروج الذهب . ج٣ ، ص٣٠٩ .
[3] اليعقوبي . المصدر السابق . ج٢ ، ص٣٥٠ .
[4] الجهشياري . المصدر السابق . ص٨٧ .
[5] الطبري . مصدر السابق . ج٤ ، ص١٥٢٧ .

الأمر وفساده بعد وفاة إبراهيم الإمام "[1] وقلق على مصير الدعوة كما أشار على العباسيين بقوله " ينبغي أن يتربصوا فإن الناس بايعوا إبراهيم الإمام وقد مات ولعل أمراً ما سيحدث "[2] ولكن آخرون يعتقدون أنه كان عازما على نقل الخلافة إلى العلويين وخطط لذلك لأنه أخر إظهار اسم الخليفة العباسي أو البيعة له ولذلك يقول اليعقوبي ويؤيده ابن قتيبة والجهشياري والطبري والمسعودي - كما ذكرنا سابقا - إن الخلال " دبر أن يصير الأمر إلى بني علي ".[3]

ويرى البعض إن إخلاص الخلال لم يكن قويا للعباسيين، لكن في الحقيقة كان ولاءه لإبراهيم الإمام بالذات، وعلاقته كانت وطيدة بشخصه؛ ولهذا فحين سمع بمقتله أراد أن يجعل الخلافة علوية، وراسل ثلاث شخصيات علوية لمعرفة موقفهم من قبول منصب الخلافة، كما أنه لم يكن واثقا من أبي العباس؛ حيث أن علاقته به لم تكن وثيقة كعلاقته بإبراهيم الإمام؛ ولهذا أرجا خروجه، ولأنه أدرك إذا تسلم أبو العباس السلطة ربما سيحد من نفوذه القوي في العراق، والذي أخذ يتعاظم بعد نجاح الدعوة العباسية، وسيطرة الشيعة العباسية على الكوفة؛ ولذلك حاول الخلال أن يجد شخصية هاشمية غير عباسية ينصبها الخلافة، ويحتفظ هو بنفوذه السياسي الكبير؛ ذلك لأنه سيكون صاحب الفضل على الخليفة الجديد، وسيلعب دور صانع الملوك في الدولة الجديدة.[4]

وفي الحقيقة أن تردد أبي سلمة الخلال لأسابيع عديدة بشأن قضية تنصيب أمير جديد كان خطأ سياسياً يثير الاستغراب؛ لأنه بالرغم من أنه كان يحاول أن يدعو إلى الرضى من آل محمد، أي أن يجد فرداً من عائلة الرسول صلى الله عليه وسلم يكون مقبولا لدى الجميع إلا أنه لم ينتبه إلى أن قادة الثورة العسكريين كأبي الجهم الباهلي ورفاقه قد قرروا أن النهج الأفضل لتامين استمرار نجاح ثورتهم يقضي باستلام

---

[1] المسعودي . مروج . ج٣ ، ص٣٠٧ .
[2] المقدسي . البدء والتاريخ . ج٦ ، ص٦٧ .
[3] اليعقوبي . المصدر السابق . ج٢ ، ص٣٤٩ .
[4] الجهشياري . المصدر السابق . ص٨٦ ؛ فوزي ، فاروق عمر ، **العباسيون الأوائل** ، ج١ ، دار مجدلاوي ، عمّان ، ٢٠٠٣م ، ص٦٢ .

الأمور بأيديهم والتمسك بسلطتهم التي أحرزوها، لذا سارعوا إلى البحث عن خليفة إبراهيم الإمام- أبي العباس- ومبايعته. [1]

لذا باءت محاولة الخلال بالفشل لأسباب منها: أن العلويين ساورهم الشك من محاولة الخلال عرض الخلافة عليهم، وكان هذا العرض قد حدث فجأة دون مقدمات؛ لذا أوقعهم في حيرة من أمرهم؛ لذا ترددوا، والسياسة تتطلب المغامرة. ثانيا قوة الدعاة والقواد العباسيون الذين اكتشفوا مكان أبي العباس وأعلنوا بيعته بين الناس مما اضطر الخلال إلى الاعتراف بالأمر الواقع والبيعة له. [2] ثالثا أن بني العباس الذين أشعلوا الثورة ووضعوا الخطط وبثوا الدعاة وضحوا بدمائهم من أجلها مما لا شك فيه ما كانوا ليسمحوا للعلويين أن يأخذوها لقمة سائغة دون جهد أو نضال، كما أنه لم يكن أصلا للعلويين من قوة التنظيم، وكثرة الأنصار ما يمهد لهم الوصول إلى الخلافة، لذا فالخاسر الأكبر من هذه المخاطرة كان أبو سلمة الخلال؛ لأن في عالم السياسة لا يمكن العفو على مثل هذه الزلة.

ثانيا: صلاحياته

كان الاتصال مستمراً بين زعماء الدعوة في الكوفة (العراق) ومرو (خراسان)، وكان أبو سلمة يصدر من قِبل إبراهيم الإمام أوامر إلى سليمان بن كثير الخزاعي نقيب النقباء وأبي مسلم الخراساني ممثل الإمام، وفي الفترة التي كان فيها جيش خراسان بقيادة قحطبة بن شبيب الطائي متجهاً إلى الكوفة خرج يزيد بن عمر بن هبيرة والي العراق الأموي لمحاربته، فأرسل أبو سلمة دعاته ورسله إلى العرب البدو المقيمين في أطراف الكوفة والبصرة وأثارهم - بتطميعهم بالغارة وكسب الغنائم - ضد الشاميين، كذلك وجه حميد بن قحطبة إلى المدائن ومالك بن طرّاف إلى هيت ومعه خمسة آلاف رجل، كما وجّه بسام بن إبراهيم إلى الأهواز وخالد بن برمك والمسيّب

---

[1] شعبان ، محمد عبد الحي محمد ، التاريخ الإسلامي في تفسير جديد ، الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨١م ، ص١٤،١٣ .

[2] فوزي . العباسيون الأوائل . ج١ ، ص٦٢ .

بن زهير إلى السوس وجند نيسابور وعبد الرحمن بن يزيد بن المهلب إلى عين التمر.[1]

كما أرسل أيضا إلى محمد بن خالد القسري رسالة طلب إليه فيها أن يلبس السواد ويثور بمن معه، وبالفعل ارتقى محمد بن خالد القسري منبر الكوفة وخلع الخليفة الأموي مروان بن محمد من الخلافة، ودعا الناس إلى خلافة أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم فبايعه أهل الكوفة على ذلك، وخلال ذلك أرسل إليه أبو سلمة أن يختم على خزانة بيت المال وأعلم قحطبة بذلك، إلا أن قحطبة قتل قبل أن يصل الكوفة، فقام ولده الحسن - بناء على وصية والده – بقيادة الجيش إلى الكوفة حيث كان أبو سلمة هناك، فسلم إليه الحسن الأمر وكان ذلك في شهر محرم سنة (١٣٢هـ/٧٤٩م)، وقد وقف له الناس واستقبله القواد، فلم يبق أحد منهم إلا نزل إليه وقبّل يده وكان الخلال يبادلهم ذلك فكان يسلم على عوامهم، ويدعو بالبركة لهم، وبات ليلته وقد أطافت الخراسانية به، وعظمّت أمره، وفي صبيحة اليوم التالي جمع أبو سلمة الجند بأسرهم وألقى فيهم خطبة بشّر فيها الناس بالنصر على بني أمية، وقال إنه سيزيد في أعطيات الجند، وكان مما قاله: " إن الله قد أكرمكم بهذه الدعوة المباركة التي لم تزل القلوب تتشوق إليها فخصكم الله بها، وجعلكم أهلها، ألا وإنه ليس لأحد فيها شرف إلا بعدكم، ولا منزلة في حباء ولا مجلس ولا مدخل ولا مخرج عند أئمتكم إلا دونكم، ألا وإنها دولتكم فاقبلوها وأيقنوا بنصر الله...إن أهل بيت اللعنة كانوا يفرضون لجندهم في السنة ثلاث مئة درهم، وإني قد جعلت رزق الرجل منكم في الشهر ثمانين درهماً، وسأخص قوادكم وأهل القدم والسوابق منكم بخواص سنية أجريها عليكم لكل رجل بقدر استحقاقه، فابشروا وقروا عيناً... "[2] وبالفعل بعد تحول أبي سلمة الخلال إلى معسكره في حمام أعين، فرض للجند فجعل للجندي ثمانين درهماً في الشهر، وكبار القادة ما بين ألف إلى ألفين، ومن هم دون القادة ما بين مئة إلى ألف.[3]

---

[1] مؤلف المجهول . المصدر السابق . ص٣٧٧،٣٧٨ .
[2] المصدر نفسه . ص٣٥٦ .
[3] المقدسي . المصدر السابق . ص٢٨٣ .

كما عين أفراداً لإدارة الدواوين في الكوفة والمناطق الأخرى، فولى أبا الجهم ديوان الجند، وأبا غانم الشرط، وعبد الله بن بسام الحرس، وعمرويه الزيّات حجابته، والمغيرة بن الريان الخراج ثم نقله إلى ديوان الرسائل، وولى يوسف بن ثابت ديوان الخراج، وولى الصوافي والقطائع والخزائن عبد السلام بن عبد الرحمن بن نعيم الغامدي، وبعث إلى بيت المال والخزائن فحمل ما فيها إلى العسكر، وأعطى الجند منه جميعا، وكان ذلك أول ما قبض من ديوان بني العباس وأنفذ أبو سلمة عمّال الخراج إلى كل كور فجنى الخراج؛ لذا عندما تولى أبو العباس كانت بيوت الأموال ممتلئة.[١]

وعلى ذلك نرى أن المصادر التاريخية لم تحدد بالضبط مسؤوليات الخلال وصلاحياته كوزير، ولكنها تذكر تعيينه للعديد من الولاة والعمال على البلدان والدواوين وإرسال الجيوش وقيادته لبعض العمليات العسكرية ضد جيوب الأمويين هنا وهناك، وقد انفرد أبي سلمة الخلال بهذه السلطة الفعلية إلى أن بويع أبو العباس بالخلافة، ولكن هذه السلطة انتهت بسرعة بعد أقل من أربعة أشهر، من ربيع الأول إلى رجب سنة (١٣٢هـ/ ٧٤٩م)؛ لذا فإن إطلاق لقب الوزير على الداعية أبي سلمة الخلال لا يدل على أن الوزارة " كمؤسسةٍ رسميةٍ " قد بدأت أعمالها وصلاحياتها مع بداية الدولة العباسية لأن اللقب يحمل جانباً معنوياً وليس رسمياً، بمعني أن أبا سلمة الخلال لم يكن وزيراً بتعيين رسمي، وليس له صلاحيات محددة يمارسها.

مقتله :

من المعروف في تاريخ أغلب الثورات أن الثورة تقضي على رجالها الذين قاموا بها، أي أن الثوار ينقسمون وهذا ما حدث فعلا في أعقاب الثورة العباسية، ففي خراسان حاول أبو مسلم التخلص من الدعاة المتنفذين والشخصيات ذات الطموح والتأثير، وفي العراق حاول الخلفاء العباسيون التخلص من الدعاة، وقادة الثورة الذين أفنوا أعمارهم في خدمة الدعوة العباسية وإنجاحها؛ وذلك لأن نفوذ الخليفة بدأ يصطدم بنفوذ هؤلاء الرجال البارزين في الدولة، مما دعا الخليفة إلى التخوف منهم، والشك بهم، ثم

---

[١] مؤلف المجهول . المصدر السابق . ص٣٧٧،٣٧٦ ؛ الجهشياري . المصدر السابق . ص٨٥،٨٤ .

التخطيط للتخلص منهم، إما عن طريق الاغتيال، أو بدفعهم إلى التمرد بشكل أو بآخر. وفي الحقيقة لم يكن خوف العباسيين في بداية قيام دولتهم من قادتهم الخراسانيين ذوي الميول الشيعية بأقل من خوفهم من الأمويين، فعملوا على التخلص من بعض القادة الذين ساندوهم في الوصول إلى الحكم بعدما ظهرت منهم بوادر تمردية مثل أبي سلمة الخلال، ولم تكن الظروف تسمح بمقارعتهم بالقوة العسكرية ولجأوا إلى أسلوب المؤامرة، والاغتيال الفردي على يد عناصر خراسانية مثلهم حتى يبعدوا عنهم صفة الغدر بقتل رجالهم، وعلى الرغم من المكاسب السريعة التي حققها أبو العباس المدعومة من آل البيت، فإنه ظل يشك في إخلاص وزيره أبي سلمة الخلال، وعدّه منافساً خطيراً له ولحكمه؛ لذلك كثيراً ما وقع التصادم بينهما لعدم تحديد صلاحيات كل منهما، فيذكر المؤرخون بأن أبا سلمة كان ينفذ الأمور من غير مؤامره، أي دون مشاورة وإنه كان يظهر الإدلال والقدرة على أمير المؤمنين [1] كما أن الخليفة أبا العباس لم ينس له تلك البادرة في تحويل الخلافة إلى العلويين، فعندما ثبّت أقدامه في الحكم أحس بأن الفرصة مواتيه للتخلص من وزيره، [2] فكتب إلى أبي مسلم الخراساني يُعْلمّهُ رأيهُ في أبي سلمة الخلال، وما كان هم به من الغش وما يتخوف منه، فكتب له أبو مسلم: إن كان اطلع على ذلك منه فليقتله، لكن داود بن علي نصح الخليفة أبا العباس أن لا يبادر هو ليقتل أبا سلمة - حتى لا تؤخذ عليه - وإنما يترك المهمة لأبي مسلم الخراساني، وبالفعل أرسل أبو مسلم الخراساني برجل من عنده اسمه مرار بن انس الضبي، فقدم على الخليفة أبي العباس في المدينة الهاشمية، وأعلمه سبب قدومه، وفي إحدى الليالي كان أبو سلمة في حضرة أبي العباس وبقي معه حتى وقت متأخر من الليل، وعندما خرج من عنده منصرفا إلى منزله بمفرده، تعرّض له مرار بن أنس

---

[1] ابن قتيبة . **الإمامة** . ج٢ ، ص١٢٠ . الدينوري ، أحمد بن داود (ت٢٨٢هـ /٨٩٤م) . **الأخبار الطوال** . تحقيق: عبد المنعم عامر ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، القاهرة : د.ت. ص٣٧٠ .

[2] الطبري . **المصدر السابق** . ج٤ ، ص١٥٢٧ ؛ فوزي . **الثورة العباسية** . ص١٦٥ ؛ وأكبر . **التاريخ السياسي** . ص٦٢ .

ومن كان معه من أعوانه فقتلوه. وحتى يتم التستر على الأمر؛ أشيع بان الخوارج هي من قتلت أبا سلمة الخلال، وكان ذلك سنة (١٣٢هـ /٧٤٩م). [١]

وفي الحقيقة أن المنافسة بين الرجلين أبي مسلم وأبي سلمة لعبت دوراً كبيراً في التعجيل بالتخلص من الأخير، إذ وجه أبو مسلم بعد ذلك محمد بن الأشعث الخزاعي إلى بلاد فارس، وأمره أن يقصي جميع أنصاره - أبي سلمة - من المناصب التي عينهم عليها وعين بدلاً منهم شخصيات عباسية من قِبل أبي العباس، [٢] وهكذا قتل أول من وقع عليه لقب الوزارة في الدولة العباسية، ولم تشفع له سابقته في الدعوة وإسهاماته الجليلة في خدمة الدعوة العباسية، وجهوده في قلب حكم الدولة الأموية.

اختلف المؤرخون فيمن تولى الوزارة بعد مقتل أبي سلمة الخلال، فابن الطقطقا يقول: " أن لقب الوزارة أصبح مشؤوما بعد مقتل أبي سلمة الخلال، وأن كل من استوزر بعد قتل أبي سلمة كان يتجنب أن يسمي وزيراً، تطيراً مما جرى على أبي سلمة " [٣] فمنهم من يذكر بأن أبا الجهم بن عطية الباهلي هو الذي تولى الوزارة [٤] بينما يرجح آخرون بأن الذي تولى الوزارة هو خالد البرمكي. [٥]

---

[١] الطبري . المصدر السابق . ج٤ ، ص١٥٣٥ ؛ الجهشياري . المصدر السابق . ص٩٠ ؛ ابن الطقطقا . المصدر السابق . ص١٥٥؛ عطوان ، حسين . الدعوة العباسية تاريخ وتطور . دار الجيل ، بيروت : ١٩٨٤م ، ص٤٦٨ .

[٢] الطبري . المصدر السابق . ج٤ ، ص١٥٣٩؛ ابن كثير . المصدر السابق . ج١٠ ، ص٢٦٦٥ .

[٣] ابن الطقطقا . المصدر السابق . ص١٥٦ .

[٤] الأزدي ، تاريخ الموصل ، ص١٤٠ وابن دقمان (ت ٨٠٩هـ / ١٤٠٥م) . الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين . ج١ ، تحقيق: محمد كمال الدين ، عالم الكتب ، بيروت : ١٩٨٥م ، ص١١٥ .

[٥] ابن الطقطقا . المصدر السابق . ص١٥٦ .

الوزير خالد بن برمك

أصله ومولده:

ينسب خالد بن برمك إلى البرامكة، وهم أسرةٌ من بلاد فارس من مدينة (بلخ) ينسبون إلى جدهم برمك، ولم يكن برمك اسماً لشخص، وإنما هو لقب أطلق على جد هذه الأسرة توارثوه فيما بينهم، إذ أن هذا اللقب يعني رئيس أو كبير سدنة معبد النوبهار * الذي كان في بلخ، وكان الموكل بسدانته يدعي برمك.[١] ولد خالد في أيام الدولة الأموية سنة (٩٠هـ/٧٠٩م).[٢]

صفاته:

كان خالد رجلاً فاضلاً، جليلاً ، كريماً، حازماً، ويقظاً، وقد أجمع الناس أنه ما بلغ مبلغ خالد بن برمك أحد من ولده، وأن الفضائل التي افترقت فيهم اجتمعت فيه فيقول ابن ظافر الأزدي: " كان فوق يحيى في رأيه وحلمه، وفوق الفضل في سخائه وكرمه، وفوق موسى في بأسه وشجاعته، وفوق جعفر في كتابته وفصاحته، وفوق محمد في شدوه وحسن آلته وأبنيته ".[٣] وفي الحقيقة أن تصوير خالد بن برمك بهذه الفضائل تبرز قابلياته وقدراته التي لفتت إليه نظر الخليفة أبي العباس.

دوره السياسي والإداري:

أولاً: دوره أثناء الدعوة العباسية

كان خالد بن برمك أحد نظراء النقباء من دعاة بني العباس، حيث ارتبط بالدعوة العباسية منذ بدايته- كان متصلاً بمحمد بن علي وإبراهيم الإمام- واشترك في العمل مع الدعاة العباسيين، إذ لمع اسمه عندما أظهر بسالة وبراعة حربية في قيادته لبعض

---

* النوبهار هو اسم مشتق من كلمتين سنسكريتيتين هما (نفا) و (فهارا) ومعناها المعبد الجديد . انظر دائرة المعارف الإسلامية ، ج٣ ، ص٤٩٢ .

[١] المقدسي ، المصدر السابق . ج٦ ، ص١٠٤ ؛ ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج٦ ، ص٢١٩ .

[٢] الذهبي . تاريخ . ج٤ ، ص٣٥ .

[٣] الأزدي ، ابن ظافر (ت ٦١٣هـ / ١٢١٥م) . أخبار الدول المنقطعة . تحقيق: علي عامر ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة : ٢٠٠١م ، ص٢١٠ .

الجيوش الخراسانية تحت لواء أبي مسلم الخراساني، حيث أرسله لفتح طوس بعد هروب نصر بن سيّار (آخر الولاة الأمويين في خراسان)، كما أنه نظم الخراج وتقسيم الغنائم في عسكر قحطبة بن شبيب الطائي، كما استفاد قحطبة الطائي من مشورته أثناء الحرب ضد بني أميه، وذلك لما كان يتمتع به خالد بن برمك من خبرة وتجربة، [1] فيروى " أنه لما بعث أبو مسلم الخراساني قحطبة بن شبيب الطائي لمحاربة يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري- عامل مروان على العراق- كان خالد بن برمك معه، فنزلوا في طريقهم بقرية فبينما هم على سطح بعض دورها يتغدون؛ إذ أقبلوا على الصحراء وقد أقبلت أقاطيع الوحش من الظباء والبقر حتى كادت تخالط العسكر، فقال خالد لقحطبة: أيها الأمير ناد في الناس ومرهم أن يسرجوا ويلجموا قبل أن تهجم الخيل عليهم، فقام قحطبة مذعورا فلم ير شيئاً يروعه فقال: يا خالد، ما هذا الرأي؟ فقال: قد نهد إليك العدو، أما ترى أقاطيع الوحش قد أقبلت؟ إن وراءها جمعا كثيراً فما ركبوا حتى رأوا الغبار ولولا خالد لهلكوا " [2]

ثانياً: دوره في عهد أبي العباس:

لما عقدت البيعة لأبي العباس حضر خالد بن برمك لمبايعته فرأى السفاح فصاحته وظنه من العرب، فقال له أبو العباس: ممن الرجل؟ فقال له خالد: مولاك يا أمير المؤمنين من العجم، أنا خالد بن برمك وأبي وأهلي في موالاتكم والجهاد عنكم ثم قال: أنا كما قال الكميت ابن دريد:

فمالي إلا آل أحمد شيعة ومالي إلا مشعب الحق مشعبُ

فأعجب به أبو العباس وأقره على ما كان يتقلد من الغنائم، وجعل إليه بعد ذلك ديوان الخراج وديوان الجند، وكان خالد أول من جعل الدواوين في دفاتر من جلود

---

[1] الطبري . المصدر السابق . ج٤ ، ص١٥١١ ؛ فرج ، هولو جودت . البرامكة سلبياتهم وإيجابياتهم . دار الفكر ، بيروت : ١٩٩٠م ، ص١٩ .

[2] الجهشياري . المصدر السابق . ص٨٨،٨٧ ؛ الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك(ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م) . الوافي بالوفيات . ج١٣ ، تحقيق: أحمد الأرناوط وتركي مصطفي ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت : ٢٠٠٠م ، ص١٥ .

وقراطيس بعد أن كانت تثبت في صحف.[1] ولا ريب أن ديوان الخراج وديوان الجند كانا من أهم الدواوين في الدولة، فالأول يشرف على جباية الخراج، والمصدر الرئيسي لدخل الدولة، بينما ينظم الثاني السجلات المتعلقة بمصروفات الجند، وهي أهم باب في مصروفات الدولة آنذاك.[2]

تميز خالد بكفاءته في المسؤوليات التي تسلمها بحيث نال ثقة الخليفة أبي العباس، وغدا من خاصته، فيروي الجهشياري أن الخليفة أبا العباس شكى إليه يوماً أنه يخشى نفوذ أبي مسلم الخراساني، فإن في نفوس الجند منزلة عظيمة يهابونه ويخشونه ويأتمرون بأمره وينتهون عند نهيه، فلم تغرب الحيلة عن ذهن خالد بن برمك، فأشار على الخليفة أبي العباس برأي ظاهره تقوية جيش أبي مسلم الخراساني، وباطنه تحطم مركزه، وكان رأي خالد بن برمك يتمثل في أن يطلب الخليفة أبو العباس من أبي مسلم الخراساني بعرض جيشه وإسقاط من لم يكن من أهل خراسان، ففعل أبو مسلم ذلك في اليوم الأول من غير أن يفطن للأمر، وجلس للعرض في اليوم الثاني وفعل ما فعله في اليوم الأول، ثم جلس في اليوم الثالث، فقام إليه رجل فقال : علام تسقط الناس أيها الرجل منذ ثلاث ؟ فأجابه أبو مسلم : أسقط من لم يكن من أهل خراسان، فقال له الرجل : فابدأ بنفسك؛ فإنك من أهل أصبهان وقد دخلت في أهل خراسان، فوثب أبو مسلم عن مجلسه وقال : هذا أمر أحكم بليل وحسبك من شر سماعه، وفطن لما أريد به، وبلغ الجند الخليفة أبا العباس بالأمر فسره،[3] ومن ذلك تبين أن أبا مسلم تنبه في اللحظات الأخيرة إلى خطة خالد بن برمك لإسقاط ولاء الجند له ومن ثم السعي لإسقاطه.

دأب خالد على أن يظهر أمام أبي العباس بمظهر الإخلاص والتواضع، ولهذا كان أبو العباس شديد الرضى عنه، وبالرغم من أن خالد كان حسن التدبير ويصرف الأمور بحكمه وروية، وكان حازم الرأي بعيد النظر، فإنه أيضاً كان متفانياً في خدمة أبي

---

[1] الطبري . المصدر السابق . ج٤ ، ص١٥٤٠ ؛ الجهشياري . المصدر السابق . ص٨٩ ؛ والذهبي . تاريخ . ج٤ ، ص٣٥ .
[2] العلي ، صالح أحمد . معالم بغداد الإدارية والعمرانية . دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد : ١٩٨٨م ، ص١٢٩.
[3] الجهشياري . المصدر السابق . ص٩٤ .

العباس ولم يتعد نفوذه أو يتجاوز صلاحياته لتطغى على صلاحيات الخليفة أبي العباس أو تتعارض معه، كما فعل سلفه - أبو سلمة - لذا كانت العلاقة قوية بين أبي العباس وخالد بن برمك حتى وصلت إلى علاقة أسرية بين العائلتين، فيبين الجهشياري " أن أبا العباس دفع ابنته ريطة إلى خالد بن برمك، حتى أرضعتها زوجته أم خالد بنت يزيد بلبان بنت لخالد تدعى أم يحي، وأرضعت أم سلمة زوجة أبي العباس أبنة خالد بلبان أبنتها ريطة " [1] ويروي ابن الطقطقا أن السفاح قال لخالد بن برمك: " ما رضيت حتى استخدمتني، ففزع خالد وقال : كيف يا أمير المؤمنين وأنا عبدك وخادمك ! فضحك وقال : إن ريطة ابنتي تنام مع ابنتك في مكان واحد فأقوم بالليل فأجدهما قد سرح الغطاء عنهما، فأرده عليهما، فقبل خالد يده وقال : مولى يكسب الأجر في عبده وأمته ". [2]

على ذلك يمكننا أن نعتبر أن خالد بن برمك قد تحمل مسؤوليات الوزير رغم أنه لم يسمى وزيراً، حيث رفض بعد مصرع أبي سلمة الخلال أن يلقب بالوزير مع أنه خلفه في مهام منصبه.

---

[1] الجهشياري . المصدر السابق . ص٨٩ ؛ عزام ، خالد . موسوعة التاريخ الإسلامي (التاريخ العباسي) . دار أسامة ، عمّان : ٢٠٠٣م ، ص٣٢،٣٣ .
[2] ابن الطقطقا . المصدر السابق . ص١٥٦،١٥٧ .

الوزير أبو الجهم بن عطية الباهلي

يقول اليعقوبي أن أبا الجهم " كان الغالب على أبي العباس، فهو من الخواص المقربين له وكان يدخل عليه في أي وقت " [1] وأبو الجهم هو أحد النقباء في خراسان، ومن أبرز القادة في الجيش الخراساني الذي توجه إلى العراق لحسم المعركة الأخيرة لصالح بني العباس [2] وكان أحد القادة العسكريين الذين اكتشفوا مكان أبي العباس وأفراد عائلته وسارعوا لأعلان بيعته - كما ذكرنا سابقا – كما أنه كان من أصدقاء أبي مسلم الخراساني المخلصين؛ إذ كان يكتب لأبي مسلم عما يدور في العاصمة والبلاط العباسي، فيقول الطبري " إنه كان عيناً لأبي مسلم على أبي العباس " [3] ويروى الجهشياري " أن أبا الجهم بن عطية كان ينوب عن أبي مسلم بحضرة أبي العباس " [4] وبذلك جمع أبو الجهم بين السيطرة على الجيش (مستشار الجيش السياسي في الكوفة) والسيطرة على الإدارة (مندوب أبي مسلم الخراساني)؛ لذا فهو في هذه الحالة أقام تعاوناً ظاهراً بين القيادة العامة في خراسان والقيادة العسكرية في العراق. [5]

وتكرر غالبية المصادر فيما عدا الطبري والجهشياري الإشارة إلى أن أبا الجهم الباهلي كان وزيراً للخليفة أبي جعفر المنصور، [6] لكن لا تشير المصادر لأي صلاحيات أو نفوذ له في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور، سواء أنه لعب دوراً في تشتيت أتباع أبي مسلم الخراساني بعد مقتله بالمدائن، فيروى ابن الأثير " إنه لما قتل أبو مسلم دخل أبو الجهم على الخليفة المنصور فرأى أبا مسلم قتيلاً، فقال: ألا أرد الناس؟ قال: بلى، فمر بمتاع يحمل إلى رواق آخر، وخرج أبو الجهم فقال: انصرفوا فإن الأمير (أبا مسلم) يريد القائلة عند أمير المؤمنين، ورأوا المتاع ينقل

---

[1] اليعقوبي . المصدر السابق . ج٢ . ص٣٥٩ .
[2] المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٣٥٠ .
[3] الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص١٥٥٠،١٥٥١ ؛ فوزي ، فاروق عمر . الخلافة العباسية . دار القلم ، دبي : ١٩٨٤م ، ص٩٠ .
[4] الجهشياري . المصدر السابق . ص٩٣،٩٤ .
[5] شعبان . الدولة العباسية . ص١٥ .
[6] المسعودي . مروج . ج٣ ، ص٣٤٨ ؛ ابن دقمان . الجوهر . ج١ ، ص١١٥ ؛ الأزدي . تاريخ الموصل . ص١٤٠ .

فظنوه صادقاً، وأمر لهم المنصور بالجوائز "[1] لكن بالرغم من ذلك ما كان الخليفة أبو جعفر المنصور ليتحمل أبا الجهم؛ لأن الخليفة أبا جعفر المنصور كما يروى البلاذري اتهم أبا الجهم بأنه راسل أبا مسلم حين كان في خراسان مُظهراً استياءه من سياسة العباسيين قائلاً: " ما على هذا بايعناهم، وإنما بايعناهم على العدل " لذا سمه الخليفة بشراب سويق اللوز.[2]

لذا نرى إنه بالرغم من أن أبا الجهم كان له تأثير على الخليفة أبي العباس ولعب دوراً في مبايعته، إلا إن المصادر لا تشير إلى صلاحياتٍ أو وظيفةٍ محددةٍ له في الإدارة، لذا لا نرى أنه يرقى لمرتبة وزير، ويمكن اعتباره رجلاً يثق فيه الخليفة أبي العباس أو حاجباً له. * كما لا يمكننا بالطبع اعتباره وزيراً للخليفة أبي جعفر المنصور؛ لأنه لم يكن مقربا منه كما هو الحال في عهد الخليفة أبي العباس.

---

[1] ابن الأثير . المصدر السابق . ج٥ ، ص٢٢٥ .

[2] البلاذري . أنساب . ج٣ . ص٢٩٧ .

* **الحاجب**: في اللغة من الحجب، والحجابة: البواب، جمعه حجبة وحجاب، وعند المؤرخين: الحجابة وظيفة كانت معروفة في العصر الجاهلي، يقصد بها سدانة البيت العتيق وحمل مفاتيح الكعبة من الوظائف التي عدت قريش من مظاهر السيادة، وكانت لبني عبد الدار ثم لهاشم بن عبد مناف، ثم صارت للعباس عم النبي، وفي العصر الإسلامي اعتبرت الحجابة من أبرز الوظائف الإدارية التي استحدثت في العصر الأموي، بحيث أنيط بالحاجب بادئ الأمر مدافعة ذوي الحاجات عن أبواب الخلفاء، ثم لم يلبث هذا الموظف أن أصبح من كبار موظفي قصر الخلافة، ولا يمكن لأحد أن يقابل الخليفة إلا بعلمه وعن طريقه، ثم ارتقت هذه الوظيفة بصاحبها ليصبح ممن يستشيرهم الخليفة في العصر العباسي وتقدمت وظيفة الحاجب على الوزير أحيانا. انظر ابن خلدون . **مقدمة** . ص٢٤٧ ؛ والخطيب . **معجم** . ص١٣٣ .

الفصل الثاني : وزراءُ الخليفة أبي جعفر المنصور

(١٣٦- ١٥٨هـ / ٧٥٤- ٧٧٥م)

الخليفة أبي جعفر المنصور

الوزير خالد بن برمك

الوزير أبي أيوب الموورياني

الوزير الربيع بن يونس

الخليفة أبو جعفر المنصور
(١٣٦- ١٥٨هـ/ ٧٥٤- ٧٧٥م)

أبو جعفر عبدالله بن محمد بن علي، ثاني خلفاء الدولة العباسية، حكم فيما بين (١٣٦- ١٥٨هـ /٧٥٤- ٧٧٥م)، وقد ولد بالحميمة سنة (٩٥هـ/٧٠٩م)، وكانت أمُه سلامة أمَة من البربر.[1] بويع المنصور بالخلافة والمملكة لا تزال مضطربة، والدولة لم تتوطد أركانها، ولم يستقر حكمها بعد، لكنه استطاع أن يثبت أركانها بمقدرته النادرة وبفضل امتداد حكمه مدة تقرب من اثنتين وعشرين سنة.[2] يقول عنه المسعودي: " أنه محنك السن حازم الرأي، قد عركته الدهور، وحلت الأيام سطوته، وروى العلم، وعرف الحلال والحرام، لا يدخله فتور عند حادثة ... يجود بالأموال حتى يقال هو أسمح الناس، ويمنع في الأوقات حتى يقال هو أبخل الناس، ويسوس سياسة الملوك، ويثب وثوب الأسد العاري لا يبالي، يحرس ملكه بهلاك غيره "[3] فقد كان مجرباً حازماً وقوراً، شديد الدهاء مثقفاً كثير الحذر، وكان يتحاشى اللذائذ، مهتما بإدارة الدولة ومدبرا في المال وقوي الإرادة.[4] فقد اشتغل المنصور بالإدارة والسياسة قبل مجيئه إلى الحكم، إذ كان مشاور أخيه الخليفة أبي العباس السفاح وساعده الأيمن، فحارب يزيد بن عمرو بن هبيرة آخر والٍ أموي على العراق وولي أرمينيه وأذربيجان والجزيرة الفراتية.[5]

---

[1] ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م) . **المعارف** . ج٢ ، راجعه: منير عبد القادر حديد ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق : ٢٠٠٠م ، ص٣٧٨ ؛ العمراني ، محمد بن علي بن محمد (ت ٥٨٠هـ / ١١٨٣م) . **الأنباء في تاريخ الخلفاء** . تحقيق: قاسم السامرائي ، ط١ ، دار الآفاق العربية ، القاهرة : ١٩٩٩م ، ص٦٢،٦٨ ؛ القلقشندي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٧م) . **مآثر الانافة في معالم الخلافة** . ج١ ، تحقيق : عبدالستار أحمد فراج ، عالم الكتب ، بيروت : د.ت ، ص١٧٥-١٧٦ .

[2] السيوطي . **تاريخ الخلفاء** . ص١٨٨-١٨٩ ؛ أبو الفداء . **المختصر** . ص ٢١٤.

[3] المسعودي . **التنبيه** . ص١٨١ .

[4] ابن الطقطقا . **المصدر السابق** . ص١٥٩ ؛ الجاحظ . **رسائل الجاحظ** . تقديم : علي أبو ملحم ، ط١ ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت : ١٩٨٧م ، ص٨ .

[5] الدينوري . **الأخبار** ، ص٣٧١ ؛ اليافعي ، عبدالله بن أسعد (ت٧٦٨هـ / ١٢٦٦م) . **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان** . تحقيق: عبدالله الجبوري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت : ١٩٨٤م ، ص٣٠٢.

المشاكل الداخلية التي اعترضت الخليفة أبا جعفر المنصور:

ولي المنصور والأخطار لا تزال محدقة به، فكان يدرك شجاعة وطموح عمه عبدالله بن علي، ومركزه الحصين في جيشه، فقد قوّى مركزه، وألهب طموحه بعد هزمه آخر خلفاء الدولة الأموية مروان بن محمد في معركة الزاب، لذا فهو يعتبر أن الفضل له في قيام الخلافة العباسية.[1] كذلك كان المنصور يخشى سلطان أبي مسلم ويسيء الظن به، ويتضح ذلك من محاورة جرت بين أبي جعفر المنصور وأخيه أبي العباس السفاح، فقال المنصور لأخيه أبي العباس: لست خليفة ولا آمرك بشيء إن تركت أبا مسلم ولم تقتله، قال: كيف؟ قال: والله ما يصنع إلا ما أراده. قال أبو العباس: اسكت فاكتمها،[2] وهناك أيضا مشكلة العلويين من آل الحسن الذين كانوا يدعون الناس إلى بيعتهم، وقد عرف المنصور ذلك وأنكر تخلف محمد النفس الزكية وأخوه إبراهيم عن المجيء إلى مبايعة أبي العباس، فكانوا ينافسون بني العباس في الملك، كما أنهم كانوا ملجأ المعارضة؛ لذا كان لا بد للخليفة أبي جعفر المنصور من ضربهم لتثبيت مركزه.[3]

الإداريات:

العاصمة : تنقل أبو العباس السفاح بين ثلاث محال، ولم يضع حلاً مرضياً لمشكلة العاصمة، فلما خلفه أبو جعفر المنصور اهتمّ باختيار مركز لدولته ولم يرتح إلى هاشمية الكوفة؛ لأنها لم تكن منيعة كما أوضحت فتنة الراوندية،* ثم أنها كانت

---

[1] الطبري . المصدر السابق . ج٤ ، ص١٥٢٨-١٥٢٩ ؛ الدوري . **العصر العباسي** . ص٨٠ .

[2] الطبري . المصدر السابق . ج٤ ، ص١٥٣٦ .

[3] السيوطي . **تاريخ الخلفاء** . ص١٨٩ ؛ القلقشندي . **مآثر الأنافة** . ص١٧٩ ؛ الدوري . **العصر العباسي** . ص٨٠ .

* **فتنة الراوندية:** هم قوم من أهل خراسان كانوا يقولون بتناسخ الأرواح، ويزعمون أن روح آدم انتقلت إلى فلان رجل من كبارهم، وأن ربهم الذي يُطعمهم ويسقيهم هو المنصور، فحاربهم المنصور وسجن رؤساءهم. انظر ابن الطقطقا . **المصدر السابق** . ص١٦٠ ؛ ابن الوردي ، عمر بن مظفر (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٧م) . **تاريخ ابن الوردي** . ج١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت : ١٩٩٦م ، ص٢٨٧ .

قريبة من الكوفة ذات الميول العلوية التي كان المنصور يخشي أهلها؛ [١] لذا أنشأ مدينة بغداد عام (١٤٥هـ/٧٦٢م)؛ لتكون معسكراً لجيشه ومقراً لملكه في آنٍ واحدٍ. [٢]

السياسة الإدارية : من المعروف أن المنصور كان يشرف على كل شيء بنفسه فلم تكن لوزرائه سلطة فعلية كما يقول ابن الطقطقا: " لم تكن الوزارة في أيامه طائلة لاستبداده واستغنائه برأيه، وكفاءته مع أنه كان يشاور في الأمور دائما، وإنما كانت هيبته تصغر لها هيبة الوزراء، وكانوا لا يزالون على وجل منه وخوف فلا يظهر لهم أبهة ولا رونق ". [٣] هذا الإشراف العام على كل صغيرة وكبيرة أدّى بالخليفة إلى كثرة العمل ومواصلته ليل نهار، "فكان يشتغل بصورة منتظمة موزعاً أوقاته بين مختلف الشؤون، فكان شغله في صدر نهاره بالأمر والنهي والولايات والعزل وشحن الثغور والأطراف وأمن السبل والنظر في الخراج ومصلحة معاش الرعية لطرح عالتهم والتلطف لسكونهم وهدوئهم، فإذا صلى العصر جلس لأهل بيته من أحب أن يسامره، فإذا صلى العشاء الآخرة نظر في ما ورد عليه من كتب الثغور والأطراف والآفاق وشاور سماره في ذلك، فإذا مضى ثلث الليل قام إلى فراشه". [٤]

السياسة المالية : عُرف عن المنصور أنه كان حازماً في القضايا المالية، يُعطي في موضع العطاء، ويمنع في موضع المنع؛ [٥] لذا وصفه بعض المؤرخين بالبخل ولقبوه بأبي الدوانيق. [٦] ولكن نولدكه يقول : أن تلقيب المنصور بهذا اللقب جهلٌ وتحايفٌ منهم، وأنه لا يستبعد أن يكون هذا من دعايات رجال الحاشية التي تؤثر أن يكون الخليفة مبذراً لكي يستفيدوا منه. [٧] فالمنصور لا يعطي إلا إذا اقتضت

---

[١] الطبري . المصدر السابق . ج٤ ، ص١٦٠١ ؛ ابو الفداء . المختصر . ص٢١٠ .

[٢] ابن الطقطقا . المصدر السابق . ص ١٦١ . Fawiz , Farouk Omar , Aspects from Abbasid History, Amman , ٢٠٠٣ , p٦٩ .

[٣] ابن الطقطقا . المصدر السابق . ص١٧٤ .

[٤] ابن الأثير . المصدر السابق . ج٦ ، ص١٣٦ ؛ الدوري . العصر العباسي . ص١٠٧ .

[٥] ابن الطقطقا . المصدر السابق . ص١٦٠ .

[٦] السيوطي . المصدر السابق . ص١٨٧ ؛ الأتابكي ، يوسف بت تغرى بردى (ت٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) . مورد اللطافة في من ولى السلطنة والخلافة . تحقيق: نبيل محمد عبدالعزيز ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٧م ، ص١١٩ .

[٧] Noldeke , Theosore , Sketches from Eastern History , Darf Publishers Limited , London , ١٩٨٥ , P.١٣٣ .

ذلك مصلحة الدولة، فيقول المسعودي : " كان المنصور يعطي الجزيل والخطير ما كان عطاؤه حزماً، ويمنع الحقير اليسير ما كان عطاؤه تضييعاً ". [1]

[1] المسعودي . التنبيه . ص٢٣٢ .

الوزيرخالد بن برمك

السلطات الإدارية:

أشرنا سابقاً أن خالد بن برمك خلف أبا سلمة الخلال في مهام منصبه بالرغم من أنّه رفض أن يلقب بالوزير بعد مصرع الوزير أبي سلمة الخلال. وقد أدرك المنصور خبرته المالية، فاستفاد منها عندما عينه رئيساً لمصلحة المداخيل المركزية، فأصبح رئيسا لديوان الخراج، ثم واليا على الولايات التي كانت تواجه مشاكل ضرائبية؛ [1] فيروي كل من الطبري وابن الأثير: أنه عندما ورد إلى المنصور اضطراب الموصل عام (١٥٨هـ/٧٧٤م) بسبب انتشار الأكراد بها، أشار عليه المسيّب بن زهير- وكان صديقا لخالد بن برمك – بأن يوليها خالد بن برمك؛ لأنه الأجدر بذلك، " فقال للمنصور: عندي يا أمير المؤمنين رأيٌ، أرى أنك لا تنتصحه وأنك ستلقاني بالرد، ولكني لا أدع نصحك فيه والمشورة عليك به، قال: قل فلا أستغشك، قلت: يا أمير المؤمنين ما لها مثل خالد بن برمك ". [2] وكان قبل ذلك، قد صادر المنصور أملاك خالد بن برمك، وألزمه بدفع ثلاثة آلاف ألف درهم، وأمهله ثلاثة أيام، وقد دفع خالد بن برمك ألفي ألف وسبعمائة ألف وبقي ثلاثمائة ألف، فصفح المنصور له عنها عندما ولاه الموصل، [3] وقد ظل خالد بن برمك والياً عليها حتى توفي الخليفة المنصور. [4]

السلطات السياسية.

ظل خالد بن برمك فترة من الزمن متمتعاً بنفوذٍ واضح في البلاط العباسي؛ حيث تشير الروايات أنه في سنة (١٤٦هـ/٧٦٢م) لما أراد المنصور بناء مدينة بغداد شاور أصحابه فيها، وكان ممن شاوره فيها خالد بن برمك الذي شارك في وضع خطط المدينة الجديدة، فلما احتاج المنصور إلى أنقاض ليكمل عمارة بغداد شاور

---

[1] الجهشياري . المصدر السابق . ص٩٩ ؛ شعبان . الدولة العباسية . ص٢٤ .
[2] الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص١٦٣٥ ؛ ابن الأثير . المصدر السابق . ج٦ ، ص٧،٨ .
[3] الذهبي ، الحافظ (ت٧٤٨هـ / ١٣٤٦م) . العبر في خبر من غبر . ج١ ، تحقيق: محمد السعيد ، دار الكتب العلمية ، بيروت : ١٩٨٥ ، ص١٧٥ ؛ اليافعي ، مرآة الجنان ، ص٣٥٢ .
[4] الجهشياري . المصدر السابق . ص١٠٠.

خالد بن برمك في نقض إيوان كسرى بالمدائن وحمل نقضه إلى بغداد، فقال له خالد: لا أرى ذلك يا أمير المؤمنين؛ لأنه علم من أعلام الإسلام، فقال له المنصور: مِلت يا خالد إلى أصحابك العجم وأمر المنصور بنقض القصر الأبيض، لكن أدرك المنصور أن ما يغرم على نقضه أكثر من قيمة المنقوض؛ فتركه.[1]

وفي سنة (١٤٧هـ/٧٦٣م) لعب خالد بن برمك دوراً في المفاوضات الدائرة مع وليّ العهد عيسى بن موسى لإقناعه بالتنازل عن ولاية العهد للمهدي بن المنصور، فيروي الطبري إنه لما أعيى الأمر أبا جعفر المنصور، بعث إلى خالد بن برمك فقال له: كلمه يا خالد - أي عيسى بن موسى - فقد ترى امتناعه من البيعة للمهدي، فهل عندك حيلة فيه فقد أعيتنا وجوه الحيل وضل عنا الرأي؟ فأشار عليه خالد بن برمك أن يضم إليه ثلاثين رجلاً من كبار الشيعة - أنصار الدولة - ليذهبوا معه إلى عيسى بن موسى، فأبلغوه رسالة أبي جعفر المنصور، لكنه رفض ذلك، فاتفق خالد بن برمك مع رجال الشيعة الذين معه على أن يخبروا أمير المؤمنين أنه قد أجاب وعندما ينكر نشهد عليه جميعا إنه قد أجاب وبالفعل تم التوقيع بالبيعة للمهدي، فلما علم عيسى بن موسى بالبيعة أنكر أنه أجاب، لكن خالد بن برمك ورجال الشيعة شهدوا أنه قد أجاب، فشكر أبو جعفر خالد بن برمك ما كان منه.[2] قال عنه أبو جعفر المنصور: " لو كانت دولتنا صورة، لكان قحطبة قلبها، وأبو الجهم بدنها، وعثمان بن نهيك يدها، وخالد بن برمك غذاؤها وقوتها ".[3]

ومع ذلك فليس هناك ما يشير إلى أن خالداً البرمكي كان وزيراً أو أنه كان اليد اليمني للمنصور، وخاصة أنه ليس بيده إلا ديوان الخراج في حين أن رئاسة الدواوين كانت بيد عبدالملك بن حميد الباهلي الخراساني، وكان من خاصة الخليفة ومستشاريه، وقد ظل عبد الملك الباهلي على رئاسة الدواوين حتى وفاته سنة

---

[1] الطبري . المصدر السابق . ج٤ ، ص١٦١٦ ؛ أبو الفداء . المختصر . ص٢١١ ، ومحمد ، بدر عبدالرحمن . الدولة العباسية دراسة في سياستها الداخلية في القرنين الثاني والثالث الهجري . مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة : د.ت ، ص٦٠ .
[2] الطبري . المصدر السابق . ج٤ ، ص١٦٢٣ .
[3] الذهبي . تاريخ . ج٤ ، ص٣٥ .

(١٥٤هـ/٧٧٠م) وبعدها اختار المنصور أبا أيوب المورياني ليكون على وزارته ودواوينه، وحمّله مسؤولية الأعمال كافة.[١]

نستنتجُ من ذلك كله أن خالد بن برمك لم يكن وزيراً بالمعني الحقيقي للمصطلح، بل كان وزيراً بالمعني التقليدي المتعارف عليه؛ أي بمعني المستشار والمساند والمعين للخليفة.

[١] الجهشياري . المصدر السابق . ص٩٩ ؛ فوزي . الجذور التاريخية . ص٣٦ .

الوزير أبو أيوب سليمان بن داود المورياني

نسبه ومولده:

سليمان بن داود بن أبي سليمان مخلد المورياني الخوزي [1] وموريان هي قرية من نواحي خوزستان * بالقرب من الأهواز، [2] ويقال أن أباه داود كان مولى للخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز، [3] وكان يعرف بالخوزي نسبة إلى خوزستان، وقيل إنما قيل له الخوزي لشحّه، وقيل لأنه كان ينزل شعب الخوز بمكة المكرمة. [4] والقولُ الأخيرُ بعيدٌ.

بدء علاقة أبي أيوب المورياني بالخليفة أبي جعفر المنصور:

يشير البلاذري إلى أن أبا أيوب كان مولى لبني سليم من عشائر البصرة، [5] وأن المنصور ابتاعه قبل خلافته، وقدّمه مع بعض الهدايا لأخيه أبي العباس السفاح، فأعجب الخليفة أبي العباس بفصاحته فأعتقه، وبقى أبو أيوب في جهاز خلافة السفاح، [6] وهي رواية ضعيفة؛ ففي رواية أخرى للبلاذري: أن أبا أيوب كان مستخدماً في الديوان في ولاية يوسف بن عمر على العراق في عهد الخليفة الأموي هشام بن عبدالملك، وإنه زوّر بعض السجلات، ثم هرب إلى الأهواز، واختفى هناك حتى قامت الثورة العباسية، وإنه تعرّف على أبي جعفر المنصور أثناء زيارته الأهواز، فأدرك أبو جعفر المنصور قابلياته وجعله من بين كتّابه ومعاونيه، [7] وتشير مصادر أخرى إلى أن أبا أيوب المورياني كان في أواخر دولة بني أمية كاتباً لسليمان بن

---

[1] الصفدي . **الوافي** . ص٢٣١ ؛ ابن خلكان . **وفيات** . ج٢ ، ص٤١٠ ؛ **دائرة المعارف الكبرى** ، ص٣٥٠.

* خوزستان : ومعناها بلاد الخوز، ويكتب هذا الاسم أيضا بصورة حوز أو هوز والجمع (أحواز وأهواز)، وأرض خوزستان شبيهه بأرض العراق (هواها ومياها العذبة) ويطلق عليها حاليا بعربستان. أما شعب الخوز بمكة المكرمة فقد سميت بهذا الاسم لأن نافع بن الخوزي مولى عبد الرحمن بن نافع بن عبد الحارث الخزاعي نزله وكان أول من بنى فيه، ويقال لها أيضا " شعب المصطلق" . انظر الحموي . **معجم البلدان** . ج٢ ، ص٤٠٤ ؛ ولسترنج ، كي . **بلدان الخلافة الشرقية** . ترجمة: بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، ط٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت : ١٩٨٥ ، ص٢٦٧-٢٦٨ .

[2] الحموي . **معجم البلدان** . ج٢ ، ص٤٠٤ .

[3] الصفدي . **الوافي** . ص٢٣١ .

[4] ابن خلكان . **وفيات** . ج٢ ، ص٤١٤ .

[5] البلاذري . **أنساب** . ج٣ ، ص٣٢٠ .

[6] ابن الطقطقا . **المصدر السابق** . ص١٧٥ .

[7] البلاذري . **أنساب** . ج٣ ، ص٣٧٠ .

حبيب بن المهلب بن أبي صُفرة، وكان أبو جعفر المنصور في ذلك الزمن ينوب عن سليمان بن حبيب في بعض كور فارس، فاتهمه بأنه احتجز مالاً لنفسه فدعا له بالسياط، لكن أبا أيوب المورياني تدخل في الأمر، فطلب من سليمان بن حبيب أن يتوقف عن ضربه، [1] فيقول الجهشياري: أن أبا أيوب قال له: " أيها الأمير توقف عن ضربه فإن الخلافة أن بقيت في بني أمية فلن يسوغ لك ضرب رجل من بني عبد مناف، وإن صار الملك إلى بني هاشم لم تكن لك بلاد الإسلام بلاداً، فلم يقبل منه وضرب أبا جعفر اثنتين وأربعين سوطا... فقام إليه أبو أيوب فألقى نفسه عليه ولم يزل يسأله حتى أمسك عن ضربه ... " [2] لهذا لم ينس أبو جعفر ذلك للمورياني فيشير الجهشياري بذلك " كانت له بأبي جعفر حرمة رعاها له فخف على قلبه، ولم يزل أمر أبي أيوب، ومحله من رأي أبي جعفر يزيد حتى قلده وزارته، وفوض إليه أمره كله ". [3] ومهما يكن من أمر فإن من الواضح بأن مقدرة أبي أيوب المورياني الإدارية وخبرته المالية هي التي جذبت المنصور إلى هذا الكاتب المولى، والموظف القديم في الإدارة الأموية بالعراق والأهواز، وإن اعتلاء أبي أيوب المورياني كان بسبب الرغبة الخاصة للخليفة أبي جعفر المنصور [4] لهذا يقول عنه الجهشياري إنه كان ظريفا خفيفا على القلب، متأتيا لما يريده منه أبو جعفر، وكان يقول- المورياني - : " ليس من شيء إلا وقد نظرت فيه إلا الفقه فلم أنظر فيه قط، وقد نظرت في الكيمياء والطب والنجوم والحساب والسحر " [5] لذا عُرف عن المورياني أنه كان لبيباً وبصيراً بالأمور، عاقلا، فطناً، ذكياً، وفاضلاً وكريماً [6] وغزير المروءة. [7]

[1] ابن خلكان . وفيات . ج٢ ، ص٤١٠ ؛ اليافعي . مرآة الجنان . ص٣٤٣ .
[2] الجهشياري . المصدر السابق . ص٩٨،٩٩ ؛ الصفدي . الوافي . ص٢٣١ ؛ والحسن ، عيسى . الدولة العباسية تكامل البناء الحضاري . الأهلية للنشر والتوزيع ، عمّان : ٢٠٠٩م ، ص٦٧،٦٨ .
[3] الجهشياري . المصدر السابق . ص٩٧ .
[4] فوزي . الجذور التاريخية . ص٣٧ .
[5] الجهشياري . المصدر السابق . ص٩٧ .
[6] يروي التنوخي عن ابن شرمة انه قال: زوّجت ابني على ألفي درهم وما هي عندي فطولبت بها فصرت إلى أبي أيوب المورياني، فقلت له: إني اخترتك لحاجتي وعرّفته خبري... فامر لي بخمسين ألف درهم . انظر التنوخي . الفرج . ج٣ ، ص١٥٠ .
[7] ابن الطقطقا . المصدر السابق . ص١٧٥ .

السلطات الإدارية والمالية.

يؤكد الجهشياري تمتع المورياني بسلطات إداريةٍ وماليةٍ واسعةٍ؛ حيث يقول أن المنصور لم يسلم أبا أيوب المورياني الوزارة والدواوين؛ بل "فوّض إليه أمره كله" وقد غلب عليه غلبة شديدة، بل أن قسماً من الناس بدأوا يعتقدون بأنه يسحر الخليفة فقالت العامة: إنه سحر أبا جعفر، واتخذ دهناً يمسحه على وجهه إذا أراد الدخول عليه، وضرب المثل بدهن أبي أيوب، لذا استغل المورياني نفوذه وسطوته فبدأ يوزع عائلته وأقربائه على المراكز الإدارية. وقد أثرى ثراءً فاحشاً عن طريق إخوته وأقربائه وأعوانه الذين شغلوا مراكز حساسة في الإدارة، باعتبار أنه كان مسؤولا عن الواردات والجباية ومدخولات الأملاك العائدة في الدولة. [١]

ومما يدل على نفوذ وتدخل أبو أيوب المورياني في جباية الخراج من الأقاليم رواية للبلاذري تذكر اتهام الفقهاء وعلماء الدين للمورياني بالابتزاز على غير حق، ومطالبتهم الخليفة بعزله إثر استدعاء الخليفة لعامل الأهواز بتهمة تعذيبه أحد المواطنين حتى الموت، فقد اعترف عامل الأهواز بأن المال الذي يجمع من الأهواز يدفع نصفه لبيت المال ويذهب النصف الآخر إلى خالد المورياني شقيق أبي أيوب المورياني. [٢]

ويذكر الجهشياري رواية أخرى تدل على جشع وطمع المورياني عند حديثه عن ضيعة صالح، فيقول: عندما رخصت الأسعار في أيام أبي جعفر المنصور، سوّلت لأبي أيوب نفسُه أن يشتري طعام سواد الكوفة وسواد البصرة وطمع في الربح، ففعل ذلك، فكتب المنصور إليه كتاباً بذلك، فكان يطالبه بالمال وقتا بعد وقت، فتحمل منه الشيء بعد الشيء وتتابع الرخص عليه، وأرهقه المنصور بالمطالبة بالمال، وكان المنصور يُحب ابنا له يقال له صالح المسكين، ويرق عليه وكان أبو جعفر المنصور قد أقطع أولاده جميعا قطائع خلاه، وكان يقول: ابني هذا المسكين لا شيئ له؛ فقال له أبو أيوب: يا أمير المؤمنين قد أصبت ضيعة تقرب من الأهواز،

[١] الجهشياري . المصدر السابق . ص٩٧ ؛ البلاذري ، أنساب ، ج٣ ، ص٣٢٠ .
[٢] المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٣٢٠ .

وتشرب من دجلة وهي بلد واسع، وقد دثرت رسومها وانطمست أنهارها، فإن أقطعته إياها وأطلقت له ثلاث مئة ألف درهم نستخرجها له، فأخذ أبو أيوب المال ولم يعمل في الضيعة شيئاً، وصار في رأس كل سنة يحمل عشرين ألف درهم ويقول: هذه حاصل الضيعة المستجدة، فانكتم الحال عن المنصور مدة، ثم إن أعداء أبي أيوب وجدوا هذا طريقاً إلى السعاية به، فأعلموا المنصور الحال فانحدر بنفسه إلى هناك، فأمر أبو أيوب أن تُبنى بيوت على جانب الشطّ ويُغرس فيها كرم ويُخضّر حواليها. فلما فعل ذلك اجتاز المنصور بها فقال له أبو أيوب: هذه هي الضيعة، فرأى المنصور العمارة والخضرة فكاد الأمر يشبه عليه، فأعلمه أعداء أبي أيوب صورة الحال، فركب بنفسه وأخذ الأدلاء معه وطاف الضيعة فوجدها عاطلة لا عمارة فيها، فعرف القصة وتنبه إلى خيانة أبي أيوب. [١]

الدور السياسي لأبي أيوب المورياني:

دور المورياني في مقتل أبي مسلم الخراساني

تزامنت وزارة أبي أيوب مع أفول نجم أبي مسلم الخراساني، فلما همّ أبو جعفر المنصور على قتله، دعا أبو أيوب المورياني أن يشاور سلم بن قتيبة الباهلي الخراساني والي البصرة في أمره، فشاوره، فقال سلم بن قتيبة: أرى أن يتجاوز له ويصفح عن ذنبه، فأخبر أبو أيوب أبا جعفر بذلك، فقال له أبو جعفر: عاوده وأعلمه أني أمرتك أن تشاوره، فعاوده فأعلمه ذلك، فقال له سلم: قل له: لا يصلح سيفان في غمد، [٢] وبالفعل عندما قرب أبو مسلم من المدائن عائداً إلى خراسان بعد دحره لعبد الله بن علي، فكر أبو أيوب بعد حوار دار بينه وبين الخليفة أبي جعفر، إذ دخل عليه أبو أيوب ووجده يقرأ كتاب أبي مسلم فرمى به إلى أبي أيوب ليقرأه، ثم قال: والله لئن ملأت عيني منه لأقتله. فيقول أبو أيوب طلبت الكتاب حتى إذا بلغت غايتها فصرت كاتبا للخليفة وقع هذا بين الناس، والله ما أرى إن قتل أبو مسلم يرضى أصحابه بقتله، لذا فكر أبو أيوب إذا قدم أبو مسلم وهو آمن يستطيع أن ينال منه الجليفة، لكن إذا قدم

---

[١] ابن الطقطقا . المصدر السابق . ص١٧٦ .
[٢] الجهشياري . المصدر السابق . ص١١١ .

وهو حذر لم يقدر عليه، لذا التمس أبو أيوب المورياني حيلة عندما قرر أن يرسل سلمة بن سعيد بن جابر إلى أبي مسلم الخراساني ومعه وعود كاذبة ومغرية، إذ أخبره أن الخليفة أبا جعفر قد عزم على أن يوليه ما وراء بابه ويريح نفسه، فانخدع أبو مسلم بذلك وقصر في التحرز والتأهب، وفي عشية قدوم أبي مسلم المدينة - المدائن - أشار أبو أيوب على الخليفة أن يؤجل قتله إلى اليوم التالي، إلا أن الخليفة رغم قبوله هذا الاقتراح سرعان ما ندم على ذلك، ولم يغمض ليلته تلك وعاتب أبا أيوب غداتها [1] فيروى الطبري عن أبي أيوب المورياني: " لما دنا أبو مسلم من المدائن أمر أمير المؤمنين، الناس فتلقوه، فلما كان عشية قدم دخلت على أمير المؤمنين، وهو في خباء على مصلى، فقلت: هذا الرجل يدخل العشية فما تريد أن تصنع، قال: أريد أن أقتله حين أنظر إليه، فقلت: أنشدك الله! إنه يدخل معه الناس، وقد علموا ما صنع فإن دخل عليك، ولم يخرج لم آمن البلاء، ولكن إذا دخل عليك فأذن له أن ينصرف فإذا غدا عليك رأيت رأيك، وما أردت بذلك إلا دفعه بها، وما ذاك إلا من خوفي عليه وعلينا جميعا من أصحاب أبي مسلم... فأنصرف أبو مسلم وانصرف الناس قال: فافترى علي أمير المؤمنين حين خرج أبو مسلم، وقال: متى أقدر على مثل هذه الحال... فانصرف وأصبحت غادياً عليه، فلما رآني قال: يا بن اللخناء لا مرحبا بك! أنت منعتني منه أمس، والله ما غمضت الليلة، ثم شتمني حتى خفت أن يأمر بقتلي... ثم قال: ادع لي عثمان بن نهيك... قال انطلق فجئ بأربعة من وجوه الحرس... فدخلوا على أمير المؤمنين فقال: كونوا خلف الرواق فإذا صفقت فاخرجوا فاقتلوه... " [2]

ولا يمكن البت فيما كان يقصده أبو أيوب من تصرفه هذا، ولكن يبدو أنه كان يعارض قتل أبي مسلم، وبصفته رجلاً سياسياً كان يفكر بسخط أصحابه وأنصاره، لكن على أي حال كان أبو أيوب من الذين كانوا على علم بمقتل أبي مسلم الخراساني عن كثب.

---

[1] الطبري . المصدر السابق . ج٤ ، ص١٥٤٧-١٥٥٣ ؛ ابن الأثير . المصدر السابق . ج٥ ، ص٢٢٣-٢٢٥ . فوزي . الجذور التاريخية . ص٣٩ .

[2] الطبري . المصدر السابق . ج٤ . ص١٥٥١ .

خلع عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي والي خراسان

يروي الطبري أن المنصور لما بلغه أن عبدالجبار بن عبد الرحمن واليه على خراسان يقتل رؤساء أهل خراسان، " قال لأبي أيوب إن عبدالجبار قد أفنى شيعتنا وما فعل هذا إلا وهو يريد أن يخلع، فقال له أبو أيوب: ما أيسر حيلته، فأشار عليه أن يكتب إليه: بأنك تريد غزو الروم فيوجه إليك الجنود من خراسان وعليهم فرسانهم، فإذا خرجوا منها فأبعث إليهم من شئت فليس به امتناع، فرد عليه عبدالجبار بكتاب آخر فقال له: أن الترك قد جاشت، وإن فرقت الجنود ذهبت خراسان. فألقى أبو جعفر المنصور بالكتاب إلى أبي أيوب وقال له: ما ترى؟ قال: اكتب إليه: أن خراسان أهم إلي من غيرها، وأنا موجه إليك الجنود من قبلي، فلما ورد على عبدالجبار كتب إليه: إن خراسان لم تكن قط أسوأ حالاً منها في هذا العام، إن دخلها الجنود هلكوا لضيق ما هم فيه من غلاء السعر؛ فلما أتاه الكتاب ألقاه إلى أبي أيوب فقال له: قد أبدي صفحته وقد خلع فلا تناظره "، وبالفعل وجه المنصور ابنه المهدي إلى خراسان، فتم خلع عبدالجبار عن ولاية خراسان، وجعل عليها المهدي وكان خليفته عليها السري بن عبدالله. [1]

دور الموريانى في مقتل الكاتب عبد الله بن المقفع

أبو محمد عبد الله بن داذويه المقفع أحد المشهورين بالكتابة والبلاغة والبراعة، كان فارسياً مجوسياً، * فأسلم على يد عيسى بن علي (عم الخليفة أبي العباس)، ثم كتب له واختص به، ووالده داذويه كان كاتبا وولي للحجاج بن يوسف الثقفي * خراج فارس

---

[1] الطبري . المصدر السابق . ج٤ ، ص١٥٥٩ .

* **المجوس:** قوم من قدامي الفرس، كانوا يعبدون الشمس والقمر والنار، يقال لهم أتباع الدين الأكبر والملة العظمى، تسمو بالمجوسية منذ القرن الثالث الميلادي. انظر الخطيب . معجم . ص٣٨٨ .

* **الحجاج بن يوسف الثقفي:** أبو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، أحد مشاهير الولاة والقواد في العصر الأموي، ولد بالطائف عام (٤٠هـ /٦٦٠م) وأنتقل إلى الشام ودخل في خدمة المروانيين من بني أمية، فاشترك في الجيش الذي قاده عبد الملك بن مروان لقتال مصعب بن الزبير، وفي عام (٧٢هـ) ولاه عبد الملك قيادة الجيش الذي أنفذه لقتال عبد الله بن الزبير الذي استولى على الحجاز، ثم ولاه على العراق، وينسب إلى الحجاج بناء مدينة واسط التي توفي بها عام (٩٥هـ / ٧١٤م) . انظر عطية الله . القاموس . ج٢ ، ص٣٩ .

فخان وأخذ الأموال، فعذبه الحجاج فتقفعت يده فلقب بالمقفع، وقيل بل لأنه كان يعمل القفاف (قفاف الخوص) ويبيعها، ولهذا سمي بالمقفع.[1]

يروي الجهشياري عن حمّاد عجرد (مولى لبني أسد بن عامر، وقد كان شاعراً نبيلاً من كتّاب الرسائل، وقد كتب ليحيى بن محمد بن صول بالموصل، ثم لعقبة بن سلم بالبحرين وكان صديقا لابن المقفع)، أنه ذكر أن الذي سعى إلى قتل ابن المقفع هو أبو أيوب المورياني، فيقول الجهشياري أن أبا جعفر قال يوما لأبي أيوب وقد أنكر عليه شيئا: كأنك تحسب أني لا أعرف موضع أكتب الخلق، وهو ابن المقفع مولاي، فلم يزل أبو أيوب خائفا له، يَسعي في أمره حتى قتله.[2] ربما خوفاً وحسداً من أن يحل محله. ويتفق كلّ من الجهشياري، وابن أعثم الكوفي، على أنه عندما خرج عبد الله بن علي - عم أبي جعفر المنصور – على المنصور وادّعى الخلافة لنفسه، أنفذ أبو جعفر أبا مسلم الخراساني لقتاله، فانهزم عبد الله بن علي نحو البصرة قاصداً أخويه سليمان وعيسى، فكاتب سليمان وعيسى أبا جعفر المنصور في أن يأمنه، فأرسل أبو جعفر المنصور سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب ليتفاوض معهم، وأمره بالتضييق عليهم حتى يرسلوا بعبد الله بن علي إليه، وكان عبد الله بن المقفع يكتب لعيسى بن علي ، فأمره عيسى بعمل نسخةٍ للأمان لأخيه عبد الله، وأوصاه بان يحرس في كل تأويل حتى يشق على المنصور العثور على منفذٍ ليبطل الأمان،[3] وبالفعل يروى الجهشياري: " إن الذي شق على أبي جعفر أن قال ابن المقفع في النسخة: يوقع بخطه في أسفل الأمان: وإن أنا نلت عبد الله بن علي أو أحداً ممن أقدمه معه بصغير من المكروه أو كبير أو أوصلت إلى أحد منهم ضرراً سراً أو علانية على الوجوه والأسباب كلها، تصريحاً أو كناية أو بحيلة من الحيل، فأنا نفي من محمد بن علي بن عبد الله، ومولود لغيره رشده (وَلَدُ سِفاح)، وقد حل لجميع أمة محمد خلعي وحربي والبراءة مني، ولا بيعة لي في رقاب المسلمين ولا عهد ولا ذمة، وقد وجب عليهم الخروج من طاعتي ... وكتبت بخطي ولا نية لي سواه، ولا

---

[1] الذهبي . تاريخ . ج٣ ، ص٩١٠، ٩١١ .
[2] الجهشياري . المصدر السابق . ص١٠٩ .
[3] الجهشياري . المصدر السابق . ، ص١٠٣ ؛ الكوفي . المصدر السابق . ج٤ ، ص٣٨٤ .

يقبل الله مني إلا إياه والوفاء به "، [1] فغضب أبو جعفر المنصور لما رأى الأمان، وقال: من يكتب له هذا الأمان؟ فقيل: ابن المقفع كاتب عيسى بن علي، فقال المنصور: فما أحد يكفينيه ؟ فلما قال أبو جعفر المنصور ما قال كتب أبو الخصيب مرزوق بن روقاء (مولى المنصور) إلى سفيان بن معاوية بن يزيد بأن يعمل على قتله إن أمكنه ذلك، وقد كان بين سفيان بن معاوية وعبد الله بن المقفع عداوة قديمة؛ لأن ابن المقفع كان دائما يسخر من سفيان بن معاوية، فاستغل سفيان بن معاوية هذه الفرصة لينتقم من ابن المقفع وقد تهيأت الظروف له عندما أرسل عيسى بن علي ابن المقفع إلى الديوان في حاجة يقضيها له عند سفيان بن معاوية، ولم يعد ابن المقفع من يومها، فلما علم عيسى بن علي بمقتله غضب، وأرسل إلى الخليفة أبي جعفر المنصور يطلب بدم ابن المقفع، فأرسل الخليفة أبا الخصيب إلى سفيان ليأتيه بابن المقفع، أو سفيان بن معاوية، وكتب المنصور لسفيان " أني قد وجهت إليك بأبي الخصيب بن روقاء، فإن كان ابن المقفع حيا، فأدفعه إليه وأنت على عملك، وإن لم تدفعه إليه، فقد أمرته بعزلك وبحملك " فقال سفيان: ما أقدر عليه، فقيده أبو الخصيب، وحمله معه وكان معه رجل من أهل بيته، فأشار عليهم رجل أن يلقوا أبا أيوب الكاتب فيكلموه في أمرهم، ففعلوا ذلك، وقال له سفيان: أنا أعلم أني إن سلمت فبك أسلم، وإن عطبت فوالله إني وأهل بيتي نعلم أنّي بك عطبت وبرأيك أقتل، فارتاع أبو أيوب من كلامه، وقال: أنا! قال: نعم؛ لأنك تقدر على أن تدفع عني، وبالفعل تدخل أبو أيوب في صرف التهمة عن سفيان بن معاوية، فيقول الجهشياري " أمسك عيسى عن الكلام في أمر ابن المقفع، وأطلق أبو جعفر سفيان وعاد رأيه له "، [2] ربما لهذا قال حماد عجرد أن الذي سعى بابن المقفع أبو أيوب المورياني، فصحيح أن أبا أيوب المورياني لم يكن له دور مباشر في قتل ابن المقفع، لكنه لعب دوراً مهماً في إبعاد التهمة عن قاتله، ونلحظ من ذلك مدى النفوذ الذي يتمتع به المورياني وحظوته عند الخليفة أبي جعفر المنصور، بحيث استطاع أن يخلص سفيان بن معاوية من تهمة القتل، بالرغم من أن المنصور ليس بالخليفة السهل الذي يمكن أن يشرك أحداً

---

[1] الجهشياري . المصدر السابق . ص١٠٤ .
[2] الجهشياري . المصدر السابق . ص١٠٤-١٠٨ ؛ الكوفي . الفتوح . ج٤ ، ص٣٨٦.

في قراراته المهمة، لكن هذا يدل على مدى الثقة التي أعطاها المنصور لأبي أيوب المورياني.

دور المورياني في مقتل كاتبه محمد بن الوليد

كان لأبي أيوب كاتب يقال له محمد بن الوليد، وهو مولى لبني أمية، وكان غالبا على أبي أيوب وكان أبو جعفر المنصور ولى مولاه طريفاً بريد مصر والشام والجزيرة، وكان محمد بن الوليد شرهاً حريصا على أخذ الرّشي فكتب إلى طريف على لسان أبي أيوب بحمل مئة ألف دينار إليه فحملها ولم يعلم أبو أيوب بها، وكان لأبي جعفر مولى يقال له (مطر) كان أبو أيوب ابتاعه من حميد الصيرفي وأهداه إليه، فأعتقه أبو جعفر فكان أبو أيوب يعتني به فأشار على أبي جعفر بصرف طريف [1] وتقليد مطر سنة (١٥٧هـ/ ٧٧٣م)، [2] ففعل ذلك وأمره بمحاسبته، فحاسبه وضيّق عليه، فغضب طريف على أبي أيوب؛ لذا دفع الكتاب الذي كتبه محمد بن الوليد عن أبي أيوب إلى أبي جعفر المنصور، فاستدعى المنصور أبا أيوب المورياني فدفع إليه بالكتاب، فقال له: هذا خط كاتبي وخاتمي ولا علم لي بشئ من أمره، فقال له أبو جعفر: هذا أشد الأمرين، أن تكون مئة ألف دينار تُؤخذ ولا يُعلم عِلمها، ثم خرج من حضرته ودعا محمد بن الوليد فسأله، فقال: نعم، هذا كتابي وأنت أمرتني به، وكابره، فكره أبو أيوب مراجعته؛ لئلا يسعى به وفي نفس الوقت بدأ يحرض أبا جعفر المنصور عليه وقال له: إن كاتبي هذا قد جني هذه الجناية، وهو مولى لبني أمية ولست أثق به وقد أقدم على ما أقدم عليه، فقال له: اقتل ابن الخبيثة، فدعا له أبو أيوب المُسوّر البربري فقال له: انطلق فاقتل محمد بن الوليد، فلما قدم المُسوّر على محمد بن الوليد أعطاه ابن الوليد قرطاس ليعطيه لأبا جعفر المنصور وأخبره أن الخليفة إذا وقف على ما في القرطاس، فإنه سوف يقلدك مكان أبي أيوب المورياني، لكن المُسوّر رفض ذلك فضرب عنق محمد بن الوليد وصار بالقرطاس إلى أبي أيوب الذي أمر بتتبع أموال محمد بن الوليد، فصادرها وأعطاها للخليفة أبي جعفر

---

[1] الجهشياري . المصدر السابق . ص١٠١ .
[2] الطبري . المصدر السابق . ج٤ ، ص١٦٣٤ .

المنصور، وكانت تقدر بمائة ألف دينار، وقد رفع ذلك من مكانة أبي أيوب عند الخليفة أبي جعفر المنصور.[1]

دور المورياني في الكيد لخالد بن برمك عند المنصور

كان المورياني ذا مقدرة مالية وإدارية كبيرة، ولكنه فضلاً عن ذلك فإنه قد لعب دوراً سياسياً في عدة أحداث، ويذكر المؤرخون عدة روايات تاريخية توضح تدخل أبو أيوب في بعض القرارات الهامة التي اتخذها المنصور، فيروي الجهشياري دور المورياني للإيقاع بخالد بن برمك عند الخليفة أبي جعفر المنصور عندما صرف الأخير خالد بن برمك عن الديّوان، وقلده أبا أيوب وقلد خالداً فارس؛ فأقام خالد بن برمك بها سنين، وأبو أيوب يسعى ليُسقط خالد بن برمك من عيّني أبي جعفر؛ لأنه يعرف ما فيه من الفضل ويتخوف منه،[2] فلما كثر على أبي جعفر صرف خالد بن برمك عن فارس، ونكبه وألزمه ثلاثة آلاف ألف درهم، ولم يكن عنده إلا سبع مئة ألف درهم، وعندما عرف الخليفة أبو جعفر المنصور من أن خالد لا يملك إلا ما حكى عنه صفح له الخليفة عن المال،[3] فشق ذلك على أبي أيوب وأحضر أحداً الجهابذة ودفع إليه مالاً، وأمره أن يعترف أنه لخالد ودس إلى أبي جعفر من سعى بالمال، فأحضر الجهبذ فسأله عن المال فاعترف به، فأحضرا خالد بن برمك فسأله عن ذلك، فحلف بالله إنه لم يجمع مالاً قط ولا ذخره ولا يعرف هذا الجهبذ ودعا إلى كشف الحال، فتركه أبو جعفر بحضرته وأحضر الجهبذ فقال له: أتعرف خالداً إن رأيته؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، أعرفه إن رأيته فالتفت المنصور إلى خالد بن برمك وقال: قد أظهر الله براءتك ثم قال للجهبذ: هذا الجالس خالد، فكيف لم تعرفه؟ قال: الأمان يا أمير المؤمنين وأخبره الخبر، فلم يتقبل المنصور من أبي أيوب بعد ذلك شيئا في خالد بن برمك.[4]

---

[1] الجهشياري . المصدر السابق . ص١٠١-١٠٢ .
[2] المصدر نفسه ، ص٩٩ .
[3] الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص١٦٣٥ .
[4] الجهشياري . المصدر السابق . ص١٠٠ .

المورياني في الرسائل المتبادلة بين المنصور ومحمد النفس الزكية *

على أن كل ذلك لا يعني أن مسؤولياته السياسية كانت كبيرةً أو خطيرةً، خاصةً وأن الخليفة المنصور لم يكن يسمح بإشراك أحد في سلطته السياسية، أو كما قال سلم بن قتيبة: " لا يصلح سيفان في غمد "، وهذا ما أكده المنصور عندما رفض دخول أبي أيوب بينه وبين محمد بن عبدالله (النفس الزكية)، فقد ورد كتاب من عند محمد بن عبدالله إلى أبي جعفر المنصور، وقد أغلظ فيه محمد بن عبدالله، فقال أبو أيوب للمنصور: دعني أجبه عليها، فقال له أبو جعفر: يا سليمان ليس ذلك إليك إذا نحن تقارعنا عن الأحساب، فدعني لها. [١]

المصادر التاريخية التي تعطي لقب " وزير " للمورياني:

لا تتفق المصادر التاريخية حول إعطاء المورياني هذا اللقب، فالطبري لا يعطيه هذا اللقب، فعند حديثه عن علاقة المورياني بقتل كاتبه محمد بن الوليد ومقتل أبي مسلم الخراساني وعبدالجبار الأزدي، ودوره للكيد من خالد بن برمك، لا يشير إليه بلقب وزير، بل يوضح دوره ككاتب للخليفة المنصور [٢] والبلاذري يكرر لقب كاتب ولا يسميه وزيراً إلا في النادر وأحيانا يعطيه اللقبين " كاتبه ووزيره " [٣] إلا أن المسعودي والجهشياري وابن الطقطقا وابن الأثير وابن خلكان لا يترددون في دعوته بالوزير ويبدو واضحا من إدراكهم أن مسؤولية المورياني كانت أكبر من كاتبٍ وأعلى من ذلك، لهذا فهم يدعوه وزيراً. [٤] لذا دون شك كان المورياني أكثر من كاتب خاص للخليفة ثم أن مسؤولياته المالية والإدارية إضافة إلى مشاركته في اتخاذ العديد

---

* الرسائل المتبادلة بين الخليفة أبي جعفر المنصور ومحمد بن عبد الله (النفس الزكية) توضح طبيعة العلاقات العلوية العباسية وتعكس آراء فئتين متنافستين حول الخلافة وأحقيتها، وتراوحت صيغة الرسائل ما بين التهديد تارة وما بين الوعود بالأمان تارة أخرى بين الطرفين، كما تضمنت تفاخر بالنسب والحسب. يمكن الرجوع للرسائل في الطبري . المصدر السابق . ج٤ ، ص١٥٨٢-١٥٨٤ .

[١] الجهشياري . المصدر السابق . ص١١٥ ؛ الطبري . المصدر السابق . ج٤ ، ص١٥٨٢ ؛ فوزي . الجذور التاريخية . ص٣٩ . أكبر . وزراء . ص١٤ .

[٢] الطبري . المصدر السابق . ج٤ ، ص١٥٤٧ ، وج٥ ، ص١٦٣٥ .

[٣] البلاذري . أنساب . ج٣ ، ص٣٢٠ .

[٤] المسعودي . التنبيه . ص٣١٢ ؛ الجهشياري . المصدر السابق . ص٩٧ ؛ ابن الطقطقا . المصدر السابق . ص١٧٥ ؛ ابن الأثير . المصدر السابق . ج٥ ، ص٢٢٤ ؛ ابن خلكان . وفيات . ج٢ ، ص٤١٠ .

يتولى تصريف أمور أبي أيوب المورياني، فوشى به للمنصور بان لديه مئة ألف دينار، فأمر الخليفة المنصور بأخذها من أبان وحبسه حتى يؤديها، ثم ندم مخلد على وشايته ولامه عمه أبو أيوب على ذلك وتعاون الاثنان مع أسرتهما على أداء المبلغ، فأطلق سراح أبان بن صدقة الذي ظل حاقداً على أبي أيوب وأخذ يطلع الربيع بن يونس حاجب الخليفة على أخباره وأسراره، فعرضها الربيع على المنصور الذي أمر بالقبض على أبي أيوب مع أفراد أسرته، كما استولت الدولة على جميع أموال أبي أيوب وضياعه، وكذلك أموال أسرته والتي بلغت مئة مليون درهم.[١]

وتذكر مصادر أخرى سبباً آخر، وهو أن المنصور عندما كان مُستتراً بالأهواز في أيام بني أمية عن ضرٍّ شديد أصابه، فنزل عند أحد الدهاقين * فأكرمه الدهقان بكل ما يقدر عليه وكانت عنده ابنةٌ في غاية الجمال، فطلب المنصور من الدهقان أن يزوجه ابنته، فزوّجه إياها فحملت منه وأراد المنصور الخروج إلى البصرة فودعها ودفع إليها قميصه ورقعة مختومة كتب عليها اسمه عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ومرت الأيام فولدت المرأة ابناً اسمته "جعفر" ونشأ مع أخواله وأهل بيت أمه، وأقبل على الأدب ونزعت همته إلى بغداد فدخل ديوان أبي أيوب المورياني كاتب المنصور، فصار كاتبه وبعدها أرسله المورياني ليكتب بين يدي المنصور، وقد استراح المورياني في بداية الأمر؛ لأنه قد حمل عنه ثقلاً، لكن تغير الحال عندما عرف المنصور بأن الغلام هو ابنه جعفر بعد أن استدل عليه من الرقعة المختومة، فبدأ المورياني يشك بأن الغلام يسعى عليه وأنه يخرج أخباره، وعرف المنصور ذلك، فقام بإرسال الغلام إلى الموصل ليحمل أمه إلى بغداد فلما علم المورياني بذلك أرسل من يتبعه ويقتله، لكن سرعان ما ندم على ذلك عندما أدرك أن الغلام هو ابن الخليفة المنصور، فأبطأ المورياني خبر الغلام على أبي جعفر المنصور ثم أخبره أنه مات فجأة، لذا أجمع المنصور على الإيقاع

---

[١] البلاذري . أنساب . ج٣ ، ص ؛ الجهشياري . المصدر السابق . ص١١٦ ؛ العمد ، إحسان ، وعواد ، محمود ، وجودة ، صادق . تاريخ الدولة العباسية . الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات ، القاهرة : ٢٠١٠م ، ص٦٧ .

* الدهقان: كلمة فارسية مركبة من مقطعين: ده (بمعني قرية) وقان (بمعني شيخ أو رئيس) أي شيخ القرية أو ممن له معرفة بشؤون الزراعة. انظر الخطيب . معجم . ص١٨٩ ؛ عطية الله . القاموس . ج٢ ، ص٣٩٧ .

من القرارات السياسية، كل هذه الاعتبارات تُظهر المورياني وكأنه الوزير أو المعين الأول للخليفة أبي جعفر المنصور، دون أن يحمل لقب الوزارة بصورة رسمية.

أسباب سقوطه:

إن مقدرة المورياني وكفاءَته جعلته يحتل المركز الأول في الإدارة العباسية على عهد الخليفة أبي جعفر المنصور، ولكنه بعد حوالي ١٧ سنة لم يعد يتمتع بثقة الخليفة؛ حيث أسقطه وسجنه هو وأقرباءه، وتختلف الروايات التاريخية في سبب نكبة أبي أيوب المورياني. فالبلاذري والجهشياري وابن الطقطقا - كما أشرنا سابقا - يؤكدون على حقيقة استغلال المورياني لموقعه باعتباره مسؤولاً عن الواردات والجباية ومدخولات الأملاك العائدة للدولة، فأثرى ثراءً فاحشاً عن طريق إخوته وأقربائه وأعوانه الذين شغلوا مراكز حساسة في الإدارة، فالبلاذري يشير إلى اعتراف بعض العمال بأن وارد مقاطعاتهم كان يقسم إلى قسمين: الأول بيت المال، والثاني إلى خالد شقيق المورياني، [1] أمّا الجهشياري فيشير إلى استغلال المورياني لرخص الأسعار واحتكاره بعض المواد الغذائية طمعا في الربح، وكان يبرر جشعه وحبه لجمع الأموال وابتزازه لبعض الواردات المتأتية من الخراج إلى أن الخليفة يطالبه بالمال ويرهقه بالمطالبة به؛ ولذلك فعليه أن يكون مستعداً على الدوام لتلبية طلبات الخليفة. [2] ويشير ابن الطقطقا إلى أن المورياني أخذ من المنصور مبلغ ثلاثمائة ألف درهم لإصلاح ضيعة لابن المنصور المدعو صالح المسكين، ولكنه لم يصلحها ونكث وعده للخليفة. [3]

وتؤكد روايات أخرى الدور الذي لعبه الربيع بن يونس في الوقيعة بين الخليفة والمورياني وتوسيع الشقة بينهما وتعميق شكوك المنصور في نوايا المورياني؛ إذ استطاع الربيع بن يونس بمساعدة بعض أعوانه وموظفي المورياني في إبلاغ الخليفة ببعض خيانات المورياني وابتزازاته للأموال، فيروي كل من البلاذري والجهشياري إلى أن مخلد بن خالد ابن أخي أبي أيوب المورياني حسد أبان بن صدقة الذي كان

---

[1] البلاذري . أنساب . ج٣ ، ص٢٤٣ .
[2] الجهشياري . المصدر السابق . ص١١٨-١١٩ .
[3] ابن الطقطقا . المصدر السابق . ص١٧٦ .

بأبي أيوب وكان إذا ذكر أبو أيوب لعنه وسبه، وقال: ذاك قاتل حبيبي، [1] ونحن نتفق مع محمد مدخلي أن الرواية يتضح فيها الوضع والاختلاق؛ إذ أنه ما من سبب يدعو الخليفة إلى ستر موضوع ابنه في اللحظة التي عرفه فيها، وما من سبب يمنعه من إعلان ذلك السر على الأقل لوزيره المورياني، والتوصية به عنده إلى أن يقرر إشهار أمره [2] كما أن المصادر المتقدمة لا تذكر هذه الرواية، بل أن المسعودي واليعقوبي وابن الأثير عند حديثهم عن أولاد الخليفة المنصور يذكرون " المهدي وجعفر، وأمهما أم موسى الحميرية، وتوفي جعفر في حياة ابيه المنصور، وسليمان وعيسى ويعقوب وجعفر الأصغر من كردية وصالح المسكين وبنت تسمى عالية " [3] بالتالي جعفر الكبير أمه أم موسى الحميرية، وجعفر الصغير أمه كردية.

ويقول ابن ظافر الأزدي: أن المنصور لما نكب المورياني ووبخه قال له: " تأن في أمري يا أمير المؤمنين فإن للتهم وقفات، وعلى الندم اعتراضها وإلى التأسف انقلابها، فقال له المنصور: كيف وقد منعني ضيق ذنوبك عن اتساع العفو عنك، فقال يا أمير المؤمنين: ما أريد أن تمن علي لحرمةٍ، ولكن استعمل معي آداب الله تعالى فإنه يقول عز وجل: " وهو الَّذي يَقبَلُ التَّوبَة عَنْ عِبَادِهِ ويَعْفُو عَن السَّيئات وَيَعْلَمُ مَا تفعُلون " * فقد عفا عن ذنوب علم حقيقتها وقبل توبة ما كان قبلها وظن أمير المؤمنين لا يبلغ هذه المعرفة، فهو يعفو عن المسيء ويتجاوز عن ظنه، فقال المنصور: لا يسعني مع عظيم جرمك وجليل ذنبك إقالتك ولا العفو عنك؛ لأنك اقترفت الموبق ومالا يسع معه عفو ". [4]

لذا فنحن نعي أنّ هناك أكثر من سبب لنكبة المورياني، فلقد كان غضب المنصور على المورياني بمقدار الثقة التي أعطاها له، ولقد كانت هذه الثقة كبيرة؛

---

[1] ابن خلكان . وفيات . ج٢ ص٤١١-٤١٤ ؛ النهرواني ، معافى بن زكريا (ت٣٩٠هـ / ٩٩٩م) . **الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي** . ج١ ، تحقيق: محمد مرسي الخولي ، عالم الكتب ، بيروت : ١٩٨١م ، ص٥١٠-٥١٤

[2] مدخلي ، محمد ربيع هادي . **المصادرات في العصر العباسي الأول من عهد الخليفة المنصور حتى عهد الواثق بالله (١٣٦-٢٣٢هـ)** . جامعة أم القرى ، مكة المكرمة : د.ت ، ص٣ .

[3] المسعودي . مروج . ج٣ ، ٣٧٦ ؛ اليعقوبي . المصدر السابق . ج٢ ، ٣٧٩ ؛ ابن الأثير . المصدر السابق . ج٦ ، ص١١ .

* الشورى ، آية ٢٥ .

[4] ابن ظافر الأزدي . **أخبار الدول المنقطعة** . ص٢٢٢-٢٢٣ .

لأن نفوذ المورياني كان واسعاً جداً، فيشير الجهشياري إلى أن المنصور بعد إسقاطه المورياني " قلد الخاتم الفضل بن سليمان الطوسي، وقلد كتابة الرسائل والسر أبان بن صدقة، وقلد ضياعه صاعداً مولاه، وقلد ديوان خراج البصرة ونواحيها عمارة بن حمزة، وقلد الربيع مولاه نفقاته والعرض عليه "؛ [1] وهذا يدل على المدى الذي وصلت إليه يد المورياني في شؤون الدولة العباسية.

نهاية أبي أيوب المورياني:

يروي الطبري في أحداث سنة (١٥٣هـ /٧٦٩م) أن أبا جعفر المنصور أمر بحبس أبي أيوب المورياني وأخيه وبني أخيه. سعيد ومسعود ومخلد ومحمد. [2] ويروي أيضاً في أحداث سنة (١٥٤هـ/ ٧٧٠م) أن أبا أيوب المورياني هلك وكذلك أخوه خالد، وأمر أبو جعفر المنصور موسى بن دينار حاجب أبي العباس الطوسي بقطع أيدي بني أخ أبي أيوب وكذلك أرجلهم وأعناقهم، [3] ويؤكد اليعقوبي أن أبا جعفر المنصور قتل أبا أيوب المورياني، وقتل أقاربه وصادر أموالهم، [4] ويقول الشاعر ابن حبيبات الكوفي في ذلك : [5]

قد وجدنا الملوك تحسد من أعطته طوعاً أزمة التدبير

فـإذا ما رأوا له النهـي والأمـر أتـوه من بأسهـم بنكيـر

شرب الكأس بعد حفص سليمان ودارت عليه كف المديد

ونجـا خالـد بن برمـك منهـا إذ دعـوه من بعدهـا الأميـر

أسـوأ العالميـن حالاً لديهـم من تسمـي بكاتبٍ أو وزيـر

[1] الجهشياري . المصدر السابق . ص١٢٤ ؛ فوزي . الجذور التاريخية . ص٤٢
[2] الطبري . المصدر السابق . ج٤ ، ص١٦٣١ .
[3] المصدر نفسه ، ج٤ ، ص١٦٣٢ .
[4] اليعقوبي . المصدر السابق . ج٢ ، ص٣٨٩ . مدخلي . المصادرات . ص٤ .
[5] ابن الطقطقا . المصدر السابق . ص١٧٦ .

الوزير الربيع بن يونس

أصله ونسبه:

أبو الفضل الربيع بن يونس بن محمد بن عبدالله بن أبي فروة، واسمه أبو فروة كيسان مولى الحارث الحفار مولى الخليفة عثمان بن عفان، [1] كان الربيع بن يونس شخصاً غامض الأصل مغمور النسب، وترى بعض الروايات التاريخية إلى أن أباه يونس بن محمد كان من شطّار المدينة، فأقام علاقة بجارية له، فأنجبت له الربيع الذي استعبد أيضا، وتربى عبداً حتى بيع في سوق العبيد إلى زياد بن عبدالله الحارثي خال الخليفة أبي العباس السفاح؛ فأهداه إلى الخليفة ثم خدم أبا جعفر بعده. [2] وفي روايات أخرى أن الربيع كان لقيطاً لا يعرف نسبه أو والده، لذلك كان نسبه عرضة للكثير من النقد اللاذع من منافسيه وأعدائه خلال فترة حياته، [3] فيذكر ابن خلكان والذهبي أن الربيع بن يونس قال يوماً لرجل كررّ الترحّم على أبيه في حضرة المنصور: كم تكرّر ذكر أبيك وتترحّم عليه؟ فقال له الرجل: إنك معذور في ذلك، لأنك لم تذق حلاوة الآباء، فخجل منه، [4] كذلك يشير البغدادي إلى أن ابن عياش المنتوف كان يطعن في نسب الربيع طعناً قبيحاً ويقول للربيع: فيك شبه من المسيح، يخدعه بذلك، فكان الربيع بن يونس يكرمه لذلك حتى أخبر المنصور بما قاله له، فقال: إنه يقول لا أب لك، فتنكر له الربيع بعد ذلك. [5]

صفاته

عُرف عن الربيع بن يونس إنه كان رجلاً نبيلاً منفذا للأمور مهيبا، كاتباً حازماً عاقلاً فطناً خبيراً بالحساب والأعمال حاذقاً بأمور الملك، [6] فكان يقول: من كلم كلّم الملوك في الحاجات في غير أوقات الكلام لم يظفر ببغيته وضاع كلامه، وما أشبه الحال في ذلك إلا بأوقات الصلاة لا تقبل إلا في وقتها، فمن أراد خطاب الملوك

---

[1] ابن خلكان . وفيات . ج٢ ، ص٢٩٤؛ البغدادي . تاريخ . ج٨ ، ص٤١٤ .
[2] الجهشياري . المصدر السابق . ص١٢٥ ؛ فوزي . الجذور التاريخية . ص٤٧ .
[3] ابن الطقطقا . المصدر السابق . ص١٧٧ .
[4] ابن خلكان . المصدر السابق . ج٢ ، ص٢٩٦ ؛ الذهبي . تاريخ . ج٤ ، ص٣٦٤،٣٦٣ .
[5] البغدادي . تاريخ . ج٨ ، ص٤١٤ .
[6] ابن الطقطقا . المصدر السابق . ص١٧٨ .

فليترصد الوقت المنْجح الذي يصلح فيه ذكر ما أراد ليحصل النجح وإلا فلا، [1] كما أنه كان بصيراً بما يأتي ويذر، محباً لفعل الخير، [2] فكان أبو جعفر المنصور إذا أراد بالإنسان خيراً أمر تسليمه إلى الربيع بن يونس، وإذا أراد به شراً سلمه للمسيّب بن زهير بن عمرو (تولىّ شرطة بغداد في أيام المنصور)، [3] فيروي أن المنصور أحضر يوماً إنساناً ذكر له أنه وثب على عامله بفلسطين، فقال له المنصور: ويحك أنت المتوثب على فلان العامل؟ والله لأنثرن من لحمك أكثر مما يبقى منه على عظمك، و كان شيخاً كبيراً، فأنشد بصوتٍ ضعيفٍ :

أتروض عِرْسك بعدما هرمت ومن العناء رياضة الهَرِم

فقال المنصور: يا ربيع ما يقول؟ فقال يقول :

العبد عبدكم والأمر أمركم فهل عذابك عني اليوم مصروف؟

فعفا عنه الخليفة أبو جعفر المنصور. [4]

---

[1] الثعالبي ، عبدالملك بن محمد (ت٤٢٩هـ / ١٠٣٧م) . لطائف اللطف . تحقيق: عمر الأسعد ، دار المسيرة ، بيروت : ١٩٨٠م ، ص٢٥ .

[2] ابن الطقطقا . المصدر السابق . ص١٧٨ .

[3] الجهشياري . المصدر السابق . ص١٣٤ ؛ ابن خلكان . وفيات . ج٢ ، ص٢٩٥ .

[4] الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص١٦٥٢ ؛ ابن الطقطقا . المصدر السابق . ص١٧٨ .

سلطاته الإدارية والسياسية.

مما لا شك فيه أن الربيع بن يونس حاجب الخليفة أبي جعفر المنصور، هو أحد أعمدة البلاط العباسي ومن خاصة الخليفة المنصور، فقد أشرنا سابقاً إلى دوره في سقوط المورياني حين كشف للمنصور العديد من ابتزازاته، [١] كما ظهر الربيع في العديد من المناسبات مع الخليفة وبجانبه يشير إليه ويجيبه على تساؤلاته حين يسأله الخليفة المشورة، فيروي الطبري إلى أن الخليفة أبا جعفر المنصور عهد إليه الإشراف على بناء قصر الخلد؛ [٢] لذا فمن دون شك فقد عهدت للربيع بن يونس مسؤوليات جديدة إضافية بعد سقوط المورياني، إلا أن المؤرخين يختلفون في طبيعة المسؤوليات التي أنيطت بالربيع بن يونس؛ فالبلاذري يرى أن إدارة النفقات أضيفت إليه مع مسؤوليته القديمة الحجابة، [٣] بينما يؤكد الجهشياري أنه رُقي إلى مرتبة وزير وفي نفس الوقت مسؤولا عن النفقات والعرض، [٤] أما العرض فهو تقديم الرسائل ومذكرات الالتماس وطلبات الحوائج إلى الخليفة، [٥] ويبدو أن الجهشياري على يقين بأن منصب الوزارة قد عُهد للربيع بن يونس؛ حيث يشير إلى المراسيم التي اتّبعت في ذلك فيقول: " لما عزم المنصور على تقليد الربيع العَرْض عليه، قال اجلس في بيتك حتى يأتيك رسولي... فصار إليه الرسول بدرّاعه وطيلسان وشاشية فقال له: البس هذا، واركب بهذا الزي فركب، فأمر الفراش أن يطرح له مرفقه تحت البساط تقصيراً به عن منزلةِ المهدي وعيسى بن علي؛ لأنه كان يطرح لهما مرفقين ظاهريين، فلما وصل إليه قال له: قد وليتك الوزارة والعَرْض، ووليت ابنك الفضل الحجابة "، [٦] ويؤكد وزارة الربيع كل من البغدادي وابن خلكان، [٧] أما الطبري واليعقوبي فإنهما يريا بأن الوزارة التي عهدت إلى الربيع بن يونس لم تكن في

---

[١] الجهشياري . المصدر السابق . ص١١٦ .
[٢] الطبري . المصدر السابق . ج٤ ، ص١٦٣٤ .
[٣] البلاذري . أنساب . ج٣ ، ص٣١٧ .
[٤] الجهشياري . المصدر السابق . ص١٢٥ .
[٥] فوزي . الجذور التاريخية . ص٤٨ .
[٦] الجهشياري . المصدر السابق . ص١٢٥ .
[٧] البغدادي . تاريخ . ج٨ ، ص٤١٤ ؛ ابن خلكان . وفيات . ج٢ ، ص٢٩٤ .

حقيقتها منصباً إداريا بقدر ما كانت مرتبة في البلاط العباسي شبيهة بمرتبة الحاجب الأول للخليفة؛ لذا لم يسمياه وزيراً بل حاجباً.[1]

لكن بالرغم من ذلك أثبت الربيع بن يونس كفاءته وقدرته في اتخاذ قرارات سريعة في مواقف حاسمةٍ، كما أثبت إخلاصه في تنفيذ رغبات الخليفة أبي جعفر المنصور، مما يرقى به إلى دور الوزير ومسؤولياته، ولعل الدور الذي لعبه الربيع بن يونس حين قربت وفاة المنصور في طريق الحجاز لأخذ البيعة من الأشراف وبني هاشم والقواد لولي العهد المهدي من الأدوار الحاسمة في تاريخ الخلافة العباسية، فتشير الرواية التاريخية إلى أن الربيع كان الوحيد الذي حضر وفاة المنصور ولكنه أخفى النبأ وطلب من بني هاشم وغيرهم أن يقسموا يمين البيعة للمهدي بناءً على رغبة المنصور - المريض- وحين تمّ له ذلك أعلن نبأ وفاة الخليفة وضمن تنفيذ رغبته بأن يكون ابنه المهدي خليفة من بعده.[2] فيروي ابن الأثير أنه " لما اشتد وجعه - المنصور- جعل يقول للربيع: بادرني حرم ربي هارباً من ذنوبي، وكان الربيع عديله، ووصاه بما أراد، فلما وصل إلى بئر ميمون مات بها مع السحر لست خلون من ذي الحجة، ولم يحضر عند وفاته إلا خدمه والربيع مولاه، فكتم الربيع موته، ومنع من البكاء عليه، ثم أصبح فحضر أهل بيته كما كانوا يحضرون، وكان أول من دعا عمه عيسى بن علي، فمكث ساعة ثم أذن لابن أخيه عيسى بن موسى، وكان فيما خلا يقدم على عيسى بن علي، ثم أذن للأكابر وذوي الأنساب منهم، ثم لعامتهم فبايعهم الربيع للمهدي ولعيسى بن موسى بعده، فلما فرغ من بيعة بني هاشم بايع للقواد وبايع لعامة الناس، وسار العباس بن محمد ومحمد بن سليمان إلى مكة ليبايعا الناس، فبايعوا بين الركن والمقام ... "،[3] على هذا فإن نفوذ الربيع بن يونس في عهد المنصور لم يكن أقل من نفوذ سلفه المورياني، فقد احتلا مركزاً متساوياً إلى جانب الخليفة المنصور كمساعدين رئيسيين موثوقاً بهما، وكان واجبهما الرئيس تسهيل أعمال الإدارة دون أن يكون لهما الحق باتخاذ إجراءات مهمة إلا بعد

---

[1] الطبري . المصدر السابق . ج٤ ، ص١٦٣٤ ؛ اليعقوبي . المصدر السابق . ج٢ ، ص٣٩٠-٣٩١ .
[2] الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص١٦٣٧ ؛ المدور ، جميل نخلة . حضارة الإسلام في دار السلام . دار العالم العربي ، القاهرة : ٢٠٠٨م ، ص٧٣ .
[3] ابن الأثير . المصدر السابق . ج٦ ، ص ١٠، ١١ .

الاستئناس برأي الخليفة؛ حيث أن طبيعة المنصور لم تكن تسمح بغير ذلك، كما أن عهد المنصور عصر تأسيسي لكيان الدولة، فالحذر والريبة سمتان تستبدان بالحاكم دون وعي أحياناً .

ومهما يكن من أمر فقد بقى الربيع بن يونس الأول بين أقرانه من خاصة المنصور والمساعد الأول له حتى وفاته، وبذلك فتح الربيع بن يونس نفوذه في عهد المهدي؛ إذ أن دوره السياسي لم ينته بعد حيث استمر في عهد الخليفة المهدي وابنه الهادي الذي قتله سنة ١٧٠هـ/٧٨٥م .[١] ويقال أن الخليفة الهادي سقاه عسلاً مسموماً.[٢]

[١] ابن الطقطقا . المصدر السابق . ص١٧٨ .
[٢] الذهبي . تاريخ . ج٤ ، ص٣٦٤ .

الفصل الثالث : وزراءُ الخليفة محمدٍ بن عبد الله المهدي

(١٥٨- ١٦٩هـ /٧٧٥ -٧٨٥م)

الخليفة محمد بن عبد الله المهدي

الوزير أبو عبيد الله معاوية بن يسار

الوزير يعقوب بن داود

الوزير الفيض بن أبي صالح

الخليفة أبو عبد الله محمد المهدي

(١٥٨ -١٦٩هـ / ٧٧٥ -٧٨٥م)

محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ثالث خلفاء الدولة العباسية، يُكنى أبو عبد الله وأمه أم موسى بنت منصور بن عبد الله بن ذي سهم بن أبي سرح من ولد ذي رعين من ملوك حِمير، [١] نشأ في بيت الخلافة وعنى أبوه أبو جعفر المنصور بتثقيفه، فمال إلى العلم والأدب وعكف على حفظ أيام العرب ومكارم الأخلاق، ودراسة الأخبار والأشعار، فنشأ فصيحاً يقول الشعر ويجيده ويحفظ الكثير منه ومن أمثال العرب. [٢] يقول ابن الطقطقا: أن المهدي "كان شهماً كريماً، وشديداً على أهل الإلحاد والزندقة، لا تأخذه في إهلاكهم لومة لائم وكان يجلس في كل وقت للمظالم، كما كان ذكياً فصيحاً بعيد الهمة، سديد الرأي، ثاقب الفكر، قوي البيان وفصيح اللسان، عالماً بضروب السياسة وفنونها؛ مما أهّله لآن يلي أمور المسلمين، وكان أبوه يعرف فيه هذه الصفات فكان إذا دخل عليه في مجلسه أتبعه ببصره؛ لحبه له وإعجابه به. [٣]

سياسته: كان المهدي متأثراً جداً باللقب الذي أعطاه إياه والده، وهو لقب المهدي، أي المنقذ المنتظر؛ لذا نهج إلى ما يوصف بالسياسة الدينية فقضى الكثير من سياساته في التخفيف عن الرعية وفي الجهاد ومحاربة الزندقة، بإيحاءٍ من نشأته وتربيته في طفولته وشبابه واقتناع بأنه المنقذ السياسي المنتظر؛ لذا تعتبر خلافته التي استمرت عشرة أعوام، فترة انتقالٍ بين عهد الشدة والقمع الذي ساد عهد من سبقه من خلفاء بني العباس وعهد الاعتدال واللين الذي امتازت به أيامه وأيام من أتي بعده، وكان الناس كما وصفهم أبو جعفر المنصور في وصيته لابنه، ثلاثة أصناف: " فقيرٌ لا يرجو إلا غناك، وخائفٌ لا يرجو إلا أمنك، ومسجوناً لا يرجو الفرج إلا منك، فإذا

---

[١] الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص١٦٥٧ ؛ المسعودي . مروج . ج٣ ، ص٣٧٧ .
[٢] البغدادي . تاريخ . ج٥ ، ص٣٩١ .
[٣] ابن الطقطقا . المصدر السابق . ص١٧٩ ؛ حسن ، حسن إبراهيم . تاريخ الإسلام . ج٢ ، الكتاب الذهبي ، القاهرة : ٢٠٠٣م ، ص٤٠ .

وُليت فأذقهم طعم الرفاهية ". [1] لذلك كان من الضروري أن ينتهج سياسة لينة تداوي الجراح والنفوس، وتجمع شمل الأمة، وامتاز عهده بالهدوء الداخلي مما أفسح المجال له للقيام بتنفيذ مشروعات إصلاحية. [2]

حاول المهدي قبل كل شيءٍ استرضاء الناس، " فنظر في (دفتر القبوض) حيث سجل المنصور ما أخذه من أموال الناس بالمصادرة لجنايات مختلفةٍ، فأحضر كل من أخذ منه مالاً وأرجعه إليه ". [3] ثم أمر بإطلاق كافة المسجونين " إلا من كان قبله تباعه من دمٍ أو قتلٍ، ومن كان معروفاً بالسعي في الأرض بالفساد، أو من كان لأحدٍ قبله مظلمة أو حقّ ". [4] كذلك حاول استرضاء العلويين، فأخرج من كان منهم في السجن وأمر لهم بالجوائز، وأعاد لهم أرزاقهم وصلاتهم، كما ساعد استيزاره ليعقوب بن داود على زيادة التفاهم معهم. [5] واسترضى أهل الحجاز عندما حج سنة (١٦٠هـ /٧٧٧م)، وكان أبو جعفر المنصور قد عاملهم بشدة بسبب مساندتهم لحركة محمد (النفس الزكية)، فوزع عليهم أموالاً طائلة، وسمح بإعادة الغلال والحبوب الواردة إليهم من الشام ومصر بعد أن قطعها عليهم أبو جعفر المنصور، كذلك وسع المسجد الحرام حتى توسطته الكعبة بعد أن كانت على جانب منه، ووسع مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة، [6] كما عمل على اكتساب مودة أهل الشام، فزار دمشق وبيت المقدس، وحاول تسوية الخلافات القبلية المختلفة في بادية الشام، ووزع عليهم الأموال. [7]

اهتم الخليفة المهدي أيضاً بإقامة العدل، فكان يجلس في كل وقتٍ لرد المظالم، [8] وأنصف الناس حتى من نفسه ، فيروي الطبري أن رجلاً شكا إلى القاضي سنة

---

[1] اليعقوبي . المصدر السابق . ج٢ ، ص٣٩٥ ؛ الهاشمي . الخلافة العباسية . ص١٦٤،١٦٣ ؛ عبد الحي . الدولة العباسية . ص٣٦ ، ٣٧ .
[2] الدوري . العصر العباسي . ص ٨٥ ؛ طقوش . تاريخ . ص٧٥ .
[3] اليعقوبي . المصدر السابق . ج٢ ، ص٣٩٤ .
[4] الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص١٦٦٠ ؛ ابن الأثير . المصدر السابق . ج٦ ، ص١٥ .
[5] اليعقوبي . المصدر السابق . ج٢ ، ص٣٩٤ ؛ الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص١٦٦٠ .
[6] اليعقوبي . المصدر السابق . ج٢ ، ص٣٩٦ ؛ ابن الأثير . المصدر السابق . ج٦ ، ص١٩ ؛ الدوري . العصر العباسي . ص٨٦ ؛ طقوش . تاريخ . ص٧٥ .
[7] اليعقوبي . المصدر السابق . ج٢ ، ص٣٩٨ ؛ المسعودي . مروج . ج٣ ، ص٣٨٢ ؛ ابن الطقطقا . المصدر السابق . ص١٧٩ .
[8] المسعودي . مروج . ج٣ ، ص٣٨٢ ؛ ابن الطقطقا . المصدر السابق . ص ١٧٩ .

(١٦٩هـ/ ٧٨٤م) وكيلاً للمهدي اغتصب ضيعته، فحكم القاضي للرجل، فرد المهدي الضيعة إليه.[1] وكان يشرك القضاة معه عند النظر في المظالم ويقول: " لو لم يكن ردي للمظالم إلا للحياء منهم لكفى ".[2]

المشاكل الداخلية:

مشكلة الزنادقة

انتشرت في المجتمع الإسلامي منذ أواخر العهد الأموي ظاهرة الزندقة، وازدادت نشاطاً وحِدة في العصر العباسي الأول، والواقع أن كلمة الزندقة أطلقت في الأصل على أتباع الديانات المجوسية كالمانوية * ثم تدرجت فشملت الملحدين (الذين يقولون ببقاء الدهر)، والمتشككين في الدين من أتباع ابن ديصان ومرقيون وماني، فيقول المسعودي في ذلك: " أن المهدي أمضى في قتل الملحدين لظهورهم في أيامه وإعلانهم باعتقاداتهم في خلافته لِما انتشر من كتب ماني وابن ديصان ومرقيون ".[3] وأصبح لهذا الاصطلاح بعد ذلك دلالاتٌ دينيةٌ وسياسيةٌ حين استخدمته السلطة العباسية لضرب خصومها السياسيين أو الدينيين، وفي الحقيقة الزندقة هي حركة سياسية مغلفة بإطار فكري ديني منظم ينادي أتباعها بنشر مذهب المانوية باعتباره بديلاً للتراث الإسلامي العربي،[4] وقد أدرك الخليفة المهدي أمر الزنادقة فيقول ابن الطقطقا: " أن المهدي كان شديداً على أهل الإلحاد والزندقة "،[5] وتبين الروايات أن الخليفة المهدي جدّ سنة (١٦٧هـ /٧٨٣م) في طلب الزنادقة، والبحث عنهم في الآفاق وقتلهم.[6] ويقول

---

[1] الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص١٦٨١ .

[2] الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص١٦٨١ ؛ ابن الطقطقا . المصدر السابق . ص١٧٩ .

* المانوية: مذهب ديني فارسي الأصل، يعتقد أتباعه أن في الكون إلهين مستقلين أحدهما للخير والثاني للشر، والحياة في نظر أتباع هذا المذهب صراع بين الجسد والروح وبين الظلام والنور من اجل الخلاص الذي هو الغاية النهائية بنظرهم. انظر الشهرستاني ، محمد عبد الكريم (ت ٥٤٨هـ) . **الملل والنحل** ، ج١ ، تحقيق: عبد العزيز محمد الوكيل ، مؤسسة الحلبي ، القاهرة ، ١٩٦٨م ، ص ٢٤٥ ؛ وانظر الخطيب . **معجم** . ص٣٨٥ .

[3] المسعودي . **مروج** . ج٤ ، ص٢٤٢ ؛ بارتولد ، ف . **تاريخ الحضارة الإسلامية** . ترجمة: حمزة طاهر ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ص٤٦،٤٧ ؛ **Bukhsh, Qadar , Islamic civilization** , Calcutta , ١٩٢٩ , vol ١ , p١٠٠ .

[4] ابن النديم ، محمد بن إسحق (ت ٣٨٣هـ / ٩٩٢م) . **الفهرست** . تحقيق: رضا شعبان ، دار المعرفة ، بيروت : ١٩٧٨م ، ص٤٧٣ .

[5] ابن الطقطقا . المصدر السابق . ص١٧٩ .

[6] اليعقوبي . المصدر السابق . ج٢ ، ص٤٠٠ ؛ الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص ١٦٧٨ ؛ ابن الأثير . المصدر السابق . ج٦ ، ص٣٥ .

الأصفهاني: أن الخليفة المهدي أنشأ ديواناً خاصاً بهم سماه (ديوان الزنادقة) عين عليه موظفاً خاصاً هو (صاحب الزنادقة). [1]

حركة المقنع الخراساني

لعل اهتمام المهدي بأمر الزنادقة راجع إلى ظهور بعض الحركات الإلحادية (الشُكاك والضُلال والمنكرين لوحدانية الله) في عهده مثل: حركة المقنع الخراساني، وهو رجل فارسيٌ من مدينة مرو، وكان من الرجال المقربين إلى أبي مسلم الخراساني واسمه هاشم بن حكيم، لُقب بالمقنع لأنه كان يضع على وجهه قناعاً أو نقاباً موشى بالذهب كي يخفي وجهه الدميم المشوه أو كما يزعم أتباعه كي يحجب الذات الإلهية التي تجسدت فيه عن عيون الناس الدنسة الغير جديرة بالنظر إليه. [2] وقد ارتكزت حركته على الحلولية والتناسخ وهي أنّ الله تعالى خلق آدم وتحول في صورته، وأن روح آدم تحولت إلى الأنبياء إلى أن وصلت إلى أبي مسلم، ثم حلت بالمقنع من بعده وهذه هي مبادئ المزدكية الفارسية، [3] وقد حاربه المهدي بكل شدةٍ وعنفٍ حتى قضى عليه هو وأتباعه سنة (١٦١هـ /٧٧٧م). [4]

الإداريات:

الوزارة : كان عهد المهدي عهد استقرار سياسيٍ وإداريٍ، وقد أصاب ابن الطقطقا في قوله : " وفي أيامه ظهرت أبهة الوزارة " [5] إذ كان الخليفة يعطي وزراءه سلطة واسعة، فقد استوزر أبا عبيد الله معاوية بن يسار (١٥٩ -١٦٣هـ /٧٧٥-٧٧٩م) الذي كان كاتبه ونائبه قبل الخلافة [6] " وفوض إليه تدبير المملكة وسلم إليه

---

[1] الأصفهاني . أبو الفرج (ت٣٥٦هـ / ٩٦٦م) . الأغاني . ج٣ ، تحقيق: لجنة من الأدباء ، الدار التونسية ، تونس : ١٩٨٣م ، ص٢٤٥ .

[2] ابن الطقطقا . المصدر السابق . ص١٨٠ ؛ ابن الأثير . المصدر السابق . ج٦ ، ص١٩ .

[3] البغدادي ، عبد القاهر بن طاهر (ت ٤٢٩هـ) . الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم . تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي ، دار الجيل ، بيروت : ١٩٨٧م ، ص٣١-٢٥٣ ؛ ابن الأثير . المصدر السابق . ج٦ ، ص١٩ .

[4] الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص١٦٦٧ ؛ ابن الأثير . المصدر السابق . ج٥ ، ص٢٤ ؛ ابن الطقطقا . المصدر السابق . ص١٨٠ .

[5] ابن الطقطقا . المصدر السابق . ص١٨١ .

[6] الجهشياري . المصدر السابق . ص١٤١ .

الدواوين " [1] ثم استوزر بعده يعقوب بن داود فسماه أخاً في الله ووزيراً، وأخرج بذلك توقيعاتٍ تثبتُ في الدواوين وفوض إليه الأمور، ثم جاء بعده الفيض بن أبي صالح[2]

المالية : كان المهدي مبذراً في بسط يده في إعطاء الأموال، فقد أذهب كل ما خلفه المنصور، حتى كان بيت المال * أحياناً عرضة للإفلاس التام، بالرغم من أن وزيره أبا عبيد الله معاوية كان يشير عليه بالاقتصاد وحفظ الأموال، [3] مع هذا لم يرهق المهدي رعيته في الجباية لا سيما في سنوات حكمه الأولى، فإليه ينسب الجهشياري إبدال الخراج النقدي على المساحة في الغلات والزروع بنظام المقاسمة،[4] ويبين ابن الطقطقا أن ذلك كان بإشارة من وزيره أبي عبيد الله معاوية. [5] لكن المهدي في أواخر حكمه أحدث ضريبة على الأسواق، فيروي اليعقوبي " وأمر المهدي بجباية أسواق بغداد وجعل عليها الأجرة، فكان أول ما جبيت أسواق بغداد للمهدي "،[6] وربما كان لإفلاس الخزينة في سنوات حكمه الأخيرة أثر في ذلك. [7]

الدواوين : توسَّعت الدواوين في الدولة العباسية في عهد الخليفة المهدي تماشياً مع تطور الدولة العباسية واتجاهاتها نحو المركزية في الإدارة، فأدّى ذلك إلى إنشاء (دواوين الأزمة) وهي دواوينٌ صغيرةٌ للإشراف على دواوين الدولة، فيروي الطبري " أول من عمل ديوان الزمام عمر بن بزيع في خلافة المهدي وذلك أنه لما جمعت له الدواوين تفكر فإذا هو لا يضبطها إلا بزمام يكون له على كل ديوان، فاتخذ دواوين

---

[1] ابن الطقطقا . المصدر السابق . ص١٨٢ .
[2] الجهشياري . المصدر السابق . ص١٥٥ .
* **بيت المال**: اصطلاح في النظام المالي الإسلامي، أطلق في الدولة الإسلامية على المؤسسة المشرفة على موارد الدولة ونفقاتها، وضعت نواته منذ حياة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم طوره الخليفة عمر بن الخطاب في ظل ما استحدثه في الدولة من تنظيمات، تكونت موارد بيت المال من: الخراج والجزية والزكاة والفيء والغنيمة والمواريث، اما مصارفه فكانت تشمل: اعطيات الجند وارزاق الولاة والشرطة والقضاة، والمنح المعطاة لرجال الأدب والعلماء ومعدات الجيش والمنشآت والطرقات وما يدفع لذوي الحاجات من المساكين والفقراء. انظر الماوردي . **الأحكام السلطانية** . ص١٢٨ ؛ الخطيب . معجم . ص٩٣ .
[3] الجهشياري . المصدر السابق . ص١٥٨ ؛ البغدادي . تاريخ . ج٥ ، ص٣٩٣ .
[4] الجهشياري . المصدر السابق . ص١٤٣،١٤٢ .
[5] ابن الطقطقا . المصدر السابق . ص١٨٢ .
[6] اليعقوبي . المصدر السابق . ج٢ ، ص٣٩٩ .
[7] الدوري . العصر العباسي . ص٩٧ .

الأزمة وولى كل ديوانٍ رجلاً "، [1] ثم يبين الجهشياري أن المهدي أنشأ في سنة (١٦٢هـ /٧٧٨م) ديوان زمام الأزمة وهو ديوان يشرف على دواوين الأزمة. [2]

النظر في المظالم : نظم المهدي أمر النظر في المظالم، فأنشأ مجلساً خاصاً لرد المظالم وذلك ليحمي الرعية من تعدي الولاة، وجورهم وخاصة في قضايا الضرائب والأراضي، [3] وكان يستعين بوزيره أبي عبيد الله معاوية بن يسارٍ أثناء جلوسه للمظالم. [4]

عطلة الكتّاب : جعل المهدي يوم الخميس يوم عطلةٍ للكتّاب لقضاء شؤونهم وللراحة، بينما كانت الجمعة عطلة للعبادة والصلاة، وقد استمر هذا الوضع حتى خلافة المعتصم. [5]

والخلاصة أن الهدوء الداخلي والاستقرار النسبي ساعد الخليفة على تنظيم الإدارة، وعلى الاهتمام بالرعية وبشؤون الدولة الداخلية والازدهار الاجتماعي.

[1] الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص١٦٧٩ ؛ الدوري . العصر العباسي . ص٩٨ .
[2] الجهشياري . المصدر السابق . ص١٦٦ .
[3] الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص١٦٨٦ ؛ ابن الطقطقا . المصدر السابق . ص١٧٩ .
[4] الجهشياري . المصدر السابق . ص١٤٥ .
[5] الجهشياري . المصدر السابق . ص١٦٦ .

الوزير أبو عبيد الله معاوية بن يسار الطبراني

(١٥٩-١٦٣هـ /٧٧٥م -٧٧٩م)

نسبه:

أبو عبيد الله معاوية بن عبيد الله بن يسار الأشعري الطبراني،وهو مولى الأشعريين، ويقال له الطبراني نسبة إلى طبرية من بلاد الشام، وكان ذا دين وتعبد، وكان الخليفة المهدي يعظمه ولا يخالفه في رأى. [١]

علاقته بالخليفة المهدي قبل الخلافة:

شهد عهد المنصور بداية نظام جديد، ولكي يكون ولي العهد قادراً على تحمل مسؤولياته إلى حين يأتي اليوم الذي يكون فيه خليفة، فقد قرر المنصور أن يجعل لولي عهده مربياً وكاتباً يرعاه ويعده، ثم يصبح ساعده الأيمن حين يتولى الخلافة؛ لذا اختار المنصور أبا عبيد الله معاوية لتربية ابنه المهدي والكتابة له، يقول ابن الطقطقا: " إن المنصور كان قد عزم أن يستوزره، ولكنه آثر به ابنه المهدي فكان غالباً على أموره لا يعصي له المهدي قولاً، وكان المنصور لا يزال يوصيه به ويأمره بامتثال ما يشير به "، [٢] وقد غلب أبو عبيد الله معاوية على أمر المهدي حتى قبل الخلافة، فيروي الطبري في أحداث سنة (١٥٠هـ/ ٧٦٦م) كيف أن أبا عبيد الله معاوية - وهو في خراسان – كان يحاول التدخل في كل شيء، ويسعى إلى أعلاء كلمته فوق كل كلمةٍ، وكان في ذلك الوقت مختصاً بولي العهد - المهدي – يرعاه ويشير عليه فيما يستشار فيه، أما المسائل التي تتعلق بسياسة الدولة والأمور التي تتصل بالحرب وأمر القواد ونهيهم وتعيينهم وعزلهم ووضع الخطط لهم، فلم يكن منصبه الرسمي يبيح له أن يتدخل في شيء منه، ولكن قوة شخصيته وتمكنه من ولي العهد وإلى خراسان في ذلك الوقت جعله ينظر في تلك الشؤون، الأمر الذي جعله يصطدم بالقوادِ ويثير سخطهم، ومن هؤلاء القواد خازم بن خزيمة الذي أرسله الخليفة أبو جعفر المنصور لولي العهد

---

[١] الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص١٦٦٩ ؛ المسعودي . التنبيه . ص٣١٣ ؛ ابن الطقطقا . المصدر السابق . ص١٨٢ ؛ الذهبي . تاريخ . ج٤ ، ص٥٦١ .

[٢] ابن الطقطقا . المصدر السابق . ص١٨٢ ؛ فوزي . الجذور التاريخية . ص٥٠ ؛ الكروي . نظام الوزارة . ص ٦٧ .

المهدي ليتسلم أمر قيادة الجيوش ضد أستاذسيس - رجلٍ من أهل هراة بخراسان - فعمد خازم بن خزيمة إلى الاتصال بالخليفة وإطلاعه على ما يبدر من أبي عبيد الله معاوية، كما أعلم المهدي بأنه لن يعود إلى قيادة الجيوش إلا إذا فوض الأمر إليه تفويضاً كاملاً، وأن لا يتدخل أبو عبيد الله بالأمر والنهي، فلم يستطع المهدي إلا أن يستجيب إلى طلبه؛ لأن جيوش المسلمين كانت على وشك أن تُهزم، فكان لا بد من العمل على تحويل الهزيمة إلى نصر، فكفُّوا يد أبي عبيد الله وحالوا بينه وبين القواد. [1]

المصادرُ التاريخيةُ التي تعطي لقب الوزير لأبي عبيد الله معاوية:

تعطي غالبية المصادر لقب (الوزير) إلى أبي عبيد الله معاوية، فالجهشياري يقول : " لما تقلد المهدي الخلافة قلد عبيد الله وزارته ودواوينه سنة (١٥٩هـ/٧٧٥م) "، [2] لكنه لا يشير إلى مراسيم منحه هذا اللقب، كما يعطي كل من المسعودي وابن الطقطقا لقب الوزير لأبي عبيد الله معاوية، [3] ويشير الثعالبي عند حديثه عن توقيعات الوزراء، إلى توقيع أبي عبيد الله " كتب إليه رجلٌ يعتذر ولا يحسنُ فوقَّعَ في كتابِهِ ما رأيتُ عذراً أشبهُ باستئنافِ ذنبٍ من هذا "، [4] كما يؤكد الشاعر علي بن الخليل لقب الوزارة حين يشير في شعره إلى سلب يعقوب بن داود لكافة صلاحيات أبي عبيد الله ولم يبق له شيئٌ : " قل للوزير أبي عبيد الله هل لك باقية "، [5] لكن الطبري في رواية تاريخية يشير إلى أن لقب الوزارة منح إلى يعقوب بن داود ولم يُمنح سلفه أبو عبيد الله معاوية [6] بالرغم من إنه يشير في روايات أخرى إلى أبي عبيد الله بالوزير، فعند حديثه عن تغيير منزلة أبي عبيد الله عند المهدي يشير إليه بالوزير فيقول " وفيها اتضعت منزلة أبي عبيد الله وزير المهدي " وفي رواية أخرى يقول: " قال أبو الخطاب: لما حضرت القاسم بن مجاشع التميمي - من أهل مرو بقريةٍ يقال لها باران - الوفاة أوصى إلى المهدي، فكتب: " شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما

---

[1] الطبري . المصدر السابق . ج٤ ، ص١٦٢٦-١٦٢٧ ؛ الكروي . نظام الوزارة . ص٧٠،٦٩ .
[2] الجهشياري . المصدر السابق . ص١٤١ .
[3] المسعودي . مروج . ج٣ ، ص٣٨١ ؛ ابن الطقطقا . المصدر السابق . ص١٨٣،١٨٢ .
[4] الثعالبي ، عبد الملك بن محمد (ت ٤٣٠هـ / ١٠٣٧م) . خاص الخاص . قدم له: حسن الأمين ، دار ومكتبة الحياة ، بيروت : د.ت ، ص٩٠ .
[5] الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص١٦٦٠ .
[6] المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٦٧٥،١٦٧٤ .

بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم، إن الدين عند الله الأسلم..." حتى نهاية الآية سورة آل عمران، ثم كتب والقاسم بن مجاشع يشهد بذلك ويشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأن علي بن أبي طالب وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم ووارث الإمامة بعده، قال: فعرضت الوصية على المهدي، فلما بلغ هذا الموضع رمى بها، ولم ينظر فيها، قال أبو الخطاب فلم يزل ذلك في قلب أبي عبيد الله الوزير، فلما حضرته الوفاة كتب في وصيته هذه الآية " .[١]

ومع ذلك نكرر أن مصطلح الوزير كان متداولاً في هذه الفترة ويمنح للمساعد الأول للخليفة، أو للأول بين أقرانه من خاصة الخليفة أو حتى ولي العهد، ففي سنة (١٦٠هـ /٧٧٦م) حين ذهب المهدي للحج ترك ابنه موسى الهادي نائباً عنه في بغداد وجعل معه أخاه يزيد بن المنصور وزيراً ومدبراً لشؤونه أمره، بينما أخذ معه يعقوب بن داود وابنه الثاني هارون الرشيد الذي كان له وزيرٌ وكاتبٌ (أبان بن صدقة)، وفي سنة (١٦٣هـ /٧٧٩م) ترك المهدي ابنه موسى نائباً عنه ومعه أبان بن صدقة.[٢]

كل هذه الروايات تشير إلى أن مصطلح وزير كان متداولاً، ولكنه يرتبط بالدرجة الأولى بكاتب الخليفة ومدبر لشؤون أمره، أو بالشخصية المرتبطة بولي العهد، وبعبارة أخرى فإن مصطلح الوزير حتى هذه الفترة من عهد المهدي لم يكن له معنىً مستقلاً أو صلاحياتٍ محددة بوضوح كمنصبٍ من مناصب الدولة.

نفوذه وسلطاته:

لقد كان نفوذ أبي عبيد الله في الدولة وتأثيره على الخلفية المهدي كبيراً جداً، فيقول ابن الطقطقا: " كان غالباً على أمور المهدي لا يعصي له قولاً، وكان المنصور لا يزال يوصيه فيه ويأمره بامتثال ما يشير به، فلما مات المنصور وتولى المهدي الخلافة فوض إليه تدبير المملكة، وسلم إليه الدواوين ".[٣]

---

[١] الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص ١٦٦٨ و١٦٨٢ .
[٢] المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٦٦٤- ١٦٦٦ .
[٣] ابن الطقطقا . المصدر السابق . ص١٨٢ .

منذ عهد المنصور كان لأبي عبيد الله شأنٌ في السياسة فقد تدخل في مسألة ولاية العهد للمهدي، وكان هو الذي كتب نصّ تنازل عيسى بن موسى عن ولاية العهد الأولى للمهديّ بن المنصور، وهو الذي أخذ البيعة العامة من الناس في بغداد للمهدي بعد سماعه بنبأ وفاة المنصور، [1] وتشير الروايات التاريخية إلى أن أبا عبيد الله كان شديد التكبر والتجبر؛ ولذلك لم يستقبلْ الربيع بن يونس الاستقبال اللائق بعد عودته من الحجاز بعد وفاة المنصور، وحين همّ الربيع بن يونس أن يروي لأبي عبيد الله دوره في أخذ البيعة للمهدي من الهاشميين والناس قطع أبو عبيد الله كلامه قائلاً : قد بلغنا نبأكم !! وقد أضمرها الربيع له وحلف بأن يبذل ماله وجاهه في مكروهه وإزالة نعمته، فيروى الطبري عن الفضل بن يونس إنه قال: " حج أبي مع المنصور في السنة التي مات فيها، وقام أبي من أمر المهدي بما قام به من أمر البيعة، وتجديدها على بيت المنصور والقواد والموالي، فلما قدم تلقيته من المغرب، فلم أزل معه حتى تجاوز منزله وترك دار المهدي ومضى إلى أبي عبيد الله، فقال: يا بني هو صاحب الرجل، وليس ينبغي أن نعامله على ما كنا نعامله، ولا أن نحاسبه بما كان منا في أمره من نصرتنا له، قال: فمضينا حتى أتينا باب أبي عبيد الله فما زال واقفاً حتى صليت العتمة، فخرج الحاجب فقال: ادخل فثنى رجله وثنيت رجلي، قال: إنما استأذنت لك يا أبا الفضل وحدك، قال: اذهب فأخبره أن الفضل معي، قال: ثم اقبل علي، فقال: وهذا أيضا من ذلك، قال: فخرج الحاجب، فأذن لنا جميعاً فدخلنا أنا وأبي وأبو عبيد الله في صدر المجلس على مصلى متكئ على وسادة، فقلت: يقوم إلى أبي إذا دخل إليه، فلم يقم إليه، فقلت: يستوي جالساً إذا دنا، فلم يفعل، فقلت: يدعو له بمصلى فلم يفعل، فقعد أبي بين يديه على البساط وهو متكئٌ فجعل يسائله عن مسيره وسفره وحاله، وجعل أبي يتوقع أن يسأله عما كان منه في أمر المهدي وتجديد بيعته، فأعرض عن ذلك، فذهب أبي يبتدئه بذكره، فقال: قد بلغنا نبأكم..." . [2]

وفي عهد المهدي قام أبو عبيد الله للمرة الثانية بالتفاوض مع عيسى بن موسى ولي العهد للتنازل عن حقه الشرعي إلى ابن المهدي موسى الهادي؛ وقد أقنعه بالفعل

---

[1] الطبري . المصدر السابق . ج٤ ، ص١٦٢٥ .
[2] الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص١٦٦٨ .

بالتنازل عن حقه والعدول عن طموحاته مقابل تعويض مالي كبير، وحين وافق عيسى بن موسى كتب أبو عبيد الله إلى الأقاليم يعلم الناس بالخبر، فيقول الجهشياري في ذلك: " إنه لما حال الحول على المهدي في الخلافة أمر أبو عبيد الله بمناظرة عيسى بن موسى على أن يخلع نفسه من ولاية العهد؛ فناظره وقال له : إن المنصور قدّم المهدي عليك وعوّضك، فإن أخرجت نفسك من هذا الأمر عوضك المهدي ما هو أنفع لك، وأبقى عليك، وإن أبيت استحل منك المحظور بمعصيتك وخلافك أمره، وقد لزمتك طاعته ووجب عليك القبول منه " [1] فسارع إلى الإجابة بخلع نفسه، فعوّض بعشرة آلاف درهم، وكتب أبو عبيد الله إلى المهدي بذلك، فيقول بعض الشعراء عن موقف عيسى بن موسى :

كره الموت أبو موسى وقد كان في الموت نجاة وكرم

خلع الملك وأضحى لابسا ثوب لوم لا ترى منه القدم [2]

وفي سنة (١٦٣هـ/٧٧٩م) أمر المهدي أبا عبيد الله معاوية بأخذ البيعة إلى ابنه الثاني هارون الرشيد بعد موسى بن عيسى باعتباره ولياً ثانياً للعهد، وقد قام أبو عبيد الله بمراسيم البيعة في دار العامة وكان بصحبته قائد الحرس أبو العباس الطوسي، ثم كتب أبو عبيد الله إلى الأقاليم يعلمهم بالخبر، فيقول الجهشياري: " أمر المهدي أبا عبيد الله بأخذ البيعة بالعهد لهارون بعد موسى واستخلاف الناس عليها، فحضر دار العامة أبو عبيد الله ومعه أبو العباس الطوسي صاحب الحرس، حتى أخذ البيعة على الناس وهم مسارعون إليها، ومتباشرون بها، وكتب إلى جميع الآفاق بذلك وعرض الكتب على المهدي وعرّفه بالخبر، فشكر الله وسُرّ به " . [3]

كما كان أبو عبيد الله يقوم بمهمة المستشار للخليفة، فقد كان المهدي يصدر أوامره بتعيين ولاة الأقاليم بعد مشاورة أبي عبيد الله معاوية، فيروي الطبري وابن

---

[1] الجهشياري . المصدر السابق . ص١٤٥ .
[2] المصدر نفسه ، ص١٤٦ .
[3] الجهشياري . المصدر السابق .ص١٥٠ .

الأثير عن أحداث سنة (١٥٩هـ /٧٧٥م) " توفي معبد بن الخليل بالسند، وهو عامل المهدي عليها، فاستعمل مكانه روح بن حاتم بمشورة أبي عبيد الله وزيره ". [١]

كما أن أبا عبيد الله معاوية كان متضلعاً في الإدارة المالية، فقد ألف كتاباً في الخراج، كما تعود إليه فكرة اتّباع الدولة لنظام المقاسمة في المحصول، فيقول ابن الطقطقا عن أبي عبيد الله : " كان مقدماً في صناعته فاخترع أموراً منها نقل الخراج إلى المقاسمة، وكان السلطان يأخذ عن الغلات خراجاً مقدراً ولا يقاسم، فلما ولي أبو عبيد الله قرر المقاسمة وجعل الخراج على النخل والشجر...، وصنف كتاباً في الخراج ذكر فيه أحكامه الشرعية ودقائقه وقواعده، وهو أول من صنف كتاباً في الخراج وتبعه الناس بعد ذلك فصنفوا كتب الخراج..."، [٢] فقد كانت جباية الخراج في الدولة الإسلامية - من عهد الخليفة عمر بن الخطاب وحتى عهد الخليفة أبي جعفر المنصور- تتم على أساس وحدة المساحة سواء زرعت أو لم تزرع، فرأى أبو عبيد الله معاوية أن تطوّر الظروف يستلزم إجراء تعديل هذا النظام؛ لأن إهمال الولاة الأمويين كان قد أدى إلى حراب السواد وتدهور الزراعة، فأشار على الخليفة المهدي بتبديل نظام المساحة في جباية الخراج إلى نظام المقاسمة، الذي يقوم على جعل أرض الخراج من المساحة على الجريب إلى المقاسمة على الإنتاج، وكان على النحو التالي: " النصف على الأراضي التي تسقى سيحاً *، والثلث على الأراضي التي تسقى بالدوالي، والربع على تلك التي تسقى بالدواليب... ولا شيء عليهم سوى ذلك "، [٣] وقد أثنى القاضي أبو يوسف على هذا النظام، واعتبره حلاً مناسباً لمشاكل الجباية، فيقول " فلم أجد على بيت المال، ولا أغنى لأهل الخراج من التظالم فيما بينهم، وحملِ بعضهم على بعضٍ،

---

[١] الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص١٦٦٠ ؛ ابن الأثير . المصدر السابق . ج٦ ، ص٢٠ .
[٢] ابن الطقطقا . المصدر السابق . ص١٨٢ .
* السيح: السقي بدون كلفة ولا مشقة من ماء السماء، والسيح الماء الجاري. انظر ابن منظور . لسان العرب . ج٢ ، ص٢٩٤.
[٣] قدامة بن جعفر ، أبو الفرج . الخراج وصناعة الكتابة . شرح وتعليق: محمد حسين الزبيدي ، دار الرشيد للنشر ، بغداد : ١٩٨١م ، ص٢٢٢ ؛ البلاذري . فتوح البلدان . ص٣٣٣ ؛ الماوردي . الأحكام السلطانية . ص١٨٩ .

ولا أعفى لهم من عذاب ولاتهم وعمالهم من مقاسمةٍ عادلةٍ خفيفةٍ فيها للسلطان رضى ولأهل الخراج راحة ". [1]

ومما لا شك فيه أن هذا النظام كان له فوائد جمة منها : أنه أوجد نظاماً موحداً لجميع النواحي والناس، وطريقة عادلة مفهومة للجباية، وجعل الخراج متناسباً دائماً مع المحصول، ومنع الحكام من العبث أو التعنت، كما كان مفيداً للدولة؛ لأنه سهل حصولها على حقوقها. [2]

ومن ضمن سياسة أبي عبيد الله معاوية بن يسار المالية اهتمامه بتحسين وإصلاح الأراضي الزراعية لما للعلاقة الوثيقة بين الزراعة، وواردات الخراج وغيره من الضرائب الأخرى. وقد أشار الوزير أبو عبيد الله على الخليفة المهدي بأن تكون نفقات الإرواء من إنشاء شبكات الإرواء، والتصريف وبناء السدود، وعمل القناطر وسد الشقوق، وحفر الآبار، وتقوية الضفاف من بيت المال. [3]

وعلى ذلك نرى أنه كما كانت إسهامات أبي عبيد الله معاوية بن يسار إسهاماتٌ عظيمة في خدمة الاقتصاد الإسلامي كذلك كانت كفاءته الإدارية والكتابية - كما أشرنا سابقا - فقد كان المهدي يستعين به أثناء الجلوس للمظالم، ويشاوره في تعيين ولاة الأقاليم، وكان يخصه بكتابة الرسائل المهمة الصادرة عنه، فهو الذي كتب إلى الأقاليم نيابة عن المهدي كتاب تنازل عيسى بن موسى للهادي، وكذلك فعل عندما أخذت البيعة لهارون ولياً ثانياً للعهد.

---

[1] أبو يوسف ، يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٢هـ / ٧٩٧م) . كتاب الخراج . دار المعرفة ، بيروت : ١٩٧٩م ، ص٥٠.

[2] كاتبي ، غيداء خزنة . الخراج منذ الفتح الإسلامي حتى أواسط القرن الثالث الهجري . مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت : ١٩٩٤م ، ص٢٧٧ ؛ الكروي . نظام الوزارة . ص٦٨ .

[3] قدامة بن جعفر . الخراج . ص٢٠١ ؛ أكبر . وزراء . ص١٧ .

سقوطه:

لم تدم سلطة أبي عبيد الله معاوية طويلاً، فقد صرفه المهدي عن وزارته في سنة (١٦٣هـ /٧٧٩م) وجعله على ديوان الرسائل، ونقل ثقته إلى يعقوب بن داود فاتخذه وزيراً له. [1]

لا شك أن هناك عوامل متداخلة كانت وراء إضعاف نفوذ أبي عبيد الله معاوية ثم في سقوطه، فالطبري يشير إلى أن المهدي كان شخصية يسهل التأثير عليها من قِبل منافسي أبي عبيد الله معاوية وأعدائه وعلى رأسهم الربيع بن يونس، ويبدو أن المنافسة بين أبي عبيد الله والربيع بن يونس قديمة وتعود إلى عهد المنصور، فقد كان ولي العهد المهدي قد وقع تحت تأثير كتلة الموالي بقيادة الربيع بن يونس ولذلك أراد أبو عبيد الله أن يقلل من تأثيرهم، فرشح له أربعة رجال من قبائل شتى من أهل الأدب والعلم فضمهم إلى المهدي، فكانوا من صحابته فلم يكونوا يدعون الموالي يختلون به.[2]

وكما ذكرنا سابقاً أن أبا عبيد الله معاوية حينما استقبل الربيع بن يونس وابنه الفضل بعد عودتهما من الحجاز بعد وفاة المنصور، لم يبد له الاحترام اللائق ولم يسأله عن أمر بيعة المهدي الذي قام به الربيع بن يونس، وحين أراد الربيع أن يبلغه قاطعه قائلاً : قد بلغنا نبأكم !! فحملها الربيع بن يونس له، فأقسم أن يبذل ماله وجاهه لتحطيم أبي عبيد الله معاوية. [3]

وتشير الروايات التاريخية أن الربيع بن يونس فشل في اتهام أبي عبيد الله معاوية بالتقصير أو عدم الكفاءة، ولم يستطع أن يجد ثغرةً في إخلاصه للمهدي أو في ورَعه وتقواه، ولكنه استطاع بمساعدة القشيري - كان أبو عبيد الله حجبه وقد أساء له - أن يتهم أحد أبناء أبي عبيد الله - ابنه محمد - بالزندقة، وأقنع المهدي بصحة هذا الاتهام، وكان ذلك في سنة (١٦٣هـ /٧٧٩م)فالطبري يقول: " أرسل الربيع بن يونس في طلب القشيري، فجاءه، فقال: إنك قد علمت ما ركبك به أبو عبيد الله، وقد بلغ مني

[1] الجهشياري . المصدر السابق . ص١٥٦ .
[2] الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص١٦٦٨ .
[3] الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص١٦٦٨ ؛ ابن الأثير . المصدر السابق . ج٦ ، ص٢٥ ؛ ابن خلدون ، عبد الرحمن(ت ٨٠٤هـ) . تاريخ ابن خلدون . ج٣ ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت : ١٩٨٣م ، ص٤٤٥،٤٤٤ .

كل غاية من المكروه فما وجدت عليه طريقاً، فعندك حيلة في أمره، فقال: إنما يؤتى أبو عبيد الله من أحد وجوه أذكرها لك... يقال هو رجل جاهل بصناعته، وأبو عبيد الله أحذق الناس، أو يقال هو ظنينٌ في الدين وبتقليده، وأبو عبيد الله أعف الناس لو كن بنات المهدي حجره لكان لهن موضع، أو يقال هو يميل إلى القدر بعض الميل، وليس يتسلق عليه بذلك إن يقال هو منهم، ولكن هذا كله مجتمع لك في ابنه، قال: فتناوله الربيع فقبل بين عينيه، ثم دب لابن أبي عبيد الله، فوالله ما زال يحتال ويدس إلى المهدي ويتهمه ببعض حرم المهدي حتى استحكم عند المهدي الظنه بمحمد بن أبي عبيد الله "[1] ويؤكد الجهشياري رواية الطبري فيقول " أن الربيع بن يونس أحضر القشيري وقال له: قد علمت ما ركبك به أبو عبيد الله، فهل عندك في أمره حيلة؟ قال له: ليس بجاهل في صناعته، وإنه لأحذق الناس، وما هو بظنين فيما يتقلده، لأنه أعف الناس حتى لو كن بنات المهدي في حجره لكان لهن موضعا، وليس بمتهم بانحراف عن هذه الدولة، لأنه ليس يُؤتى من ذلك، وليس يُتهم في دينه، لأنه عقده وثيق، ولكن هذا كله يجتمع لك في ابنه، فقام الربيع فقبل بين عينيه، وما زال يدس إلى المهدي من يخبره خبر ابن أبي عبيد الله، وكان المهدي قد جد في طلب الزنادقة وغلظ في أمرهم، فقدم عليه بجماعة منهم في سنة ١٦٦هـ "[2]. فأمر المهدي بإحضار محمد ووالده، فطلب الخليفة المهدي من محمد أن يقرأ، فعندما قرأ استعجم عليه القرآن، فقال المهدي: يا معاوية، ألم تعلمني أن ابنك يحفظ القرآن ؟! قال: أخبرتك يا أمير المؤمنين، ولكن فارقني منذ سنين، وفي هذه المدة التي نأى فيها عني نسي القرآن، قال: قم فتقرب إلى الله في دمه، فذهب ليقوم فوقع، فقال العباس بن محمد - عم المهدي - : إن رأيت يا أمير المؤمنين أن تعفي الشيخ، قال : ففعل وأمر به فضرب عنقه، فقال له الربيع قتلت ابنه وليس ينبغي أن يكون معك ولا أن تثق به.[3]

تشير هذه الرواية إلى الدور الرئيسي الذي لعبه الربيع بن يونس في سقوط أبي عبيد الله معاوية بل أكثر من هذا، فالربيع بن يونس استمر في تحريض الخليفة المهدي

[1] الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص١٦٦٨ ، ١٦٦٩ .
[2] الجهشياري . المصدر السابق . ص١٥٣ .
[3] اليعقوبي . المصدر السابق . ج٢ ، ص٤٠٠ ؛ الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص١٦٦٩،١٦٦٨ ؛ المسعودي . مروج . ج٣ ، ص٣٨١ ؛ ابن الأثير . المصدر السابق . ج٦ ، ص٢٦،٢٥ .

وتخويفه منه، فيروي الجهشياري وابن الطقطقا إلى أن أبا عبيد الله قد دخل في أحد الأيام على الخليفة المهدي ليعرض عليه كتباً قد وردت من بعض الأطراف، فتقدم المهدي بإخلاء المجلس فخرج كل من به إلا الربيع بن يونس، فقال له المهدي : يا ربيع أخرج، فتنحى الربيع قليلاً. فقال المهدي : ألم آمرك بالخروج ؟ قال : يا أمير المؤمنين كيف أخرج وأنت وحدك وليس معك سلاح، وعندك رجل من أهل الشام اسمه معاوية، وقد قتلت بالأمس ولده وأوغرت صدره، فكيف أدعك معه على هذه الحال وأخرج، [1] واستمر الربيع بن يونس يحث المهدي على إبعاده إلى أن نجح في ذلك سنة (١٦٧هـ /٧٨٣م) فقد عزل المهدي أبا عبيد الله معاوية عن ديوان الرسائل فيروي الجهشاري " عزل المهدي أبا عبيد الله عن ديوان الرسائل في سنة (١٦٧هـ) وقلده الربيع، فاستخلف الربيع عليه سعيد بن واقد، وكان أبو عبيد الله يصل إلى المهدي على مرتبته رعاية لحرمِته "، [2] ويروي القيرواني أن أبا عبيد الله كتب إلى الخليفة المهدي بعد عزله عن الدواوين " لم يُنكر أمير المؤمنين حالي في قرب المؤانسة وخصوص الخلطة، وحالي عنده قبل ذلك في قيامي بواجب خِدمته، التي أدنتني من نعمته، فلم أبدل - أعز الله أمير المؤمنين - حال التبعيد، ويقرب في محل الإقصاء، وما يعلم الله مني فيما قلت إلا ما علمه أمير المؤمنين، فإن أكرمه الله أن يُعارض قولي بعلمه بدءًا وعاقبة فعل إن شاء الله. فلما قرأ المهدي كتابه شهد بتصديقه قلبُه، فقال : ظلمنا أبا عبيد الله ". [3]

[1] الجهشياري . المصدر السابق . ص١٥٤ ؛ ابن الطقطقا . المصدر السابق . ص١٨٣ .
[2] الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص١٦٧٨ .
[3] القيرواني ، إبراهيم بن علي (ت ٤٥٣هـ / ١٠٦٠م) . زهر الآداب وثمر الألباب . ضبطه: زكي مبارك ، ج٢ ، ط٤ ، دار الجيل ، بيروت : د.ت ، ص٤٤٠ .

وفاته:

حُجب أبو عبيد الله معاوية عن الخليفة بأمرٍ منه، إذ أبدى الخليفة المهدي للربيع بن يونس استحياءه منه بسبب إقدامه على قتل ولده، فانقطع أبو عبيد الله معاوية بداره واضمحل أمره، ولم يطل به العمر إذ توفي في سنة (١٧٠هـ /٧٨٦م).[١]

---

[١] ابن الطقطقا . المصدر السابق . ص١٨٤ .

الوزير يعقوب بن داود

(١٦٣هـ - ١٦٦هـ / ٧٧٩ - ٧٨٢م)

أصله ونسبه:

يعقوب بن داود بن عمرو بن عثمان بن طهمان السُلمي بالولاء، وطهمان كان مولىً لأبي صالح عبد الله بن خازم السُلمي والي خراسان الأموي. [1] وقد قتل مع والي خراسان أثناء صدامٍ مسلح ضد بعض القبائل الخراسانية في ضواحي مرو سنة (٧٢أو ٧٣هـ / ٦٩٣م). [2] وقد هيأ اتصال طهمان وتقربه إلى السلطة الأموية في خراسان الفرصة لأبنائه للسير على نفس الطريق، فتذكر الروايات التاريخية أن داود وإخوته اشتغلوا كُتّاباً في الديوان في خراسان حتى ولاية نصر بن سيّار، [3] وكان داود موظفاً ذكياً مدركاً للأمور وطموحاً ولعله - بحكم وظيفته أقرب ما يكون إلى تقلبات السياسة الأموية - قد أدرك أسباب تذمر أهل خراسان، وتدهور دولة الأمويين فاستهوته الدعوة السرية لأهل البيت، فاعتنق المذهب العلوي الزيدي واتصل سراً بيحيى بن زيد الحسيني، وحذره من خطط نصر بن سيّار للقبض عليه، ولكن نصر بن سيّار قبض على يحيى وقتله سنة (١٢٥هـ / ٧٤٣م). [4]

وفي سنة (١٢٩هـ /٧٤٧م) أعلن دعاة العباسيين في خراسان يساندهم المقاتلة العرب وبعض الموالي والفرس والعجم الثورة العباسية التي قضت على الأمويين سنة (١٣٢هـ /٧٥٠م)، وكانت شعارات الثورة الثأر لأهل البيت وخاصة زيد الحسيني وابنه يحيى التي ظلت أخبار مقتلهما تحز في نفوس المسلمين، وقد أمن أبو مسلم الخراساني داود بن طهمان وقدر له موقفه من أهل البيت وترك له أملاكه وضياعه، ولم يصادر منه إلا الأموال التي كان قد حصل عليها من نصر بن سيّار، ولذلك بقي داود في وضع موسر مكنه من تربية أولاده وتهذيبهم وتلقينهم العلم؛ فنشئوا أهل أدبٍ

---

[1] ابن خلكان . وفيات . ج٧ ، ص١٩ .
[2] الجهشياري . المصدر السابق . ص١٥٥
[3] الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص١٦٧٤ ؛ ابن خلكان . وفيات . ج٧ ، ص٢٠ .
[4] الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص١٦٧٤ .

وعلم بأيام الناس وسيرهم وأشعارهم، [1] ولكن الدولة العباسية لم تستخدم داود في الإدارة وذلك لسببين :-

١. تؤكد الروايات التاريخية ميل داود وإخوته إلى الشيعة العلوية، حيث كان داود ذا ميل إلى الزيدية وعلى اتصال بهم، بالرغم من أن الدعوة العباسية رفعت شعارات الثأر لأهل البيت إلا أن صفتها العباسية كانت محددة منذ البداية ولم يكن بالإمكان الاعتماد في هذه الفترة المبكرة إلا على شيعة عباسيين موثوق في إخلاصهم. [2]
٢. ماضي داود بن طهمان وإخوته المتصل بالسلطة الأموية في خراسان لم يكن يؤهلهم لكسب ثقة العباسيين الذين خشوا غدرهم كما غدروا سابقاً بنصر بن سيّار. [3]

وبسبب ميولهم تلك لم تشفع ثقافة أولاد داود وإخوته وكفاءتهم لدى العباسيين فأصيبوا بخيبة أمل، ودفعتهم خيبة أملهم إلى البحث عن وسيلة أخرى لإشباع طموحهم السياسي وتطلعهم نحو السلطة، وكان طبيعيا أن ينظر أولاد داود إلى المعارضة العلوية التي بدأت تستفحل بعد إعلان الدولة العباسية وانقسام الهاشميين إلى علويين وعباسيين على أنها طريقهم إلى السلطة، فيقول الجهشياري: " أن علي بن داود كتب لإبراهيم بن عبد الله بن حسن وصحبه يعقوب بن داود "، [4] ويقول الطبري: " ونظروا فإذا ليس عند بني العباس منزلة فلم يطمعوا في خدمتهم ... فلما رأوا ذلك أظهروا مقالة الزيدية ودنوا من آل الحسن وطمعوا في أن يكون لهم دولة فيعيشوا فيها فكان يعقوب يجول البلاد منفرداً بنفسه مع إبراهيم بن عبد الله (أخو محمد النفس الزكية) أحياناً في طلب البيعة لمحمد بن عبد الله "، [5] وهكذا فقد انضم علي ويعقوب إلى محمد النفس الزكية، ثم انخرطوا في صفوف أخيه إبراهيم في البصرة الذي ثار سنة (١٤٥هـ /٧٦٢م) وكانت ثورة العلويين هذه خطرةً على كيان الدولة العباسية الفتية، ولكن حنكة الخليفة المنصور وصلابته مكنته من القضاء عليها، فما كان من يعقوب وإخوته إلا

---

[1] الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص١٦٧٤؛ ابن خلكان . وفيات . ج٧ ، ص٢٠؛ فوزي . الجذور التاريخية . ص٦٥،٦٦ .
[2] الجهشياري . المصدر السابق . ص١٥٨؛ البغدادي . تاريخ . ج١٤ ، ص٢٦٥؛ ابن خلكان . وفيات . ج٧ ، ص٢٣ .
[3] ابن الأثير . المصدر السابق . ج٦ ، ص٣٢ ؛ ابن خلكان . وفيات . ج٧ ، ص٢٠ ؛ فوزي . الجذور التاريخية . ص٦٦ .
[4] الجهشياري . المصدر السابق . ص١٥٥؛ فوزي . الجذور التاريخية . ص٦٦ .
[5] الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص١٦٧٤ .

الاختفاء، وقد استطاع المنصور أن يقبض على يعقوب وأخيه ويودعهما السجن مع بعض العلويين.[1]

الخليفة المهدي ويعقوب بن داود:

لقد بقي يعقوب بن داود في سجنه طوال عهد المنصور أي أكثر من عشر سنوات، ولما تولى المهدي الخلافة سنة (١٥٨هـ / ٧٧٤م)، أراد أن يظهر للناس أنه المهدي حقاً فأعلن عن إجراءات سياسية تتصف بالمرونة والتسامح والعفو وبذل الأموال والعطاء - كما ذكرنا سابقا - وكان من هذه الإجراءات إعلانه عفواً عاماً عن أغلب السجناء السياسيين وكان يعقوب بن داود ممن أطلق سراحهم.[2]

وقد استطاع يعقوب بن داود بعد فترةٍ قصيرةٍ من استعادته لحريته أن يكسب ود الخليفة، فالسجن لم ينقص من عزيمة يعقوب أو يقضى على طموحه السياسي بل على العكس فقد استغل ماضيه السياسي فجعله سلماً للوصول إلى الحكم.[3]

لم يشمل عفو الخليفة المهدي الحسن بن إبراهيم الحسيني الذي بقى في المطبق (سجن تحت الأرض) فحاول الهرب، ولكن يعقوب بن داود سعى به إلى الخليفة المهدي وذكر أنه عمل سرباً يهرب منه، فبعث المهدي للتحقق من الأمر وبالفعل وجد السرب، فأمر بنقله إلى سجن آخر (نصير الوصيف).[4] ويؤكد الطبري ذلك فيذكر أن يعقوب علم محاولة الحسن في الهرب من السجن، وكان يعقوب بعد أن أطلق سراحه قد بدأ يتقرب من ابن علاثة - وهو قاضي المهدي - ويلزمه حتى أنس به ... فأخبره أن عنده نصيحة للمهدي، وسأله إيصاله إلى أبي عبيد الله معاوية " وزير المهدي " وعن طريق أبي عبيد الله وصل يعقوب بن داود إلى مجلس الخليفة المهدي وقابله وأخبره بعزم الحسن على الهرب عن طريق ممر أرضي حفره له أعوانه.[5]

---

[1] الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص١٦٧٤ ؛ الجهشياري . المصدر السابق . ص١٥٥ ؛ ابن خلكان . وفيات . ج٧ ، ص٢٠ .
[2] الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص١٦٦٠ ؛ الجهشياري . المصدر السابق . ص١٥٥ .
[3] فوزي . الجذور التاريخية . ص٦٧ .
[4] الجهشياري . المصدر السابق . ص١٥٥ .
[5] الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص١٦٦٠؛ ابن الأثير . المصدر السابق . ج٦ ، ص١٨ .

لم يتورع يعقوب بن داود عن خيانة صديق قديم له ليتقرب إلى الخليفة، كما أنه لم يعر أية أهميةٍ إلى ولائه العلوي السابق من أجل الوصول إلى هدفه السياسي الجديد، فقد جنّد كافة خبراته السابقة ولباقته ليترك أثراً حميداً في نفسية الخليفة، [1] ولقد ساعدته الظروف السياسية التي كانت تمر بها الخلافة وخاصة في مواجهتها للخطر العلوي، فلقد استطاع الحسن بن إبراهيم في محاولته الثانية الهرب من السجن - بمساعدة جماعة من الزيدية – إلى الحجاز واختفى عن الأنظار، ويتفق المؤرخون بأن هروب الحسن من السجن وثّق صلة الخليفة المهدي بيعقوب بن داود؛ لأنه كان مضطراً إلى الاستعانة بخبرة يعقوب وصلته بالعلويين لمراقبة تحركات العلويين، فيقول الجهشياري: " فاحتيل له (الحسن) في الهرب من يده لأن جماعة من الزيدية احتالت في هروبه، ... فتقدم المهدي إلى يعقوب بطلبه فضمن له ذلك واستأذنه في رفع النصائح إليه فأذن له فداخله بذلك السبب "، [2] ويذكر كل من الطبري وابن الأثير أن المهدي عندما أخبر يعقوب بن داود بما حدث من أمر الحسن - الهرب من السجن في المرة الثانية - أخبره يعقوب أنه لا علم له بمكانه، وإنه إن أعطاه أماناً يثق به ضمن له أن يأتيه به على أن يتم له على أمانه ويصله ويحسن إليه، فأعطاه المهدي ذلك في مجلسه وضمنه. [3] وفي رواية الطبري سنة (١٥٩هـ /٧٧٥م) يقول: " أن المهدي رجا أن ينال بيعقوب من الظفر بالحسن بن إبراهيم واتخذه أخاً في الله وأخرج بذلك توقيعاً وأثبت ذلك في الدواوين " [4] ويقول في رواية أخرى أن يعقوب حقق رجاء الخليفة بعد سنة واحدة في موسم الحج سنة (١٦٠هـ / ٧٧٧م)؛ [5] حيث أحضر الحسن بن إبراهيم، وأخذ له أماناً وأعطاه الخليفة كذلك الكثير من المال والضياع. [6]

لقد حاول الخليفة المهدي أن يتبع في بداية حكمه سياسة التوفيق واللين وخطة المسالمة والمهادنة مع العلويين من أجل كسبهم إلى تأييد الدولة العباسية، وكان اصطناعه يعقوب بن داود موافقاً لهذه السياسة الجديدة، ولا يخفى على الباحث المتمعن

---

[1] فوزي . الجذور التاريخية . ص٦٩ .
[2] الجهشياري . المصدر السابق . ص١٥٥ .
[3] الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص١٦٦٠ ؛ ابن الأثير . المصدر السابق . ج٦ ، ص١٨ .
[4] الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص١٦٦١ .
[5] الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص١٦٦٦ .
[6] ابن الأثير . المصدر السابق . ج٦ ، ص٢٣ .

بأن هدف الخليفة وراء اصطناع يعقوب بن داود كان أعمق من حاجته إلى خبرة يعقوب الإدارية والاستشارية، ألا وهو تأمين جانب العلويين وحلّ النزاع الهاشمي بطريقةٍ سلميةٍ تضمن للخلافة العباسية البقاء، ففي روايةٍ للطبري عن المهدي أنه قال يوماً : " لو وجدت رجلاً من الزيدية له معرفة بآل الحسن وبعيسى بن زيد وله فقه، فأجتلبه إلي عن طريق الفقه، فيدخل بيني وبين آل الحسن وعيسى بن زيد؛ فدل على يعقوب بن داود فأتي به فأدخل عليه، فكلمه وفاتحه فوجده رجلاً كاملاً ". [1] ومن أجل ذلك ابتدع الخليفة طريقة مبتكرة لتوثيق الصلة بيعقوب ومن ورائه العلويين، ألا وهي اتخاذه " أخا في الله ووزيراً " وقال في ذلك الشاعر سلم بن عمرو المعروف بالخاسر:

قُل للإمـامِ الذي جـاءَت خـلافَتُـه   تُهدى إليه بحـقٍّ غير مَرْدودِ

نِعْم المعينُ على التقوى أعِنْتَ به   أخوك في الله يعقوبُ بن داود [2]

مغزى لقب " الأخ في الله ":

تتباين الروايات التاريخية في تعيين الوقت الذي حصل فيه يعقوب بن داود على لقب " الأخ في الله " وعلى لقب " الوزير " فرواية الطبري الآنفة الذكر إنه حصل على لقب الأخ في الله قبل لقب الوزير، وإنه كان له مغزاه السياسي، [3] أما الجهشياري فيقول: " وتمالأ يعقوب والربيع على أبي عبيد الله فجعلت حال يعقوب تزيد، وحال أبي عبيد الله تنقص إلى أن سمى المهدي يعقوب أخاً في الله ووزيراً، وأخرج بذلك توقيعات تثبت ذلك في الدواوين "، [4] أما المسعودي وابن خلكان فاكتفيا بالقول " بأن المهدي اختص يعقوب وخرج كتابه إلى الدواوين أن أمير المؤمنين قد آخاه ". [5]

كما ناقش المؤرخون المحدثون لقب " الأخ في الله " فالدوري لاحظ أنه يشير إلى ثقة بعيدة واعتماد كليّ [6] أما حسن الباشا فيقول: بأن هذا اللقب نعت خاص لقب به المهدي وزيره يعقوب، وذلك جرياً على عادة تلقيب الوزراء بنعوت شخصية في

---

[1] الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص١٦٧٤ ؛ فوزي . الجذور التاريخية . ص٦٩ .
[2] الجهشياري . المصدر السابق . ص١٥٥ ؛ ابن خلكان . وفيات . ج٧ ، ص٢٠ .
[3] الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص١٦٦١ .
[4] الجهشياري . المصدر السابق . ص١٥٥ .
[5] المسعودي . مروج . ج٣ ، ص ٣٨٢ ؛ ابن خلكان . وفيات . ج٧ ، ص٢٠ .
[6] الدوري . العصر العباسي . ص٩٥ .

العصر العباسي وهو مقتبس من الآية القرآنية (إنما المؤمنون إخوة) [١] أما أحمد شلبي وحسن إبراهيم حسن لم يشيرا في كلامهم إلى اللقب الذي منح يعقوب بن داود من قِبل الخليفة المهدي. [٢] أما فاروق عمر فيرى أن تلقيب الخليفة المهدي يعقوب بن داود بهذا اللقب إشارة ودية ذات مفهوم سياسي موجه نحو العلويين، بل إن هذا الإجراء كان من أكثر الإجراءات السياسية التي اتخذها المهدي في مجال التقارب (العلوي - العباسي) وبمعنى آخر فإن الخليفة لمّح للعلويين وأتباعهم بصورة غير مباشرة إلى استعداده للذهاب إلى أبعد الحدود في التسامح معهم، وإنه يتودد إلى أولئك الذين يودون نسيان الماضي وإظهار الولاء للدولة العباسية. [٣]

وبالفعل نحن نؤيد أن تقريب الخليفة المهدي ليعقوب بن داود ومنحه لقب الأخ في الله ثم استيزاره، كان الهدف منه تأمين جانب العلويين وكسب ودهم، فضلاً عن الاستفادة من خبرة يعقوب بن داود الإدارية.

توزير يعقوب بن داود:

تتفق الروايات التاريخية على أن يعقوب بن داود أول شخصية سياسية عباسية اتخذت رسميا لقب " وزير " بمعنى أن الوزارة غدت منصباً رسمياً يعين فيه الشخص بمرسوم صادر عن الخليفة، فيقول الجهشياري: " سمّى المهدي يعقوب أخاً في الله وزيراً ". [٤] ويبين الطبري " ولم يزل أمر يعقوب يرتفع عند المهدي ويعلو حتى استوزره وفوض إليه أمر الخلافة "، [٥] ويشير ابن الطقطقا " استحضر المهدي يعقوب وخاطبه فرأى أنه أكمل الناس عقلاً، فشغف به واستخلصه لنفسه، ثم استوزره وفوّض الأمور إليه " ثم يستمر فيقول " قرب المهدي يعقوب، وأدناه فصار يعرض عليه من المصالح والنصائح ما لم يكن يعرض عليه من قبل، فاستخلصه وكتب كتاباً بأنه أخوه في الله تعالى واستوزره وفوّض إليه الأمور كلها، وسلم إليه الدواوين وقدمه على جميع

---

[١] الباشا ، حسن . الألقاب الإسلامية في التاريخ . د.ن ، القاهرة : ١٩٥٧م ، ص١٣٥ .
[٢] شلبي. التاريخ الإسلامي . ج٣ ؛ حسن إبراهيم . تاريخ الإسلام . ج٢ .
[٣] فوزي . الجذور التاريخية . ص٧١ .
[٤] الجهشياري . المصدر السابق . ص١٥٥ .
[٥] الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص١٦٧٤ .

الناس "،[1] أما ابن خلكان وابن الأثير والبغدادي والمسعودي فيتفقون على أن استيزار يعقوب كان استيزار تفويض، وإنه صدر فيه مرسوم رسمي.[2] ويؤيد الدوري وحسن إبراهيم حسن والمدور وأحمد أمين أن الخليفة استوزر يعقوب بن داود، وأعلن ذلك رسمياً على أقاليم الدولة وأنه فوّض إليه أمور الدولة.[3]

الأسباب التي دعت الخليفة المهدي إلى توزير يعقوب بن داود:

١. يشير كل من الطبري والأصفهاني إلى أن اتصال المهدي بعيسى بن زيد الحسيني كان عن طريق يعقوب بن داود، إذ زعم الناس أن يعقوب بن داود وعد الخليفة بالدخول بينه وبين عيسى بن زيد وأن منزلته عند المهدي إنما كانت للسعاية بآل علي، لذا ظل أمره - يعقوب بن داود - يرتفع عند المهدي ويعلو حتى استوزره وفوّض إليه أمر الخلافة.[4]
٢. هروب الحسن بن إبراهيم الحسيني من السجن كان البداية لتوثيق العلاقة بين الخليفة ويعقوب بن داود " فتقدم المهدي إلى يعقوب بطلبه (الحسن) فضمن له ذلك واستأذنه في رفع النصائح إليه فأذن له ... "[5] وفي روايات الطبري " فحظى يعقوب بذلك عند المهدي ومما رجا أن ينال به من الظفر بالحسن ... فلم تزل منزلته تنمو وتعلو إلى أن صير الحسن في يد المهدي بعد ذلك " وفي رواية أخرى " ومما حظى به يعقوب عند المهدي أنه استأمنه للحسن بن إبراهيم ودخل بينهما حتى جمعهما في مكة ".[6]
٣. تتفق روايات الجهشياري والطبري وابن الطقطقا على أن استيزار يعقوب بن داود تم بمؤامرة دبرها الربيع بن يونس بالاتفاق مع يعقوب بن داود على إقصاء وزير المهدي أبي عبيد الله معاوية، فلقد وثق يعقوب صلته بابن علاثه - قاضي المهدي - ثم دخل البلاط بمساعدة أبي عبيد الله نفسه إلا أن ازدياد نفوذه أزعج أبو عبيد الله، وكان بين الربيع بن يونس وأبي عبيد الله كراهية وحسد؛ لذا اتفق الربيع ويعقوب على إزالة

---

[1] ابن الطقطقا . المصدر السابق . ص١٨٤ .
[2] المسعودي . التنبيه . ص٣١٣ ؛ البغدادي . تاريخ . ج١٤ ، ص٢٦٢ ؛ ابن الأثير . المصدر السابق . ج٦ ، ص١٨،١٩،٣٢ ؛ ابن خلكان . وفيات . ج٧ ، ص٢٠-٢٢ .
[3] الدوري . العصر العباسي . ص٩٦ ؛ حسن . تاريخ الإسلام . ج٢ ، ص١٦٥ ؛ المدور . حضارة الإسلام . ص٨٨ ؛ أمين . ضحى الإسلام . ج١ ، ص١٠٩ .
[4] الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص١٦٧٤ ؛ الأصفهاني ، أبو الفرج (ت٣٥٦هـ/ ٩٦٦م) . مقاتل الطالبيين . ط٢ ، تحقيق: أحمد صقر ، مؤسسة الأعلمي للمنشورات ، بيروت : ١٩٨٧م ، ص١٨٦ .
[5] الجهشياري . المصدر السابق . ص١٥٥.
[6] الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص١٦٧٥،١٦٦١ .

سلطان الوزير، فيقول الطبري " فتثاقل أبو عبيد الله وأدل، وتمالأ يعقوب والربيع على أبي عبيد الله فجعلت حال يعقوب تزيد وحال أبي عبيد الله تنقص، وفي ذلك يقول الشاعر علي بن الخليل :-

عجباً لتصريف الأمور مسرّةً وكراهية

والدهرُ يلعب بالرجال له دوائرُ جارية

رَثت بيعقوب بن داود حبال معاوية

وعدت على ابن علاثه القاضي بوائق عافية

قل للوزير أبي عبيد الله هلَ لك باقية

يعقوب ينظر في الأمور وأنت تنظر ناصية

أدخلته فعلاً عليك كذاك شؤم الناصية [1]

وفي هذا ينطبق قول ابن الطقطقا في وصف الدولة العباسية، حيث يقول أنها كانت دولة خداع ودهاء وغدر وإن قسم التحيل والمخادعة فيها أوفر من قسم الشدة والقوة،[2] وبالفعل فإن للدسائس في أروقة البلاط العباسي الدور الكبير في تعيين وعزل رجالات الدولة.

٤. كان لموالي الخليفة تأثير كبير على المهدي، وقد حسدوا أبا عبيد الله لسلطته ونفوذه، فأخذوا يشنعون عليه عند المهدي ويسعون عليه عنده، فأزالوا سلطته واستطاع يعقوب بن داود أن يحل محله بمساعدة الربيع بن يونس مولى الخليفة، فيروي كل من الطبري وابن الطقطقا " أن يعقوب بن داود وعد الربيع بمبلغ كبير جائزةً له أن هو استطاع أن يقنع الخليفة باستيزاره؛ فأثنى عليه الربيع لدى المهدي فاستحضره

---

[1] الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص١٦٦٠ .
[2] ابن الطقطقا . المصدر السابق . ص١٤٩ .

... فقربه وأدناه ... واستخصه واستوزره وفوّض إليه الأمور كلها وسلّم إليه الدواوين وقدمه على جميع الناس ". [1]

٥. كان يعقوب بن داود يعرف طباع الخليفة المهدي وخاصة إسرافه وميله للتبذير والترف، تلك الصفات التي كانت سبباً في سوء علاقته بأبي عبيد الله معاوية بن يسار الذي كان يُشير عليه بالاقتصاد في الإنفاق، وحفظ الأموال التي خلفها والده أبو جعفر المنصور في بيوت المال؛ فلما عزل الخليفة المهدي أبا عبيد الله وولى يعقوب بن داود استطاع يعقوب أن يجذب المهدي نحوه ويكسب مودته؛ إذ زين له هواه فأنفق المال وأكب على اللذات والشرب وسماع الغناء، ففي ذلك يقول الشاعر بشار بن برد:-

بنـي أميّــة هُبّـوا طـال نَومكـمُ	إن الخليفة يعقـوبُ بن داودِ
ضاعت خِلافتكم يا قوم فاطلِبوا	خليفة الله بين الزمر والعود [2]

لذا نلاحظ بأن الروايات التاريخية التي تتعلق بدوافع استيزار يعقوب بن داود متداخلة، أي أن الخليفة المهدي اختار يعقوب بن داود لأسبابٍ عديدةٍ، فالمعروف - كما ذكرنا سابقاً - أن عهد المهدي كان فترة هدوء سياسي واستقرار بعد الثورات العنيفة في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور؛ فقد عمل الخليفة الجديد متأثراً بلقبه المهدي (المنقذ المنتظر) على اتخاذ إجراءات لتخفيف العبء عن الرعية وإزالة الشدة التي لحقت بهم أيام والده المنصور، فأطلق السجناء السياسيين وأعاد الأموال والضياع المصادرة، وعمّر الحرمين، ومنح بسخاء لأهل الحجاز وطارد أهل الكفر والزنادقة، وأظهر أنه مستعد للتسامح والتراضي مع العلويين، وكان تودده إلى يعقوب بن داود خطوةً إيجابيةً في هذا المجال. [3] ومن جهة أخرى لم تكن شخصية المهدي في قوتها كشخصية أبيه المنصور، فقد كان المهدي سريع التأثر بأقوال مواليه وصحابته ويفتقر إلى القابلية الإدارية ويميل إلى البذخ والإسراف وحياة اللهو بسبب البيئة المترفة التي عاش فيها، وكان أبوه المنصور يدرك ذلك لذا كان يأمر يحيى البرمكي وأبا عبيد الله

---

[1] الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص١٦٧٤ ؛ ابن الطقطقا . المصدر السابق . ص١٨٤ .
[2] الجهشياري . المصدر السابق . ص١٥٨،١٥٩ ؛ ابن خلكان . وفيات . ج٧ ، ص٢١،٢٢ .
[3] اليعقوبي . المصدر السابق . ج٢ ، ٣٩٤-٣٩٦ ؛ الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص١٦٦٠-١٦٦٦ ؛ ابن الطقطقا . المصدر السابق . ص١٧٩؛ ابن الأثير . المصدر السابق . ج٦ ، ص١٨-٢٠ .

معاوية أن يصاحبا المهدي ويساعداه بالعمل والمشورة، ولكن المهدي وقع خلال حكمه (١٥٨-١٦٩هـ / ٧٧٥-٧٨٥م) تحت تأثير الربيع بن يونس، كما أسرف في البذخ حتى أنفق كل ما ادخره له أبوه من مال ويقدر ب ٩٦٠ مليون درهم.[١]

بعد هذا العرض السريع لصفات المهدي كخليفة نستنتج بأن اختياره ليعقوب بن داود كان لأسبابٍ شخصية وأخرى سياسية، فالمهدي كان بحاجة إلى وزيرٍ له صفات يعقوب بن داود وخصائصه الشخصية، بحيث يستطيع أن يخلصه من أعباء السياسة وتكاليف الإدارة ويتيح له المجال ليعيشَ حياةً بعيدةً عن محن السياسة والإدارة، كما أن سياسة الترضية والتوفيق تجاه العلويين لم تكن لتجد لها منفذاً أحسن من يعقوب بن داود أي أن المهدي وجد في شخصية يعقوب الذكاء والكفاءة، فضلا عن ماضيه كنصير للعلويين خير معين له على تحقيق أهدافه.

سلطات يعقوب بن داود الإدارية والسياسية:

بدأ نفوذ يعقوب بن داود في البلاط منذ سنة (١٦١هـ / ٧٧٧م) إلا أنه حل محل أبي عبيد الله معاوية بن يسار سنة (١٦٣هـ / ٧٧٩م) وتقلد سلطاتٍ واسعة في الدولة لعدة سنواتٍ أي حتى سنة (١٦٦هـ / ٧٨٢م) وقد كان تأثيره كبيراً، ولكن الذي يزيد من أهمية سلطة يعقوب بن داود هو إصدار الخليفة المهدي توقيعاً رسمياً بذلك وتعميمه على كافة الأقاليم.[٢] فيقول الجهشياري: " غلب يعقوب على أمر المهدي كله ووزارته " كما يؤكد " تفرد يعقوب بتدبير الأمور كلها "[٣] ويروي الطبري عن علي بن محمد النوفلي أن الخليفة فوض إلى يعقوب أمر الخلافة.[٤]

وقد عين يعقوب بن داود أقرباءه وأنصاره من الزيدية في مناصب الدولة المهمة ويقول الجهشياري: " ولما استقام أمر يعقوب أرسل إلى الزيدية جميعاً فأتى بهم من كل ناحية فولاهم أمور الخلافة في الشرق والغرب وكان هذا مما عتب به عليه "[٥]

---

[١] الجهشياري . المصدر السابق . ص١٥٨ ؛ فوزي . الجذور التاريخية . ص٧٥ .
[٢] الطبري ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص١٦٦١؛ المسعودي ، مروج ، ج٣ ، ص٣٨٢ ؛ الجهشياري . المصدر السابق . ص١٥٦ ؛ ابن خلكان . وفيات . ج٧ ، ص٢١ ؛ ابن الطقطقا . المصدر السابق . ص١٨٥،١٨٤.
[٣] الجهشياري . المصدر السابق . ص١٥٦ .
[٤] الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص١٦٧٤ .
[٥] الجهشياري . المصدر السابق . ص١٥٨ .

ويذكر الطبري " أنه ولى الزيدية من أمور الخلافة في المشرق والمغرب كل جليل وعملٍ نفيس، والدنيا كلها في يديه " [1]

كذلك كان يشير على الخليفة بتعيين الولاة، وقد استطاع بعض أقربائه استغلال مركزه؛ فأصبح أخوه صالح والياً على البصرة، وهو الذي هجاه بشار بن برد بقوله :

هُم حملوا فوق المنابر صالحاً أخاك فضجّت من أخيك المقابر [2]

كما كان يرسل بأمر من الخليفة المهدي (الأمناء) إلى أقاليم الدولة وأمصارها، فكان لا ينفذ أمر دون استشارة الأمير أو الوالي لهؤلاء الأمناء، وكان هؤلاء الأمناء على صلةٍ بيعقوب بن داود في بغداد. [3]

ويظهر من رواياتٍ للطبري أن يعقوب بن داود كان يتولى إدارة أمور الجيش والإدارة المالية فكان يعقوب بن داود يقول للخليفة المهدي: " والله أني لأتفزع في النوم منذ أن وليتني أمور المسلمين وإعطاء الجند " [4] وفي رواية أخرى " ... فكان يعقوب يدخل على المهدي ليلاً ويرفع إليه النصائح في الأمور الحسنة والجميلة، من أمر الثغور وبناء الحصون وتقوية الغزاة وتزويج العزاب وفكاك الأسرى والمحبوسون والقضاء على الغارمين والصدقة على المتعففين " [5]

أسباب نكبته:

لم تدم وزارة يعقوب بن داود طويلاً، فقد كانت ذات أجلٍ قصيرٍ حيث حظي بالوزارة مدة أربع سنوات فقط من (١٦٣- ١٦٦هـ /٧٧٩-٧٨٢م)؛ فقد تغير الخليفة عليه وكان هذا التغير بمثابة نقطة تحول في سياسة التوفيق والترضية وخاصة تجاه العلويين، وتذكر كتب التاريخ روايات تاريخية عديدة عن أسباب نكبة يعقوب بن داود، ومن الملاحظ أن الأسباب التي أدت إلى نكبة يعقوب بن داود هي نفسها التي ساعدت في ارتفاع مكانته وعلو شأنه.

---

[1] الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص١٦٧٤ .
[2] الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص١٦٧٣؛ الجهشياري . المصدر السابق . ص١٥٨ .
[3] الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص١٦٦٨،١٦٦٧؛ ابن الأثير . المصدر السابق . ج٦ ، ص٢٧ .
[4] الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص١٦٧٦ .
[5] المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٦٦١ .

١. فشل يعقوب بن داود في تحقيق الوعد الذي أقطعه على نفسه وعلى المهدي، وذلك بتجميد حركة المعارضة العلوية عن طريق إقناع الحسن بن إبراهيم وعيسى بن زيد بالاعتراف بالسلطة العباسية، ويقول الطبري: " ولما علم آل الحسن بن علي بصنعه - أي يعقوب - استوحشوا منه وعلم يعقوب أنه أن كانت لهم دولة لم يعش فيها "،[1] كما أنه فشل أيضا فيما يخص عيسى بن زيد على الرغم من إلحاح الخليفة المهدي، حيث أهمل يعقوب بن داود - بعد تسلمه الوزارة - أمر عيسى وتغافل عن التحري عنه، ويروي الأصفهاني " أن المهدي قرأ شعراً لعيسى بن زيد يشكو فيه القلق وعدم الاستقرار، فأعطاه المهدي الأمان أن خرج ولكن يعقوب الذي شهد الحادثة أظهر أنه لا يعرف قائل الأبيات وتغافل عن الأمر.[2]

٢. من المعروف أن للموالي تأثير على الخليفة المهدي، لدرجة أن عمه عبد الصمد بن علي حذره من ذلك قائلاً له: " يا أمير المؤمنين إنا أهل بيت أشرب قلوبنا حب موالينا وتقديمهم، وإنك قد صنعت من ذلك ما أفرطت فيه، وقد وليتهم أمورك كلها وخصصتهم في ليلك ونهارك "[3] إذن فنفوذ ومنزلة يعقوب بن داود كانت محط أنظار الموالي الذين استطاعوا أن يغيروا وجهة ونظر الخليفة فيه، ويقول الطبري: " فحسده موالي المهدي فسعوا عليه "[4] وفي رواية للجهشياري يقول " كثرة الأقوال في يعقوب ووجد أعداؤه مقالاً فيه ... وذكروا للمهدي خروجه على المنصور مع إبراهيم بن الحسن ".[5]

٣. بالرغم من أن يعقوب بن داود عندما وصل للسلطة زين للخليفة الإسراف والبذخ، إلا انه اضطر إلى انتقاد بعض تصرفات المهدي علانية مثل الإسراف وحضور مجالس الشراب، وإنفاقه مبالغ كبيرة من بيت مال المسلمين لبناء مدينة عيسى باد ومتنزه،[6] فيروى الجهشياري عن محمد بن عبد الله النوفلي أن يعقوب قال " كان المهدي لا يشرب النبيذ إلا تحرجا، ولكنه كان لا يشتهيه، وكان أصحابه عمر بن بزيع والمعلى

---

[1] الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص١٦٧٥ .
[2] الأصفهاني . مقاتل الطالبيين . ص١٨٦ .
[3] الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص١٦٨٢ .
[4] المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٦٧٥ .
[5] الجهشياري . المصدر السابق . ص١٥٩ .
[6] الجهشياري . المصدر السابق . ، ص١٥٩؛ الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص١٦٧٥ .

مولاه ومواليه يشربون عنده بحيث يراهم، قال : وكنت أعظه في سقيهم النبيذ وفي السماع ".[1]

٤. تذكر بعض الروايات التاريخية أن سبب تغير الخليفة المهدي على يعقوب بن داود ونكبته، هو أنه أطلق سراح أحد العلويين - الذي لم يشر إلى اسمه - الذي أمره الخليفة بقتله وقد استطاع الخليفة القبض على العلوي الهارب وأحضره أمام يعقوب بن داود الذي لم يستطع أن ينكر الأمر،[2] ويقول المسعودي: " فاتهم المهدي يعقوب بشيء من أمور الطالبيين فهم بقتله ثم حبسه "[3] ويذكر الجهشياري وابن الطقطقا " حدّث يعقوب بن داود أن سبب نكبته أن المهدي أمره أن يكفيه رجلاً علوياً؛ لأنه خائف أن يخرج عليه، فأخذته وأطلقته وأعطيته مالاً وأخبرت إحدى الجواري المهدي بذلك.[4]

في الحقيقة إن هذه الرواية التي مصدرها يعقوب بن داود نفسه على أغلب الظن أنها صحيحة في مفهومها العام، ويتضح من الرواية أن هناك أزمة ثقةٍ بين الخليفة المهدي ويعقوب بن داود؛ لذا كان من حق الخليفة أن يشك في يعقوب حين أطلق سراح أحد أعداء الخليفة المهدي بغض النظر عن الدوافع التي دعته إلى ذلك.

٥. يروي الطبري عن علي بن محمد النوفلي، يذكر أن سبب نكبة يعقوب بن داود هو اتصاله بإسحاق بن الفضل بن عبد الرحمن بن العباس بن الربيع بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم، وكان إسحاق الهاشمي صديقا ليعقوب منذ كانا في السجن سوية أيام أبي جعفر المنصور، وكان إسحق يعتقد بأن الخلافة قد تجوز في صالح بني هاشم جميعاً، فكان يقول: كانت الإمامة بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا تصلح إلا في بني هاشم، وهي في هذا لا تصلح إلا فيهم، وكان يكثر في قوله للأكبر من بني عبد المطلب، وكان هو ويعقوب يتجاريان في ذلك. وقد اقترح يعقوب بن داود على المهدي تعيين إسحاق ولاية مصر لاضطراب الأمور فيها، ولكن المهدي تغافل عن ذلك، ووصل إلى سمع الخليفة أن يعقوب يمهد الأمور للقيام بثورة باسم إسحق الهاشمي وأقبلت السعايات ترد على المهدي حتى قيل أن المشرق والمغرب في يد يعقوب

---

[1] الجهشياري . المصدر السابق . ص١٦٠ .
[2] الجهشياري . المصدر السابق . ص١٦١،١٦٠؛ البغدادي . تاريخ . ج١٤ ، ص٢٦٥ ؛ ابن خلكان . وفيات . ج٧ ، ص٢٤،٢٣ .
[3] المسعودي . مروج .ج٣ ، ص٣٨٢ .
[4] الجهشياري . المصدر السابق . ص١٦١،١٦٠ ؛ ابن الطقطقا . المصدر السابق . ص١٨٦،١٨٥ .

وأصحابه، وأنه كاتبهم وأنه يكفيه أن يكتب إليهم فيثوروا في يوم واحد على ميعاد فيأخذوا الدنيا لإسحاق بن الفضل، فملأ ذلك قلب الخليفة المهدي على يعقوب بن داود، فاستدعاه وسأله عن إسحاق وما يزعمه من أن أهل بيته أحق بالخلافة من أهل البيت، فأنكر يعقوب ذلك كما أنكر إسحق الأمر أيضاً، وأكد للمهدي بأن هذا ليس من شأنه فقال " كيف أقول هذا يا أمير المؤمنين وقد مات جدي في الجاهلية وأبوك الباقي بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ووراءه ".[1]

إن نص رواية الطبري الآنفة الذكر- والتي أسندها لعلي بن محمد النوفلي وهو ثقة عند الطبري - متكامل ويشرح العلاقة بين يعقوب بن داود وإسحق الهاشمي، وأنهما بحثا - على أقل تقدير - في أحقية الأخير للخلافة، ويؤكد المسعودي ذلك فيقول بأن وجهة نظر في الإمامة أنها يجب أن تكون في الفرع الأكبر من نسل العباس وأن عدداً من أعمام المهدي كانوا أحق بالخلافة من المهدي نفسه.[2]

لذا فمن الأرجح أن الروايات التي ترجع أسباب نكبة يعقوب بن داود لعوامل سياسية هي التي يجب أخذها بعين الاعتبار؛ فالخليفة صمم على التخلص من يعقوب بن داود بعد أن اقتنع بأنه يشكل خطراً على أمن الدولة وسلامتها بسبب أفعاله السياسية المريبة، فلقد فشل في الوصول بسياسة الترضية مع العلويين إلى نتيجة ناجحة؛ ذلك لأن العلويين شكوا في نواياه وتقلب ميوله السياسية، وظل عيسى بن زيد مستتراً حتى وفاته، كما أن هذا الفشل أقنع المهدي بعدم جدوى إمكانية التوفيق والمهادنة، لذا تجددت شكوكه القديمة في ميول يعقوب بن داود العلوية بعد أن فقد يعقوب بن داود ثقة العلويين وخيب آمال المهدي اندفع ليجد له طريقاً آخر، فتقرب من إسحاق بن الفضل الهاشمي الذي كان يُمني نفسه بالخلافة ولعب أعداء يعقوب دوراً في تهويل هذا الخطر لدى الخليفة، وكمحاولة أخيرة من يعقوب بن داوّد لأبعاد بعض الموالي عن البلاط وتخليص الخليفة المهدي من تأثيرهم ومؤامراتهم، حذر المهدي من الإسراف والبذخ

---

[1] الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص١٦٧٥-١٦٧٧ ؛ التنوخي . الفرج . ج٤ ، ص١٠٥ .
[2] المسعودي . مروج . ج٣ ، ص٣٨٢ .

في مجالس الغناء والشراب، لكن ذلك زاد من توسيع الخلاف بينه وبين الخليفة المهدي. [1]

لذا نستنتج بأن سقوط وزارة يعقوب بن داود ترجع إلى عوامل متداخلة، وذات طابع سياسي؛ حيث فشل في سياسة الترضية العلوية، وأهملها بعد تسلمه الوزارة، وتقرب إلى إسحاق الهاشمي وأطلق سراح العلوي السجين، والأهم من ذلك السلطة الواسعة التي تمتع بها يعقوب بن داود حتى أن الخليفة أحس بتأثيرها، فتحرك ليحرر نفسه من هذا النفوذ الذي بدأ يهدده فعمل على إقصائه.

نهاية الوزير يعقوب بن داود:

لم يكن يعقوب بن داود مجرد شخص سياسي طموح متعطش للسلطة، لا يدخر سبيلاً من أجل الوصول إلى الحكم، بل كان لشخصيته الجذابة التي سحرت الخليفة مدة من الزمن جوانب أخرى منها ذكاؤه وثقافته الواسعة وشاعريته، وقد قال عنه الشاعر أبو الشيص الخزاعي :- [2]

أبلغ إمام الهدى أن لست مصطنعاً   للنـائبـات كيعقـوب بـن داود

لـو تبتغـي مثلـه في النـاس كلهـم   طلبت ما ليسَ في الدنيا بموجود

لذا لم يأمر الخليفة المهدي بقتله، بل تم حبسه في سجن المطبق وطرد كافة العمال والولاة الذين عينهم، فاختفوا وتشردوا، كما سجن الكثير من أقربائه وأهل بيته. [3] ولعل لقب " الأخ في الله " الذي حصل عليه يعقوب بن داود كان بمثابة الحصانة ضد عقوبة القتل، فيقول التنوخي أن يعقوب بن داود لما حضر عند المهدي ذكر بما كان قد منحه من عهد الله وميثاقه وذمة رسوله، وما كان قد تعهد له بعدم سجنه أو ضربه أو قتله [4] ويقول أيضاً أن الخليفة الهادي (١٦٩-١٧٠هـ / ٧٨٥-٧٨٦م) أمر

---

[1] فوزي . الجذور التاريخية . ص٨٠ .
[2] الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص
[3] المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٦٧٧ ؛ الجهشياري . المصدر السابق . ص١٦٣ .
[4] التنوخي . الفرج . ج٤ ، ص١٠٥ .

بضرب يعقوب بن داود (١٠٠سوط)، ولما علم بنبأ احتمال موته بعد الضرب فزع أشد الفزع خوفاً مما يقوله الناس بعد الأمان الذي كان قد أعطاه إياه المهدي.[١]

سجن يعقوب بن داود سنة (١٦٦هـ /٧٨٢م) ولم يُقدّرْ له أن يخرج من السجن إلا في عهد الخليفة هارون الرشيد،[٢] وتختلف الروايات في السنة التي أطلق فيها سراحه فبالنسبة للجهشياري سنة (١٧٥هـ /٧٩١م)،[٣] وأما البغدادي يقول سنة (١٨١هـ /٧٩٧م)، وقد اختار المقام في مكة المكرمة حيث بقى فيها حتى توفي سنة (١٨٧هـ /٨٠٣م).[٤]

وبهذا انتهت حياة وزير كان سلوكه بمثابة مرآة تعكس بصدق السياسة ومتطلباتها في العصر العباسي الأول.

---

[١] المصدر نفسه ، ج٤ ، ص١٤١ .
[٢] الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص١٦٧٧ ؛ التنوخي . الفرج . ج٤ ، ص١٠٤ ؛ الجهشياري . المصدر السابق . ص١٦١ ؛ ابن الطقطقا . المصدر السابق . ص١٨٦ .
[٣] الجهشياري . المصدر السابق . ١٦٢،١٦١ .
[٤] البغدادي . تاريخ . ج١٤ ، ص٢٦٥ .

من الذي خلف الوزير يعقوب بن داود:

لا تتوافر معلومات كثيرة عن حال الإدارة المركزية العباسية بعد سقوط يعقوب بن داود، ولكن نلاحظ من الروايات القليلة المتوافرة أن المسؤولية الإدارية بعد يعقوب بن داود تقاسمتها عدة شخصيات، فاليعقوبي يروي أن الذي خلف يعقوب بن داود هو محمد بن الليث صاحب البلاغة، كما يشير أيضاً إلى شخصية علي بن يقطين الذي غلب على أمور المهدي على حد قوله، [1] ويشير الطبري إلى أن علي بن يقطين تسلم ديوان الأزمة بدل عمر بن بزيع، [2] وقد أصبح علي بن يقطين موضع ثقة الخليفة بعد سقوط يعقوب بن داود، فقد حاز على ثقة الخليفة، وأصبح من خواصه لا سيما في جولاته الرسمية وفي حفلات السمر في القصر. [3] ومما لا شك فيه فأن أهمية علي بن يقطين واضحة لشغله منصب ديوان الأزمة، وهو الديوان الذي أوجده الخليفة المهدي من أجل الاتجاه بالإدارة المالية بصورة خاصة نحو المركزية وأحكام الرقابة والتفتيش عن الدواوين كافة، فيقول الجهشياري بذلك " وقد قلد المهدي علي بن يقطين الأزمة على عمر بن بزيع وتضعضعت حال عمر بن بزيع وذلك سنة (١٦٨هـ /٧٨٣م) فصار عليّ بن يقطين زماماً على الأزمة وأحسب أن من ذكر أن المهدي أول من أحدث الأزمة إنما أراد أزمة على الأزمة "، [4] ومعنى ذلك أن مسؤولية عمر بن بزيع استمرت على ديوان الزمام، أما سلطة علي بن يقطين فكانت أرفع من عمر بن بزيع لأنه كان مسئولا عن زمام الأزمة، وهو ديوان يشرف ويراقب دواوين الأزمة. [5] ولا تشير المصادر إلى اتخاذ علي بن يقطين لقب (وزير) كما أنها لا تشير أيضا إلى أي سلطات إدارية أو نفوذ سياسي لعلي بن يقطين غير تسلمه ديوان زمام الأزمة.

---

[1] اليعقوبي . المصدر السابق . ج٢ ، ص٤٠١ .
[2] الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص١٦٧٨ .
[3] اليعقوبي . المصدر السابق . ج٢ ، ص٤٠١ ؛ الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص١٦٧٩؛ والمسعودي . مروج . ج٣ ، ص٣٩٥ .
[4] الجهشياري . المصدر السابق . ص١٦٦ ؛ فوزي . الجذور التاريخية . ص٨٣ .
[5] الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص١٦٧٩ .

الوزير الفيض بن أبي صالح

نسبه وأصله:

هو أبو جعفر الفيض بن أبي صالح شيرويه، من خراسان من مدينة نيسابور، وكان أهله نصارى فلما انتقلوا في خدمة بني العباس أسلموا، وتربى الفيض في الدولة العباسية، وتأدّب على يد عبد الله بن المقفع [1] مما يدل على نشأته الثقافية والإدارية الجيدة.

صفاته:

يذكر ابن الطقطقا أن الفيض بن أبي صالح كان سخياً كثير الفضائل، عزيز النفس، كبير الهمة ولكنه كان متكبراً متجبراً ومترفعاً، حتى قال فيه بعض الشعراء :-[2]

أبـا جعفرٍ جئنـاكَ نسأل نائـلاً   فأعوزنـا من دون نائلك البشْرُ

فما برقت بالوَعْد منك غمامة   يُرجى بها من سَيبِ نائلك القطْرُ

فلو كنتَ تُعطينا المنى وزيادةً   لنغصّـها منـكَ التجبُّـر والكبـرُ

ويروي الجهشياري أن الفيض بن أبي صالح دخل على الخليفة هارون الرشيد، فمد يده ليقبلها، فلم ينكب عليها وإنما رفعها إلى فيّه فقبلها، فقال الرشيد : لولا لؤمُه وحُمقه لقتلته. [3] ويقول ابن الطقطقا أن يحيى بن خالد بن برمك إذا استعظم أحدُ كرمه وجوده قال : لو رأيتم الفيض لصغُر عندكم أمري. [4] ويروي أن كاتب أم جعفر السيدة زبيدة قد حبس وكيلاً لها وجب لها عليه في حسابه مائتا ألف درهم، فأرسل الرجل المحبوس إلى صديقين له - عيسى بن داود وسهل بن الصبّاح المدائني - لكي يذهبا إلى كاتب أم جعفر ليشفعا له، وفي الطريق لقيا الفيض بن أبي صالح فسألهما عن خبرهما فأخبراه ثم طلب منهما أن يكون معهما، وعندما قابلا كاتب أم جعفر طلبا منه أن يشفع

---

[1] الجهشياري . المصدر السابق . ص١٦٤؛ ابن خلكان . وفيات . ج٧ ، ص٢٦ ؛ ابن الطقطقا . المصدر السابق . ص١٨٧ .

[2] ابن الطقطقا . المصدر السابق . ص١٨٧ .

[3] الجهشياري . المصدر السابق . ص١٦٤ .

[4] ابن الطقطقا . المصدر السابق . ص١٨٧ .

عن الرجل المحبوس، فقال لهما الكاتب أنه لا يستطيع إلا بأمر من أم جعفر، ولكن أم جعفر رفضت إلا باستيفاء المال الذي عليه؛ فهمّ صديقا الرجل المحبوس - عيسى بن داود - أن يغادرا وقالا للفيض : قم حتى نمضي فقد فعلنا ما يجب فعله، فقال له الفيض : لا والله ما فعلنا ما يجب علينا، فكأننا ما جئنا إلى هنا إلا لنؤكد حبس صاحبنا، فقال له ماذا نفعل؟ فاقترح الفيض أن يدفعا ما على الرجل من مال، فأخبر الكاتب أم جعفر باقتراح الفيض، فقالت : لا يكون الفيض أكرم منا، وقد وهبنا المائة ألف وأمرت بإخراج الرجل.[١]

المصادر التاريخية التي تعطي لقب الوزير للفيض بن أبي صالح:

لا يشير الطبري إلى الفيض بن أبي صالح على أنه وزير للخليفة المهدي، بل يضعه ضمن قائمة كتابه،[٢] لكن الجهشياري وابن الطقطقا وابن خلكان والمسعودي يؤكدون على خلافة الفيض بن أبي صالح ليعقوب بن داود في منصب الوزارة، فيقول الجهشياري: " واستوزر المهدي بعد يعقوب بن داود الفيض بن صالح "[٣] ويذكر ابن الطقطقا " كان الفيض قد وُصِف للمهدي لما عزم على يعقوب بن داود، فلما قبض عليه أحضر الفيض واستوزره وفوّض الأمور إليه "[٤] ويؤكد ابن خلكان والمسعودي أن المهدي لما حبس يعقوب بن داود رتب في الوزارة أبا جعفر الفيض بن أبي صالح،[٥] ويشير الثعالبي عند حديثه عن توقيعات الوزراء إلى توقيع الفيض بن أبي صالح " وقع في رقعة معتذر تائب التوبة للذنب كالدواء للمريض فإن نصحت توبته أتم الله شفاءه وإن تكن الأخرى أدام الله داءه ".[٦]

---

[١] الجهشياري . المصدر السابق . ص١٦٦،١٦٥؛ التنوخي . الفرج . ج٢ ، ص١٢١،١٢٠ ؛ ابن الطقطقا . المصدر السابق . ص١٨٨،١٨٧ .
[٢] الطبري . المصدر السابق . ج٥ ، ص١٦٧٨ .
[٣] الجهشياري . المصدر السابق . ص١٦٤ .
[٤] ابن الطقطقا . المصدر السابق . ص١٨٨ .
[٥] المسعودي . التنبيه . ص٣١٣ ؛ ابن خلكان . وفيات . ج٧ ، ص٢٦.
[٦] الثعالبي .خاص الخاص . ص٩١ .

وفاته:

بقى الفيض بن أبي صالح وزيراً للمهدي حتى وفاته، فلما ولى الهادي لم يستوزره وبقى الفيض إلى أول أيام هارون الرشيد، ثم مات وذلك في سنة (١٧٣هـ/٧٨٩م).[١]

بالرغم من أن الروايات التاريخية الآنفة الذكر تؤكد وزارة الفيض بن أبي صالح، إلا أنها لا تذكر نوع الصلاحيات الإدارية التي أوكلت له ولا النفوذ السياسي الذي تمتع به، وإنما تذكر فقط مدى سخائه وجوده، وفي المقابل أكدت الروايات أهمية منصب ديوان الزمام وزمام الأزمة التي قوت سلطة الحكومة المركزية، وجعلت الإدارة أكثر مركزية، كما جعلت سلطة المسؤولين في بغداد أكثر قوةً واتساعاً كما هو حال علي بن يقطين، وهذه صورة معقدة إذ تختلط على الباحث معرفة صلاحيات الوزير وصلاحيات الشخصيات الإدارية الأخرى .

ومهما يكن من أمر فإن جهود الخليفة المهدي ومبادراته في تنظيم الإدارة لا بد أن يشار إليها بالتقدير، ففي البداية حاول المهدي أن يستغل قدرات كاتبه أبي عبيد الله معاوية بن يسار الكبيرة في الإدارة، وكذلك قابليات يعقوب بن داود السياسية في كسب ود العلويين، ولكن يعقوب سقط بسبب فشل محاولته للتوفيق مع العلويين ونجاح مؤامرات البلاط العباسي ضده، فضلاً عن طموحاته ومبادراته التي أفقدت ثقة الخليفة فيه؛ فحل محله عدد من الشخصيات الإدارية ساعدت المهدي في الإدارة بالرغم من أن سلطات بعضهم كانت محدودة وغير واضحة تماماً.

---

[١] ابن خلكان . وفيات .ج٧ ، ص٢٦ ؛ ابن الطقطقا . المصدر السابق . ص١٨٨ .

الخاتمة

برزت وظائف إدارية عدة إبان العصور الإسلامية المختلفة، فرضتها ظروف شتى منها : الانتشار الشاسع للإسلام في مناطق مختلفة، زيادة أعباء الحكم الإسلامي، والحاجة إلى إرساء مقومات حضارية عربية وإسلامية جديدة تلبي طموحات المسلمين باختلاف أجناسهم ومناطق وجودهم، وفي طليعة هذه الوظائف برزت " الوزارة " ومن الممكن أن نلخص النتائج الرئيسة لهذه الدراسة كالآتي :

١. كشفت الدراسة من خلال تتبع تطور لفظ الوزارة أن المصادر لم تثبت الاشتقاق الفارسي لكلمة " وزير "، باستثناء البعض الذي يرجعه إلى كلمة " فشير "، في حين أن اشتقاقه عربيا تعدد عند اللغويين.

٢. كشفت الدراسة أن اتساع رقعة الدولة الإسلامية في العصر الأموي، جعل خلفاء بني أمية أن يستعينون بذوي الكفاءات لمساعدتهم في إدارة الدولة، وتدبير مصالح الأمة، فاتخذوا البارزين من ذوي الرأي والخبرة - لا سيما من طبقة الكتّاب - ليكونوا معاونين لهم، وفي الحقيقة أن هؤلاء المعاونين شغلوا منصب الوزارة ومارسوا صلاحياتها على الرغم من أن المنصب لم يعرف، كما أنهم لم يدعوا وزراء، ولم تتخذ الوزارة صيغة نهائية وثابتة حتى من حيث التسمية، فالشخص الذي يشغلها ينعت باسم كاتب ومرة باسم وزير، لكننا نستطيع القول أن المنصب تعدى كونه استشارياً - كما في العصر النبوي والراشدي - وإنما كان في مفهومه أيضاً مشاركة في الحكم في بعض الأحيان.

٣. أبرزت الدراسة أن المفهوم الأموي للوزير (المعاون والمؤازر للخليفة) ظل سارياً خلال الفترة الأولى من العصر العباسي الأول، فلم يكن أبو سلمة الخلال (وزير آل محمد) وزيراً لدولة بل كان وزيراً لدعوة، وقد اكتسب اللقب قبل أن يتوج أول خليفة عباسي (أبي العباس) وحين تأسست الدولة العباسية لم يعط لقب وزير بشكل رسمي، وكانت صلاحياته غير محددة، وتضاربت مع صلاحيات الخليفة ومستشارين آخرين، مما أدى في النهاية إلى مقتله.

٤. بينت الدراسة أن نهاية أبي سلمة الخلال المأساوية، تعد مظهراً من مظاهر عدم الاستقرار في الوزارة من جهة والتصادم بين الوزير والخليفة أو رجالات الدولة من

جهة أخرى، وعلى ذلك يمكننا القول بأن الوزارة كمؤسسة رسمية لا تزال غير واضحة، كما أن صلاحيات الوزير لم تكن محددة مما جعل التصادم أمراً حتمياً بين الخليفة ووزيره، وانتهي ذلك الصراع بتأكيد سلطة الخليفة ولهذا تجنب الوزراء الذين خلفوا أبو سلمة الخلال في مهامه أن يحملوا لقب وزير.

٥. كشفت الدراسة أن الخليفة أبا جعفر المنصور هو الذي وضع أسس الوزارة المستقبلية، وذلك عندما وضع ابنه وولي عهده (المهدي) تحت إشراف أحد الكتّاب - أبي عبيد الله معاوية - الذين تميزوا بالخبرة والمعرفة، والذي أصبح فيما بعد أبرز وزراء الخليفة المهدي، فالخلفاء الذين جاءوا بعد المنصور حذو حذوه في هذا الإجراء.

٦. بينت الدراسة أن الوزارة في عهد الخليفة أبي العباس السفاح وأبي جعفر المنصور - فترة التأسيس - لم تتحدد سلطتها على الإطلاق، فاتساع سلطتها أو حصرها كانت وفق أهواء الخلفاء الذين كان بإمكانهم إلغاؤها في أي لحظةٍ والتخلص من صاحبها.

٧. كشفت الدراسة بأن أول مرسوم عباسي رسمي بتعيين وزير صدر سنة (١٦٣هـ/٧٧٩م) من قِبل الخليفة المهدي لوزيره يعقوب بن داود.

٨. دللت الدراسة على أن أبرز مهام الوزير في العصر العباسي الأول شملت : دواوين الدولة، الإدارة، الشؤون المالية والاقتصادية، شؤون المراسلات والمكاتبات والشؤون الحربية، فضلا عن النظر في قضايا الرعية ومطالبهم، أي جمع الوزير بين السلطات الإدارية والمالية والحربية.

٩. كشفت الدراسة أن أغلب الوزراء كانوا من طبقة الكتاب الذين تميزوا بكفاءاتهم الإدارية والكتابية، فضلاً عن استغلالهم لإمكانياتهم ومقدراتهم الشخصية للوصول إلى منصب الوزارة.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

١. القرآن الكريم .

٢. الأتابكي ، يوسف بت تغرى بردى (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م) . **مورد اللطافة في من ولى السلطنة والخلافة** . تحقيق: نبيل محمد عبدالعزيز ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٧م .

٣. ابن الأثير ، علي بن أبي الكرم محمد (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) . **الكامل في التاريخ** . ج٤ ، دار الكتاب العربي ، بيروت : ١٩٨٦م .

٤. الأصفهاني ، أبو الفرج (ت٣٥٦هـ / ٩٦٦م) . **مقاتل الطالبيين** . ط٢ ، تحقيق: أحمد صقر ، مؤسسة الأعلمي للمنشورات ، بيروت : ١٩٨٧م .

٥. ________ . **الأغاني** . ج٣ ، تحقيق: لجنة من الأدباء ، الدار التونسية ، تونس : ١٩٨٣م .

٦. الأندلسي ، أحمد بن محمد بن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ / ٩٣٩م) . **العقد الفريد** . ج٤ ، شرحه: أحمد أمين واحمد الزين وإبراهيم الابياري ، دار الأندلس ، بيروت : ١٩٨٨م

٧. البغدادي ، أحمد بن الخطيب (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م) . **تاريخ بغداد** . ج١٠ ، دار الكتاب العربي ، بيروت : ١٩٧١م .

٨. البغدادي ، عبد القاهر بن طاهر (ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م) . **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم** . تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي ، دار الجيل ، بيروت : ١٩٨٧م .

٩. البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر (٢٧٩هـ /٨٩٢م) . **البلدان وفتوحها وأحكامها** . تحقيق: نجيب الماجدي ، المكتبة العصرية ، بيروت :٢٠٠٨م .

١٠.________ . **أنساب الأشراف** . ج٢ ، تحقيق: سهيل زكار ورياض زركلي ، دار الفكر ، بيروت : ١٩٩٦م .

١١. التنوخي ، المحسن بن أبي القاسم (ت ٣٨٤هـ / ٩٩٣م) . **الفرج بعد الشدة** . ج١ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة : ١٩٩٤م .

١٢. الثعالبي ، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م) . **اللطائف والظرائف** . دار المناهل ، بيروت : ١٩٩٢م .

١٣. ـــــــــ . **آداب الملوك** . تحقيق: جليل العطية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت : ١٩٩٠م .

١٤. ـــــــــ . **خاص الخاص** . قدم له: حسن الأمين ، دار ومكتبة الحياة ، بيروت : د.ت .

١٥. ـــــــــ . **لطائف اللطف** . تحقيق: عمر الأسعد ، دار المسيرة ، بيروت : ١٩٨٠م .

١٦. الجاحظ . **رسائل الجاحظ** . تقديم : علي أبو ملحم ، ط١ ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت : ١٩٨٧م .

١٧. الجهشياري ، محمد بن عبدوس (ت ٣٣١هـ / ٩٤٣م) . **الوزراء والكتّاب** . تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأنباري وعبد الحفيظ شلبي ، ط٢ ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٨٠م .

١٨. الجوزي ، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن (ت ٧٥٢هـ / ١٣٥٠م) . **سيرة ومناقب عمر بن الخطاب** . تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، دار التقوى للتراث ، القاهرة : ٢٠٠٠م .

١٩. ابن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٥هـ / ١٢٥٦م) . **شرح نهج البلاغة** . ج٢ ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل ، بيروت : ١٩٩٦م .

٢٠. ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ ١٤٠٥م) . **مقدمة ابن خلدون** . اعتنى به مصطفى شيخ مصطفى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت : ٢٠٠٧م .

٢١. ـــــــــ . **تاريخ ابن خلدون** . ج٣ ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت : ١٩٨٣م.

٢٢.ابن خلكان ، أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ / ١٢٨١م) . **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** . ج٤ ، تحقيق: إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت : ١٩٩٤م .

٢٣.ابن دقمان (ت ٨٠٩هـ / ١٤٠٥م) . **الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين**. ج١ ، تحقيق: محمد كمال الدين ، عالم الكتب ، بيروت : ١٩٨٥م

٢٤.أبو الربيع ، أحمد بن محمد (عاش في القرن ٧هـ) . **سُلوك المالك في تدبير الممالك** . تحقيق: حامد عبد الله ربيع ، دار الشعب ، القاهرة : ١٩٨٣م .

٢٥.الدينوري ، أحمد بن داود (ت٢٨٢هـ /٨٩٤م) . **الأخبار الطوال** . تحقيق: عبد المنعم عامر ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، القاهرة : د.ت .

٢٦.الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ /١٣٤٦م) . **سير أعلام النبلاء** . ج٣ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت : ١٩٨٤م .

٢٧.ـــــــــ . **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام** . ج٢ ، حققه: بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت : ٢٠٠٣م .

٢٨.ـــــــــ . **العبر في خبر من غبر** . ج١ ، تحقيق: محمد السعيد ، دار الكتب العلمية ، بيروت : ١٩٨٥ .

٢٩.الأزدي ، ابن ظافر (ت ٦١٣هـ /١٢١٥م) . **أخبار الدول المنقطعة** . تحقيق: علي عامر ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة : ٢٠٠١م .

٣٠.الأزدي ، يزيد بن محمد بن إياس (ت ٣٣٤هـ / ٩٤٥م) . **تاريخ الموصل** . تحقيق: علي حبيبة ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة : ١٩٦٧م .

٣١.السجستاني ، سليمان بن الأشعث (ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨م) . **سنن أبي داود** . ج٣ ، تحقيق: جمال أحمد حسن ومحمد بربر ، المكتبة العصرية ، بيروت : ٢٠٠٩م

٣٢.ابن سعد . محمد سعيد منيع (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤م) . **الطبقات الكبرى** . ج٥ ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت : ١٩٩٥م .

٣٣.السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٤م) . **تاريخ الخلفاء** . تحقيق: احمد إبراهيم وسعد العيدروسي ، دار الكتاب العربي ، بيروت : ٢٠٠٦م .

٣٤.الشهرستاني ، محمد عبد الكريم (ت ٥٤٨هـ/ ١١٥٢م) . **الملل والنحل** ، ج١ ، تحقيق: عبد العزيز محمد الوكيل ، مؤسسة الحلبي ، القاهرة ، ١٩٦٨م .

٣٥.الصابئ ، هلال بن المحسن (ت ٤٤٨هـ / ١٠٥٥م) . **رسوم دار الخلافة** . تحقيق: ميخائيل عواد ، دار الآفاق العربية ، القاهرة : ٢٠٠٣م .

٣٦.الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م) . **الوافي بالوفيات** . ج١٣ ، تحقيق: أحمد الأرناأووط وتركي مصطفي ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت : ٢٠٠٠م .

٣٧.الطبري ، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م) . **تاريخ الرسل والملوك** . تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، ج٢ ، ط٤ ، دار المعارف ، القاهرة : د.ت.

٣٨.الطرطوشي ، محمد بن الوليد بن محمد (ت ٥٢٠هـ/ ١١٢٥م) . **سراج الملوك** . المطبعة الخيرية ، القاهرة : د.ت .

٣٩.ابن الطقطقا ، محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م) . **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية** . دار صادر ، بيروت : د.ت .

٤٠.العسقلاني ، أحمد بن علي بن حجر (ت ٧٥٢هـ /١٣٥٠م) . **الترغيب والترهيب** . تحقيق: حبيب الأعظمي وعبد الحميد النعماني ومحمد الماليكانوى ، دار إحياء المعارف ، د.م : ١٩٦٠م .

٤١.العمراني ، محمد بن علي بن محمد (ت ٥٨٠هـ/ ١١٨٣م) . **الأنباء في تاريخ الخلفاء**. تحقيق: قاسم السامرائي ، ط١ ، دار الآفاق العربية ، القاهرة : ١٩٩٩م .

٤٢.أبو الفداء ، الملك المؤيد إسماعيل . المختصر في أخبار البشر . تحقيق: محمد رضوان ديوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت : ١٩٩٧م .

٤٣.قدامة بن جعفر . الخراج وصناعة الكتابة . شرح وتعليق: محمد حسين الزبيدي ، دار الرشيد ، بغداد : ١٩٨١م.

٤٤.القرماني ، أحمد يوسف (ت ١٠١٩هـ/ ١٦٠٩م) . **أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ** . ج٢ ، تحقيق: احمد حطيط وفهمي سعد ، عالم الكتب ، بيروت : ١٩٩٢م .

٤٥.القلعي ، أبو عبد الله . **تهذيب الرياسة وترتيب السياسة** . تحقيق: إبراهيم يوسف ومصطفى عجو ، مكتبة المنار ، الزرقاء : د.ت .

٤٦.ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م) . **الإمامة والسياسة** . ج١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت : ١٩٩٧م .

٤٧.______ . **المعارف** . ج٢ ، راجعه: منير عبد القادر حديد ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق : ٢٠٠٠م .

٤٨.القلقشندي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٧م) . **مآثر الانافة في معالم الخلافة** . ج١ ، تحقيق : عبدالستار أحمد فراج ، عالم الكتب ، بيروت : د.ت .

٤٩.القيرواني ، إبراهيم بن علي (ت ٤٥٣هـ/ ١٠٦٠م) . **زهر الآداب وثمر الألباب** . ضبطه: زكي مبارك ، ج٢ ، ط٤ ، دار الجيل ، بيروت : د.ت .

٥٠.ابن كثير ، إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) . **البداية والنهاية** . ج١٠ ، راجعه: سهيل زكار ، دار صادر ، بيروت : ٢٠٠٥م .

٥١.الكندي ، محمد بن يوسف . **الولاة وكتاب القضاة** . دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة : د.ت .

٥٢.الكوفي ، أحمد بن أعثم (٣١٤هـ/٩٢٥م) . الفتوح . ج٤ ، دار الكتب العلمية ، بيروت : ١٩٨٦م.

٥٣.المسعودي ، علي بن الحسن بن علي (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) . **التنبيه والإشراف** . دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩٨٢م .

٥٤.______ . **مروج الذهب ومعادن الجوهر** . ج٢ ، شرحه: مفيد محمد قمحية ، دار الكتب العلمية ، بيروت : ١٩٨٦م .

٥٥. الماوردي ، علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٧م) . **الأحكام السلطانية والولايات الدينية** . دار الكتب العلمية ، بيروت : د.ت .

٥٦.المقدسي ، المطهر بن طاهر (ت ٣٥٥هـ / ٩٦٥م) . البدء والتاريخ . ، ج٦ ، دار صادر ، بيروت : ١٩٨٨م ، ص٢٨٣ .

٥٧.مؤلف مجهول . **أخبار الدولة العباسية** . تحقيق: عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي ، ط٢ ، دار الطليعة ، بيروت : ١٩٩٧م .

٥٨.ابن النديم ، محمد بن إسحق (ت ٣٨٣هـ / ٩٩٢م) . **الفهرست** . تحقيق: رضا شعبان ، دار المعرفة ، بيروت : ١٩٧٨م .

٥٩.النسائي ، أحمد بن شعيب بن علي بن سنان . **سنن النسائي** . اعتني به: عبد الغني مستو ، المكتبة العصرية ، بيروت : ٢٠٠٨م .

٦٠.النهرواني ، معافى بن زكريا (ت٣٩٠هـ / ٩٩٩م) . **الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي** . ج١ ، تحقيق: محمد مرسي الخولي ، عالم الكتب ، بيروت : ١٩٨١م.

٦١.ابن هشام ، عبد الملك (ت ٨٢٨هـ / ١٤٢٣م) . **السيرة النبوية** . مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة : ١٩٧٨م .

٦٢.ابن الوردي ، عمر بن مظفر (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٧م) . **تاريخ ابن الوردي** . ج١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت : ١٩٩٦م .

٦٣.اليافعي ، عبدالله بن أسعد (ت٧٦٨هـ / ١٣٦٦م) . **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان** . تحقيق: عبدالله الجبوري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت : ١٩٨٤م .

٦٤.اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت٢٨٤هـ / ٨٩٦م) . **تاريخ اليعقوبي** . ج٢ ، دار صادر ، بيروت : د.ت .

٦٥.أبو يوسف ، يعقوب بن إبراهيم (ت١٨٢هـ / ٧٩٧م) . كتاب الخراج . دار المعرفة ، بيروت : ١٩٧٩م .

ثانياً: المراجع العربية والمعربة

١. أكبر ، فائزة إسماعيل . **التاريخ السياسي للخلافة العباسية** . مطبعة الثغر ، جدة : ٢٠٠٣م .

٢. ــــــــــــــ . **وزراء العصر العباسي الأول** . مجلة المؤرخ العربي ، العدد ٨ ، اتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة : ٢٠٠٠م .

٣. أمين ، أحمد . **ضحى الإسلام** . ج١ ، ط١٠ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، د.ت .

٤. بارتولد ، ف . **تاريخ الحضارة الإسلامية** . ترجمة: حمزة طاهر ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق .

٥. الباشا ، حسن . **الألقاب الإسلامية في التاريخ** . د.ن ، القاهرة : ١٩٥٧م .

٦. البلوشي ، إبراهيم عطا الله . **المؤسسات الإدارية في الدولة الإسلامية** . مكتبة الفلاح ، الكويت : ٢٠٠٦م .

٧. التكريتي ، ناجي . **الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع** . ط٣ ، د.ن : ١٩٨٧م

٨. جواتياتن ، س . د . **دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية** . مركز الإسكندرية للكتاب ، الإسكندرية : ٢٠٠٧م .

٩. حسن ، حسن إبراهيم . **تاريخ الإسلام** . ج٢ ، الكتاب الذهبي ، القاهرة : ٢٠٠٣م

١٠. حسن ، حسين الحاج . **النظم الإسلامية** . **المؤسسة الجامعية** ، بيروت : ١٩٨٧م .

١١. الحسن ، عيسى . **الدولة العباسية تكامل البناء الحضاري** . الأهلية للنشر والتوزيع ، عمّان : ٢٠٠٩م .

١٢. الحسيني ، فاضل محمد . **آفاق الحضارة العربية الإسلامية** . دار الشروق ، عمّان : ٢٠٠٦م .

١٣. الدوري ، عبد العزيز . **العصر العباسي الأول** . ط٢ ، دار الطليعة ، بيروت : ١٩٩٨م .

١٤. رباح ، إسحاق . **التاريخ الإسلامي الموجز** . دار كنوز المعرفية العلمية ، عمّان : ٢٠٠٩م.

١٥. رسلان ، صلاح الدين بسيوني . **الوزارة في الفكر السياسي** . دار قباء ، القاهرة ، ٢٠٠٠م .

١٦. سورديل ، دومنيك وجانين . **الحضارة الإسلامية في عصرها الذهبي** . ترجمة: حسني زينة ، دار الحقيقة ، بيروت : ١٩٨٠م .

١٧. شعبان ، محمد عبد الحي محمد . **التاريخ الإسلامي في تفسير جديد** . الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨١م .

١٨. شلبي ، أحمد . **موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية** . مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة : ١٩٨٥م .

١٩. الصالح ، صبيحي . **النظم الإسلامية نشأتها وتطورها** . ط٨ ، دار العلم للملايين ، بيروت : ١٩٩٠م .

٢٠. الصلابي ، علي محمد . **عصر الدولتين الأموية والعباسية** . دار البيارق ، عمّان : ١٩٩٨م .

٢١. طقوش ، محمد سهيل . **تاريخ الدولة العباسية** . دار النفائس ، بيروت : ١٩٩٦م

٢٢. العبادي ، أحمد مختار . **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس** . مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية : د.ت .

٢٣. ـــــــــ . **في التاريخ العباسي والفاطمي** . دار البيارق ، عمّان : ١٩٩٨م.

٢٤. عزام ، خالد . **موسوعة التاريخ الإسلامي (التاريخ العباسي)** . دار أسامة ، عمّان : ٢٠٠٣م .

٢٥. عطوان ، حسين . **الدعوة العباسية تاريخ وتطور** . دار الجيل ، بيروت : ١٩٨٤م.

٢٦. علم الدين ، مصطفى . **الزمن العباسي** . دار النهضة العربية ، بيروت : ١٩٩٣م

٢٧. العلي ، صالح أحمد . **معالم بغداد الإدارية والعمرانية** . دار الشؤون العامة ، بغداد : ١٩٨٨م .

٢٨. العمد ، إحسان ، وعواد ، محمود ، وجودة ، صادق . **تاريخ الدولة العباسية** . الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات ، القاهرة : ٢٠١٠م

٢٩. فرج ، هولو جودت . **البرامكة سلبياتهم وإيجابياتهم** . دار الفكر ، بيروت : ١٩٩٠م .

٣٠. فوزي ، فاروق عمر . **الجذور التاريخية للوزارة العباسية** . مطابع دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٦م .

٣١. ـــــــــ . **تاريخ النظم الإسلامية** . دار الشروق ، عمّان : ٢٠١٠م .

٣٢. ـــــــــ . **الثورة العباسية** . دار الشروق ، عمّان : ٢٠٠١م .

٣٣. ـــــــــ . **الهاشميون الأوائل (١هـ -٩٠٦هـ /٦٢٢-١٥٠٠م)**. دار مجدلاوي ، عمّان : ٢٠٠٩م .

٣٤. ـــــــــ . **العباسيون الأوائل** . ج١ ، دار مجدلاوي ، عمّان ، ٢٠٠٣م.

٣٥. ـــــــــ . **الخلافة العباسية** . دار القلم ، دبي : ١٩٨٤م .

٣٦. القاسمي ، ظافر . **نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي (الحياة الدستورية)** . ط٢ ، دار النفائس ، بيروت : ١٩٧٧م .

٣٧. الكروي ، إبراهيم سليمان . **نظام الوزارة في العصر العباسي الأول** . مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية : ١٩٨٩م .

٣٨. كاتبي ، غيداء خزنة . **الخراج منذ الفتح الإسلامي حتى أواسط القرن الثالث الهجري** . مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت : ١٩٩٤م .

٣٩. لسترنج ، كى . **بلدان الخلافة الشرقية** . ترجمة: بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، ط٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت : ١٩٨٥.

٤٠. محمد ، بدر عبدالرحمن . **الدولة العباسية دراسة في سياستها الداخلية في القرنين الثاني والثالث الهجري** . مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة : د.ت .

٤١. مدخلي ، محمد ربيع هادي . **المصادرات في العصر العباسي الأول من عهد الخليفة المنصور حتى عهد الواثق بالله (١٣٦-٢٣٢هـ)** . جامعة أم القرى ، مكة المكرمة : د.ت .

٤٢. المدور ، جميل نخلة . **حضارة الإسلام في دار السلام** . دار العالم العربي ، القاهرة : ٢٠٠٨م .

٤٣. الهاشمي ، عبد المنعم . **الخلافة العباسية** . ط٢ ، دار ابن حزم ، بيروت : ٢٠٠٦م.

ثالثاً: المراجع الأجنبية :

٤٤. Fawiz , Farouk Omar , **Aspects from Abbasid History**, Amman , ٢٠٠٣.

٤٥. Noldeke , Theosore , **Sketches from Eastern History** , Darf Publishers Limited , London , ١٩٨٥.

٤٦. Bukhsh, Qadar , **Islamic civilization** , Calcutta , ١٩٢٩.

رابعاً: الموسوعات والمعاجم:

٤٧.إبراهيم ، رجب عبد الجواد . **معجم المصطلحات الإسلامية في المصباح المنير** . دار الأفاق العربية ، القاهرة : ٢٠٠٢م .

٤٨.الحموي ، ياقوت بن عبد الله . **معجم البلدان** . ج٣ ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت : د.ت .

٤٩.الخطيب ، مصطفى عبد الكريم . **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية** . مؤسسة الرسالة ، بيروت : ١٩٩٦م .

٥٠.عطية الله ، أحمد . **القاموس الإسلامي** . ج٣ ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة : ١٩٧٠م .

٥١. **المعجم الوسيط** ، ج١ ، ط٢ ، دار الأمواج ، بيروت : ١٩٨٧م .

٥٢.ابن منظور . **لسان العرب** . تحقيق: عبد الله الكبير ومحمد أحمد وهاشم الشاذلي ، ج٦ ، دار المعارف ، القاهرة : ١٩٨١م .

٥٣.**موجز دائرة المعارف الإسلامية** ، ج٣٢ ، مركز الشارقة للإبداع الفكري ، الشارقة ، ١٩٨٨م. دائرة المعارف الإسلامية ، ج٨ .